مناهج البحث العلمي

الأستاذ الدكتور

سيد محمود محمد عبد العال

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

ورئيس قسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة الفيوم

٢٠٢٢ – ٢٠٢٣م

رقم الإيداع ٢٠١٥/ ٥٠٧١

الكلية	التربية بقنا
الفرقة	الثانية
التخصص	التاريخ
عدد الصفحات	١٧٣
إعداد	أ.د سيد محمود عبدالعال

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاتحه كل خير وتمام كل نعمة

والصلاة والسلام اشرف المرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وعلى آله وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين

يعد التاريخ المصدر الرئيس للمعرفة الانسانية، وهو الينبوع والسفر الخالد للمعرفة الانسانية، ويبدأ تاريخ الانسان منذ اللحظة التي خلف فيها آثاره وأدواته، والانسان بدا يكتب تاريخه منذ أن نقش على الحجر، ثم بعد أن كتب على الورق، اعتقادا منه بأن تسجيل تاريخه، لأمر جد عظيم، وهو ذلك السفر الذي يحوي بين دفتيه كل التطورات السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي مرت بها المجتمعات الإنسانية، من حيث بدايتها إلي بلوغها كما لها، ومن ضعفها إلي قوتها، ومن قوتها إلي ضعفها واضمحلالها وانهيارها، ثم نهوضها من جديد، فالإنسان هو الوحيد بين الكائنات الحية ذو التاريخ، وهو الكائن الحي الوحيد الذي يصنع التاريخ، ويصنعه التاريخ.

سنتناول في الصفحات التالية دراسة ميسرة عن علم التاريخ ومنهج البحث فيه

ويتناول الفصل الأول **التعريف بعلم التاريخ** لغة واصطلاحا، وأصل كلمة التاريخ والفرق بين التاريخ والتأريخ، وهل التاريخ علم أم فن، وما هي أهمية دراسة التاريخ وفوائده.

والفصل الثاني: وعنوانه **صناعة المؤرخ** حيث تناول الصفات التي يجب أن يتصف بها من يكتب في التاريخ حيث يجب أن يعد دارس التاريخ بدارسة العديد من العلوم لتجعله قادراً على دراسة التاريخ. بالإضافة إلي وجوب توفر العديد من الصفات الشخصية للباحث في علم التاريخ من حب الدراسة والأمانة والموضوعية والمثابرة والشجاعة وغيرها من الصفات التي يجب أن يتحلي بها طالب العلم عموما ودارس التاريخ خاصة. وتناول الفصل الثالث والمعنون بـ **العلوم المساعدة** حيث نعرض لأهم العلوم التي يجب على طالب في التاريخ دراستها لكي يتمكن من الدراسة الجادة، مثل اللغة وفقه اللغة والخطوط وأنواعها ودراسة

الوثائق والآثار والجغرافيا والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم وغيرها. وكذلك علاقة علم التاريخ ببقية العلوم الأخرى

ويتناول الفصل الرابع **أهم المدارس التاريخية** ورؤيتها للتفسير التاريخ ما بين التفسير الديني للتاريخ، للرؤية الإسلامية له، إلي مدرسة تفسير التاريخ من خلال الأبطال، أن البطولة وأن الأبطال هم صانعي التاريخ، إلي مدرسة التفسير المادي أو الاقتصادي للتاريخ وآراء كارل ماركس وانجلز في ذلك، ومدرسة التفسير المثالي للتاريخ، ثم مدرسة النزعة التاريخية، ثم مدرسة التفسير الجغرافي للتاريخ ونظرية الحتمية الجغرافية، ثم التفسير القومي للتاريخ.

كما تناول **الفصل الخامس المنهج وأنواع المناهج** التي يستعين بها الدارس للتاريخ من أهمها المنهج الاستدلالي أو الرياضي، والمنهج التجريبي، والمنهج الاسترادي أو المنهج التاريخي.

كذلك تناول **الفصل السادس** منهج البحث التاريخي أو **المراحل التي يمر بها البحث في التاريخ** منذ أن يكون البحث عبارة عن فكرة إلي أن يصير بحثا متكاملا، فيبدأ باختيار موضوع الدراسة، ثم وضع خطة الدراسة، وجمع المادة العلمية من مصادرها وكيفية جمعها، وتصنيف هذه المادة العلمية، ثم نقدها وتحليلها، ثم بعد ذلك كتابة البحث.

ويتناول الفصل السابع **قواعد كتابة البحث التاريخي**، من عنوان البحث وقواعد اختياره وشروطه، ثم مقدمة البحث وما يكتب فيها، ثم التمهيد، والموضوع ويشمل المتن وقواعد كتابته، والهوامش ويتناول أهميتها وأماكن وجودها في البحث وكيفية كتابتها سواء أكانت باللغة العربية أم بلغة أوربية، خاتمة البحث وهي عرض لأهم نتائج البحث، ثم ملاحق البحث وكيف ترتب وتكتب، ثم ثبت أو قائمة بأهم المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث في كتابة بحثه، ثم فهرس البحث.

ا.د/ سيد محمود عبد العال

الفصل الأول

التعريف بعلم التاريخ

الفصل الأول

التعريف بالتاريخ

التاريخ هو المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية، والتاريخ لأمة أو لشعب أو لفترة معينة إنما يهدف إلي إظهار تطور الحركة التاريخية للأمم والشعوب وإظهار تطور الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي.

وهو دراسة لمراحل النمو والانحطاط التي مرت بها تلك الشعوب وبمعني آخر فإن أهداف التاريخ تكمن في العمل لمعرفة ماضي البشرية بإيجابياتها وتسليط الأضواء على خفايا الحقب التاريخية والابتعاد عن السلبيات والاستفادة من التجارب السابقة[١]. والإنسان هو الوحيد بين الكائنات الحية ذو التاريخ، وهو الكائن الحي الوحيد الذي يصنع التاريخ، ويصنعه التاريخ[٢].

فالتاريخ ليس هو الحوادث، إنما هو تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلي الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان[٣].

ولكي يفهم الإنسان الحادثة ويفسرها، ويربطها بما قبلها وما تلاها، ينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس البشرية جميعها: روحية وفكرية وحيوية ومقومات الحياة البشرية جميعها: معنوية ومادية. وأن يفتح روحه وفكره وحسه للحادثة ويستجيب لوقوعها في مدركه ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها إلا بعد تحرج وتمحيص ونقد[٤].

---

(١) حسان حلاق: مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص٩.

(٢) محمد بيومي مهران: التاريخ والتأريخ دراسة في ماهية التاريخ وكتابته ومذاهب تفسيره ومناهج البحث فيه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢، ص ط.

(٣) التاريخ فكرة ومنهاج، ص٣٧.

(٤) التاريخ فكرة ومنهاج، ص٣٧.

فأما إذا كان يتلقاها بادئ ذي بدء وهو معطل الروح أو الفكر أو الحس عن عمد أو غير عمد– فإن هذا التعطيل المتعمد أو غير المتعمد، يحرمه عنصراً من عناصر إدراكها وفهمها على الوجه الكامل. ومن ثم يجعل تفسيره لها مخطئا أو ناقصاً.

التاريخ هو دراسة الحوادث، أو الحوادث نفسها، والحوادث جمع حادث، والحادث هو كل ما يطرأ من تغيير على حياة البشر، وكل ما يطرأ على الأرض متصلاً بحياة البشر. وإذا كان التاريخ في حقيقته هو الحوادث، وكانت الحوادث هي التغيرات، والتغيرات وليدة الزمان إنتهينا إلي أن التاريخ هو الزمان[١].

والتاريخ هو وعاء الخبرة البشرية، هو العلم الخاص بالجهود البشرية، أو هو المحاولة التي تستهدف الإجابة على الأسئلة التي تتعلق بجهود البشرية في الماضي، وتستشف منه جهود المستقبل. وقد يحدث الظن أن التاريخ هو الماضي أو الأحداث التي طواها الزمن في غيابه، ولم تعد تهمنا في قليل أو كثير. وليس هذا بصواب، فالتاريخ يشمل الماضي والحاضر والمستقبل معا، ولا يمكن الفصل بينهم، بل هو بالضبط وحدة لا تتجزأ، كالنهر الدفاق المياه، المتلاحق الأمواج، لا تجد في تياره فجوة، ولا تري بين أمواجه ثغره.

ويري المؤرخ راوس أن التاريخ يبحث في المجتمع الإنساني وفي حكايته وكيف أصبح الإنسان كما هو الآن[٢]. ويقول السير تشارلز فيرث عن التاريخ بأنه: " **شيء لا يسهل تعريفه، ولكن يبدو لي أنه سجل لحياة المجتمعات الإنسانية وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار التي تحكمت في توجيه نشاط تلك المجتمعات وللظروف المادية التي ساعدت أو عاقدت تطوره**"[٣].

كما عرف التاريخ بأنه فرع عظيم من فروع المعرفة، وكتابته فن قديم العهد، وكل فرد يعرف ما هو التاريخ، فكلمة التاريخ مألوفة لديه، ويعرف تماما ما تعنيه، والتاريخ يتعامل مع

(١) حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٤، ص٢١–٢٢؛ محمد محمود الحويري: منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠١، ص٧.

(٢) راوس: التاريخ أثره وفائدته، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٥.

(٣) الحويري: منهج البحث في التاريخ، ص٧.

أفكار، وأعمال الرجال والنساء الذين عاشوا في الأزمنة الماضية، وكلنا يعرف أن التاريخ يرقد خلفنا مثل بلد متعرج وغير مستو، ومن الصعب الاستدارة والعودة لهذا البلد(١).

ويعتبر ابن خلدون أول من أشار صراحة إلي فكرة التاريخ في مقدمته بقوله: " **وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو أصيل في الحكمة عريق، والحكمة في المفهوم العربي هي أعلي مراتب العلم**"(٢).

وهناك من عرف التاريخ بأنه فرع عظيم من فروع المعرفة، وكتابته فن قديم العهد، وكل فرد يعرف ما هو التاريخ، فكلمة التاريخ مألوفة لديه، ويعرف تماما ما تعنيه، والتاريخ يتعامل مع أفكار، وأعمال الرجال والنساء الذين عاشوا في الأزمنة الماضية، وكلنا يعرف التاريخ يرقد خلفنا مثل متعرج وغير مستو، ومن الصعب الاستدارة والعودة لهذا البلد(٣).

واختلفت الآراء في تفسير كلمة تاريخ وأصلها. ففي اللغة العربية يقول المؤرخ السخاوي:" **التاريخ في اللغة الإعلام بالوقت، يقال أرخت الكتاب وورخت أي بينت كتابته، قال الجوهري التاريخ تعريف الوقت، والتوريخ مثله يقال أرخت وورخت، وقيل اشتقاق من الأرخ يعني بفتح الهمزة وكسرها، والأنثى من بقر الوحش، لأنه شيء حدث كما يحدث المولد. وقد فرق الأصمعي بين اللغتين، فقال: بنو تميم يقولون ورخت الكتابة توريخا، وقيس تقول أرخت تأريخا، وهذا يؤكد كونه عربيا، وقيل إنه ليس بعربي محض بل** ومعرب مأخوذ من " ماه روز" بالفارسية، ماه القمر وروز اليوم (ومعناها حساب الشهور والأيام)(٤).

ويعرف الصولي التاريخ بقوله: " **تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه، ومنه فلان تاريخ قومه في الجود أي الذي انتهي إليه ذلك ويقال ورخت الكتاب توريخاً لغة تميم، وأرخته تأريخاً لغة قيس، وتاريخ وتاريخان وتواريخ**"(٥).

---

(١) Shyder. Detachment and the Writing of History, New York, 1958, P.41.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٨٢.

(٣) الحويري: منهج البحث في التاريخ، ص٨.

(٤) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، حقيقه وعلق عليه بالإنجليزية فرانز روزنثال، ترجمه إلي العربية صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص١٦.

(٥) أبو بكر محمد بن يحيي الصولي: أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية،١٣٤١هـ، ص١٧٨؛ الكافيجي: المختصر في علم التاريخ، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٠، ص٥٣.

كذلك ذكر أبو منصور الجواليقي: " يقال إن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض، وإنما أخذه المسلمون من أهل الكتاب، وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة، كتب في خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخا إلي اليوم. وقيل أنه عربي، واشتقاقه من " الإرخ" وهو ولد البقرة الوحشية إذا كانت أنثي، بفتح الهمزة وكسرها، كأنه شيء حدث كما يحدث الولد"[١].

وعرف المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي علم التاريخ بقوله: " **أعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي وكيفا كانت وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تغلبات الزمن ليتحرز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين ويستجلب خيار أفعالهم ويتجنب سوء أقوالهم ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي**"[٢] .

بينما يري البعض أن التاريخ يرجع إلي الأصل التاريخي لكلمة **إيسوريا** Istoria الإغريقية ويقصد منه البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة، أي لنوع من المعرفة كان يهم كل مواطن دولة المدينة الواحدة ألا وهي معرفة البلاد والعادات والمؤسسات السياسية المعاصرة أو الماضية، وسرعان ما أصبحت كلمة Istoria مقتصرة على معرفة الأحداث التي رافقت هذه الظواهر، وبذلك ولد تعبير التاريخ بمعناه الشائع، وقد أخذ الرومان تلك الكلمة بمعناها ومبناها، وظلت كلمة Istoria تعبيراً فنيا لم تتبدل حروفه بانتقاله إلي اللغات الأوروبية، ومن كلمة Histotia اشتقت الكلمات الأوروبية الحديثة مثل كلمة History الانجليزية وكلمة Histore الفرنسية.

وقد أصبح الشائع حاليا التفريق بين كلمة التاريخ History كتعبير دال على مسيرة الإنسانية الحضارية على سطح الأرض منذ القدم، وعبارة تدوين التاريخ أو كتابة التاريخ

---

(١) الجواليقي: في كتابه المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥، ص٨٩.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٩٧،ج١، ص١-٢.

Historiagraphy كتعبير عن العملية الفكرة الإنشائية التي تحاول إعادة تسجيل وبناء وتفسير مسيرة الإنسان على كوكبه. فالتاريخ أشبه ما يكون بنهر هائل متدفق تحوي مياهه كل تفاصيل نشاط وأفكار وتطلعات وأحاسيس ونجاح وإحباطات الإنسان منذ الخليقة.

أما **تدوين التاريخ**، أي العلمية الفكرية الإنشائية فليست سوي مشهد يلتقطه المؤرخ من الماضي القريب أو الماضي البعيد، ويحاول من خلال مصادره المتاحة، ومنهج علم التاريخ، وخياله العلمي كمؤرخ أن يعيد تركيبه[١].

هل التاريخ علم أم فن؟

من الأمور التي شغلت كثير من العلماء وخاصة علماء العلوم الطبيعية تحديد علم التاريخ: أو بمعنى آخر، هل التاريخ علم أم فن؟ فمنذ مطلع القرن احتدم النقاش حول طبيعة التاريخ، ودار حول ماهية التاريخ، هل هو علم أم فن؟ أي هل هو علم من العلوم الإنسانية، أم هو مجرد فرع ثانوي من أحدها.

فقد ذكر وليم ستالي جيفرنز (١٨٣٥- ١٨٨٢) William Stanley Gevrons الأستاذ بجامعة لندن " أن التاريخ لا يمكن أن يكون علماً لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة والمشاهدة والفحص والاختيار والتجربة، وبذلك لا يمكن في دراسته استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة، على المصادفة، ووجود عنصر الشخصية الإنسانية وحرية الإرادة، مما يهدم الجهود الرامية إلي إقامة التاريخ على أسس علمية، على غرار ما يفعل علماء الكيمياء أو الطبيعية

ومما يبعد بالتاريخ عن صفة العلم، في نظرهم قيام عنصر المصادفة، ووجود عنصر الشخصية الإنسانية وحرية الإرادة، مما يهدم الجهود الرامية إلي إقامة التاريخ على أسس علمية[٢].

وأيد هذا الرأي كارل بوبر Karl Popper [٣] والذي أوجز أدلته في القضايا الخمس التالية:

---

(١) قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية للتاريخ، القاهرة،١٩٨٥، ص٢٧-٢٨.

(٢) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص١٦.

(٣) عقم المذهب التاريخي، ترجمة عبد الحميد صبره، الإسكندرية، ١٩٥٩، ص٥-٦.

١- أن التاريخ الإنساني في سيره يتأثر تأثراً قويا بنمو المعرفة الإنسانية.

٢- لا يمكن لنا بالطرق العقلية أو العلمية أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا.

٣- لا يمكننا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الإنساني.

٤- يجب أن نرفض إمكان قيام تاريخ نظري، أي إمكان قيام علم تاريخي اجتماعي يقابل علم الطبيعة النظري. ولا يمكن أن تقوم نظرية علمية في التطور التاريخي تصلح أن تكون أساساً للتنبؤ التاريخي.

٥- أخطأ المذهب التاريخي في تصوره للغاية الأساسية التي يتوسل إليها بمناهجه. وببيان ذلك يتداعى المذهب التاريخي لقد دار هذا النقاش في أوروبا خصوصاً في ألمانيا، علماً أن التاريخ ظل يعتبر فناً بأوروبا المسيحية منذ العصور الوسطى وأدباً، ولا يدرجونه ضمن العلوم.

وفي حقيقة الأمر أن هذه المسألة المتعلقة "**بعلمية التاريخ المستقلة**" تم التطرق إليها ضمن صلتها بالعلوم الإنسانية في الحضارة الإسلامية منذ عدة قرون خلت عن القرن الذي نعيش فيه. لقد تناولها ابن خلدون في مقدمته؛ التي أورد منها عدة نصوص مختصرة:" **أما بعد، فإن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلي معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأُوَّل. تنمو فيها الأقوال وتُضرب فيها الأمثال. وتُطرق بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال. وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع (الحوادث) وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعَدَّ من علومها وخليق**"[1].

وذكر ابن خلدون في مقدمته فصلاً في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها: " **أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في**

(1) ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص٢٨٢.

أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلي مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضان بصاحبهما إلي الحق، وينكبان به عن المزلات والمغالط" [١]

كما أضاف ابن خلدون قوله: " **أعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.**"[٢]

وكذلك ذكر "**وأعلم أن هذا الكلام في هذا الغرض مُستَحدَث الصنعة، غريب النزعة، عزيز الفائدة، أعثر عليه البحث، وأدى إليه الغوص... وكأنه علم مستنبط النشأة ...لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة، ما أدري ألغفلتهم عن ذلك، أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه، ثم لم يصل إلينا (شيء مما كتبوه)**" [٣].

كما تناولها عبد الرحمن السخاوي في كتابه " **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** " وهو يعرف التاريخ بقوله: "**هو فن يُبحَث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيف، بل عما كان في العالم**" [٤].

وفي اعتبارنا يعود تأخر احتدام النقاش في مسألة "التاريخ بين العلم والفن" أو "علمية التاريخ" أو "استقلالية التاريخ علماً بين العلوم"، منذ صدور نظرية ابن خلدون، ومحاولة السخاوي تفسيرها؛ اللذين عاشا في القرنين الثامن والتاسع للهجرة؛ الرابع والخامس عشر للميلادي على التوالي، فظلت هذه المسألة كامنة حتى القرن التاسع عشر الميلادي؛ الذي شهد تغيرات كبرى وتطورات هائلة شملت كل مناحي المجتمعات الأوروبية، ومنها العلوم على اختلافها.

---

(١) المقدمة،ج١، ص٢٩١.

(٢) المقدمة،ج١، ص٣٢٩.

(٣) المقدمة،ج١، ص٣٣٣.

(٤) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص١٧.

أجاب المؤرخ الفيلسوف الإنجليزي "بيوري [1] Bury " في محاضرته التي ألقاها عن علم التاريخ في جامعة كمبردج في يناير سنة ١٩٠٣م بعنوان

"The Place of Modern History in Perspective of Knowledge" قائلاً : " **وإذا كان علم التاريخ يصبح عاما بعد عام وأكثر فأكثر قوة عظيمة تعمل على نزع غشاوات الخطأ، وتعين على تكوين الرأي العام، وعلى السير إلي الأمام بقضية الحرية الفكرية والسياسية، فإن العلم سيعمل جاهداً على تكوين طلابه على نحو يمكنهم من القيام بذلك الواجب لا للانتفاع به في سد مطالب الأسبوع التالي أو العام القادم أو حتى القرن الذي سيجيئ، لكن لكي يذكر دائماً أن التاريخ، وإن كان يقدم مادة للتاريخ الأدبي أو للتأمل الفلسفي، إلا " إن التاريخ علم لا أكثر ولا أقل**"

History is a seience, no more, no less

ولقيت تلك العبارة قبولاً واسعاً[٢].

كما قال أيضا:" ليس التاريخ فرعاً من فروع الأدب. وإن حقائق التاريخ تشبه حقائق علم البيولوجيا أو علم الفلك، وإن صياغة قصة المجتمع الإنساني في ثوب أدبي تزيد عن كونها جزءاً من عمل المؤرخ كمؤرخ، شأنه في ذلك ما يصنع عالم الفلك حين يسرد بطريقة فنية قصة كواكب الفضاء... علينا أن نتذكر دوماً أن التاريخ، إضافة إلى أنه يزوِّد الأدب بمادته الفنية وبأفكاره الفلسفية، هو في حد ذاته، ببساطة، علم لا أكثر ولا أقل. "

ولا يفهم من لفظة علمي استخدام المناهج والمفاهيم المستعملة في العلوم الفيزيائية. وإنما الطريقة التي يصبح بها التاريخ علميا هي التحليل المنظم النسقي والدقيق للمصادر، مع وجود منظور كاف يدخل في اعتباره المستقبل فضلا عن الماضي. هذا إلي تقدير لوحدة التاريخ واستمراره[٣].

---

(١) بيوري B. Bury.(١٨٦١-١٩٣٧) أشهر مؤرخي انجلترا في الربع الأول من القرن العشرين. كان أستاذ التاريخ الحديث بجامعة كامبردج، ومع ذلك فأنفس مؤلفاته تتصل بتاريخ الإغريق والرومان والبيزنطيين، وقد ساهم في إخراج مجموعتي كامبردج للتاريخ القديم والوسيط. إسحق عبيد: معرفة الماضي من هيرودوت إلي توينبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص١١٤-١١٦.

(٢) الحويري: منهج البحث في التاريخ، ص١٦.

(٣) ويدجري: التاريخ وكيف يفسرونه، ج٢، ص١٥٤.

كما يري المؤرخ أومان Oman أن معني التاريخ " هو بحث واستقصاء حوادث الماضي استنادا إلي اللفظ اليوناني(Historia) " [١]. كذلك يري شارل سنيوبوس[٢] أن " التاريخ علم ما في ذلك ريب، لأننا نستطيع أن نطلق كلمة " علم " على كل مجموعة من المعارف المحصلة عن طريق منهج وثيق للبحث في نوع واحد معين من الوقائع. فهو علم الوقائع التي تتصل بالأحياء من الناس في " مجتمع " خلال توالي الأزمنة في الماضي. ويدخل في عداد العلوم الوصفية وهي تختلف اختلافاً بيناً عن علوم الميكانيكا والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء لان هذه العلوم تعمل لاكتشاف قوانين متوالية ثابتة من الظواهر التي من نوع واحد ضاربة صفحاً عن الأحوال الواقعية الزمانية والمكانية، لأن هدفها ليس تقرير الواقع، بل التنبؤ بما سيكون في أحوال معلومة. أما العلوم الوصفية فأنها تسعي لمعرفة وقائع جزئية، فتبحث كيف تتوزع : أما في المكان وحده مثل علم الكون، علم الجغرافيا، علم المعادن، علم النبات، علم الحيوان. أو في المكان وتوالي الأزمنة معاً مثل علم الجيولوجيا وعلم التاريخ ، ولكن نجد أن التاريخ يجب عليه أن يدرس في آن واحد "نوعين" من الوقائع المختلفة كل الاختلاف:

١- وقائع مادية تعرف بالحواس (أحوال مادية وأفعال بني الإنسان).

٢- وقائع من طبيعة نفسانية (عواطف، أفكار، دوافع) لا يدركها إلا الشعور، ولا سبيل إلي الإضراب عنها لأنها توحي للناس بسلوكهم وتقتاد أفعالهم الحقيقية[٣].

كذلك يعالج **كولنجوود** هذه المسألة بنتيجته التالية:" **في اعتقادي أن كل مؤرخ سيتفق معي في أن التاريخ نوع من أنواع البحث العلمي، ولست أسأل الآن أي نوع من أنواع البحث هو، وإنما أن التاريخ من حيث الأصل، يندرج تحت ما نسميه بالعلوم، وهي التي يقصد بها ألواناً من التفكير تبعث فينا أسئلة معينة نحاول الإجابة عنها، ومن المهم أن**

---

(١) Oman, On the Writing of History, London,1931, P.2.

(٢) **شارل سنيوبوس:** مؤرخ فرنسي ولد في لاماستر في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٤ من أسرة بروتستنتية، دخل مدرسة المعلمين العليا بباريس في الفترة من ١٨٧٤-١٨٧٧م وحصل على الليسانس من كلية الآداب. ومن مؤلفاته في التاريخ: " تاريخ الحضارة في مجلدين، باريس ١٨٨٢-١٨٨٤م، تاريخ شعوب الشرق، التاريخ اليوناني، التاريخ الروماني، التاريخ السياسي لأوروبا المعاصر، باريس ١٨٩٧م. تقديم كتاب النقد التاريخي ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٢.

(٣) عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص١٧-١٨.

نـدرك أن العلـم يتـألف مـن تركيـز الجهـد فـي شـيء لا نعرفـه، لنحـاول أن نتعـرف علـى حقيقته"[1].

كما يقرر شوتويل نتيجة لبحوثه ما يلي :" **بالنسبة للذين يبحثون في إذا ما كان التاريخ علماً أم فناً، أستطيع أن أقول بأنه في الحقيقة علم وفن، وأنه الأمران معاً؛ ذلك لأنه من حيث مجال البحث الذي يشتمل هذه المادة يدخل ضمن نطاق العلوم، ومن خلال السرد القصصي والروائي يدخل في مجال الفنون؛ فهو إذن علم وفن، وهنا تكمن عظمة دراسة التاريخ.** "

وقد أنكر الفلاسفة الطبيعيون صفة العلم على التاريخ، واستندوا في مذهبهم هذا على نقاط أربع هي:

١- أن مادة التاريخ غير ثابتة وغير قابلة للتحديد على خلاف مواد العلوم الثابتة والمحددة.

٢- أن مادة التاريخ لا تخضع لقانون التجربة والمشاهدة، بمعنى أنه لا يمكن معاينة وقائع التاريخ معاينة مباشرة، وأن التجربة والمشاهدة أمران غير ممكنين في الدراسة التاريخية.

٣- لا يمكن الوصول في التاريخ إلى شيء "من قبيل التعميمات أو القوانين العلمية"، على اعتبار أن كل واقعة من وقائع التاريخ المُسلَّم بها، هي واقعة قائمة بذاتها، ولا يمكن تصور وقوعها في ظروف مشابهة، أو تصور ظروف يتكرر فيها وقوعها؛ بمعنى "أن التاريخ لا يعيد نفسه."

٤- أن عنصر "المصادفة" يلعب دوراً مهماً في التاريخ، الأمر الذي يجعل مستحيلاً كل تقدير مسبق من المؤرخين.

ورد المدافعون عن التاريخ كعلم على هذه النقاط بالتالي ترتيباً:

([1]) كولنجودد: فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، راجعة محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٦١، ص٤١-٤٢.

١- أن مادة التاريخ ثابتة ومحددة، وهي الإنسان الثابت، غير المتغير، الصانع لكل العلوم المادية والمطوِّر لها. فالتاريخ يبحث في الفعل ورد الفعل الصادرين عن إنسان غير متغير أصلاً " وهي نظرية توينبي في التاريخ الموسومة بـ " **التحدي والاستجابة**".

٢- إن استخدام التجربة والمشاهدة وارد في دراسة التاريخ، لأن للتاريخ دورات متشابهة على طول عهود الإنسان، وأن بدراسة هذه الدورات نستطيع أن نضع القوانين والقواعد المسبقة؛ التي تكون نسبة توقع النجاح فيها مماثلاً تقريباً لنسبة توقع النجاح في تجارب أي علم آخر، مثل: قاعدة قياس أعمار الدول، وعلامات السقوط (ابن خلدون).

٣- هناك علوم كثيرة تشترك مع التاريخ في عنصر المصادفة؛ فقد لعبت المصادفة دوراً كبيراً في التوصل إلى نظريات ونتائج علمية في علوم الطبيعة والكيمياء والتكنولوجيا والفيزياء وغيرها، مثلاً: اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية سقوط التفاحة صدفة. هذا إضافةً إلى أن الباحث في التاريخ لا يقف عند حد وصف الحوادث الماضية وتنسيقها فحسب، بل يسعى إلى الكشف عن العلاقات السببية التي توجد بينها؛ لتفسيرها وتعليلها.

ويري بعض رجال الأدب أنه سواء أكان التاريخ علماً أم لم يكن، فهو فن من الفنون، وأن العلم لا يمكنه أن يعطينا عن الماضي سوي العظام المعروفة اليابسة، وأنه لابد من الاستعانة بالخيال لكي تُنشر تلك العظام وتُبعث فيها الحياة، ثم هي بحاجة كذلك إلي براعة الكاتب حتى تبرز في الثوب اللائق بها

فلا يستطيع العلم الطبيعي أن يفسر لنا حريق موسكو في عهد نابليون بونابرت في عام ١٨١٢م إلا على أساس قوانين الاشتعال. ولابد من تدخل المؤرخ لكي يشرح الأسباب والظروف السياسية والعسكرية التي أدت إلي ذلك الحريق، ولابد من قلم المؤرخ أو قلم الأديب لكي يصف لنا الحريق وما تركه من الآثار. فكل من العالم الطبيعي والمؤرخ يشرح الحادث بطريقته، وكل منهما يكمل الآخر، وكلاهما ضروري لتقدم المعرفة الإنسانية.

ويري المؤرخ **هرنشو F.J.C. Hearnshaw** أنه على الرغم من أننا لا يمكننا أن نستخلص من دراسة التاريخ قوانين علمية ثابتة على غرار ما هو كائن في العلوم الطبيعية، فإن هذا لا يجوز أن يجرده من صفة العلم. وعنده أن العجز عن بلوغ أغراض محددة في دراسة المتيورولوجيا مثلاً، بسبب عدم دقة قوانينها، لا يُجيز نفي صفة العلم عنها. وعنده أنه يكفي في إسناد صفة العلم إلي موضوع ما، أن يمضي الباحث في دراسته، مع سعيه إلي توخي الحقيقة، وأن يؤسس بحثه على حكم ناقد اطرح منه هوي النفس، وباعد نفسه عن كل افتراض سابق، مع إمكان التصنيف والتبويب فيه[١].

كما يري هرنشو: " إن التاريخ ليس علم تجربة واختيار، ولكنه علم نقد وتحقيق، وإن أقرب العلوم الطبيعية شبها به علم الجيولوجيا. فكل من الجيولوجي والمؤرخ يدرس آثار الماضي والحاضر على السواء. ويزيد عمل المؤرخ عن عمل الجيولوجي من حيث اضطرار الأول إلي أن يدرس ويفسر العامل البشري الإرادي الانفعالي، حتى يقترب بقدر المستطاع من الحقائق التاريخية. وعلى ذلك نجد التاريخ مزاجاً من العلم والأدب والفن في وقت واحد[٢].

ويري البعض[٣] أن الظاهرة التاريخية تقوم على ثلاث دعائم هي الزمان والإنسان والمكان. ولا يمكن تصور فعل تاريخي، أو ظاهرة تاريخية خارج حدود هذه الدعائم الثلاث.

فالزمن أو الزمان وقاعدة العملية التاريخية. فالزمن هو الذي يجعل للحادثة التاريخية صفتها التاريخية. ومن المستحيل تماماً تصور أية حادثة تاريخية خارج نطاق الزمن. وهو الزمن الإنساني أي عمر الجنس البشري فوق كوكب الأرض، وهذه الفترة التاريخية من عمر الأرض هي موضوع التاريخ.

والتاريخ علم مُتَزمن أي أنه علم يتصل بالزمن أساسا. بل أن الزمن هو التاريخ في أحد معانيه. ولكل حادثة تاريخية مكانها الزماني بين الأزل والأبد، وهي ثابتة في موقعها الزمني، على حين يمضي الزمن في صيرورته الدائمة بين الحاضر والماضي والمستقبل، بحيث يصير الحاضر ماضيا، والماضي القريب ماضيا بعيدا، والمستقبل حاضراً.. وهكذا. ولأن

---

(١) هرنشو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، القاهرة،١٩٤٤، ص٦- ٧.

(٢) هرنشو: علم التاريخ، ص١٢-١٣.

(٣) قاسم عبده قاسم: فكرة التاريخ عند المسلمين قراءة في التراث التاريخي العربي، ص٣٨-٥٣.

التاريخ يتعامل مع فيض من الأحداث التي وقعت في رحاب الزمن، فهو يكشف عن أن لا شيء يبقي ثابتاً، ويوضح أن التجربة الإنسانية التي تخضع لمتغيرات الزمن غنية بالحركة ومستمرة.

يعد الإنسان هو الوحيد بين الكائنات الذي يمكنه أن يميز بين آنات الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) وهو الكائن الوحيد الذي يخضع لصيرورة الزمن ويفيد من التجارب التي ينقلها الزمن إليه. فكلما مضي زمن على الإنسان أضاف إليه مزيداً من المعرفة والخبرة وزاد في حجم التراث الحضاري للبشرية. والإنسان يكتسب بمرور الزمن مزيداً من الخبرات التي تجعله دائماً وأبداً كائناً متغيراً.

أما **المكان** أو البيئة فهو الركن الثاني من أركان الظاهرة التاريخية. فالبيئة هي مسرح العملية التاريخية الذي يهمنا التعرف على قسمات تضاريسه ومميزاته المناخية، ويمكن القول أن التاريخ علم متمكنن لأن الجغرافيا تعتبر من الحقائق الأولية في التاريخ، ولا يمكن تصور وجود الفعل التاريخي في فراغ بعيداً عن المكان أو البيئة، فالتفاعل بين الناس والبيئة في إطار الظرف الزماني هو الذي ينتج لنا الظاهرة التاريخية في أي عصر من العصور . وعلى هذا الأساس فإن البيئة بما تقدمه من معطيات تتمثل في الأرض وشكلها وطبيعتها، ودرجة خصوبتها أو جدبها، ومن حيث توفر مصادر المياه أو قلتها، وموارد الثروة المعدنية أو النباتية، والبحار والبحيرات والأنهار والجبال والتلال والسهول والوديان فضلاً عن الظروف المناخية السائدة.

أما **الإنسان** فهو منفذ العملية التاريخية. ما دام ميدان التاريخ ومجال بحثه هو ماضي النشاط البشري، فإن الارتباط بين الإنسان بوصفه فاعلاً تاريخياً، والتاريخ الذي يهتم بدراسة الفعل الإنساني ومحاوله تفسيره، يبدو غاية في الوضوح. ولا يمكن وجود ظاهرة تاريخية لا ترتبط بالإنسان، لأن الإنسان هو أداة صنع التاريخ، فلولا جود الإنسان منذ سعيه على سطح الأرض منذ سعيه على سطح الأرض لما وجد التاريخ مجالاً لعمله ولما وجد مبرراً لوجوده.

ويرى قسطنطين زريق: " التأريخ هو دراسة الماضي، والتاريخ هو الماضي ذاته يتناول التاريخ كموضوع الإنسان من حيث هو إنسان، وليس مجرد كائن حي ينمو ويتطور ويموت؛ فهو الوحيد الذي يدرك معنى الزمن، والوحيد (ذو التاريخ) الذي يصنع التاريخ ويصنعه التاريخ. أما تناول الحوادث الطبيعية فليس إلا لمعرفة تأثيرها على الإنسان، والاهتمام بدراسة

التاريخ له سببين؛ نفسي وعقلي. فالنفسي لاعتبار أن الإنسان يرى نفسه امتداداً لبني جنسه وبالتالي حرصه على التعرف على ماضي البشرية، أما العقلي فيتميز به بعض الناس للاستفادة من التجارب الماضية" [1].

طبيعة علم التاريخ

يتعذر علينا فهم التاريخ فهماً كافياً إذا ما اقتصرنا على النظر إليه من ناحية واحدة، وهي الناحية السياسية، إذ أن من لا يراه باستمرار في تشعباته التي تتوافق مع طبيعة الحقيقة، سواء المختصة بالنواحي الحضارية المختلفة، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسية التي ظلت لقرون طويلة هي طبيعة التاريخ دون سواها، يوصد أمام ذهنه كل أسباب الاستبصار، وفهم التاريخ على حقيقته.

لقد كان ابن خلدون سبَّاقاً في إدراك قصور الكتابة التاريخية المقتصرة على السياسة وأحداثها وحدها، ثم تلاه من علماء الغرب المسيحي "فولتير Voltaire "؛ الذي رأى استحالة أن يكون موضوع التاريخ فقط بياناً عن المعارك والعمليات الحربية، أو عن المؤامرات والدسائس الدبلوماسية والسياسية، بل هو واسع كثيراً. فطبيعته تقتضي أن يشمل ماضي الفكر الإنساني بأكمله، أي كل العلوم والمعارف. فإلى جانب الأحداث السياسية، ينبغي على التاريخ أن يتوافق مع طبيعته، فيرسم صورة لتقدم الاتجاهات الفكرية، والميول والتيارات الأدبية والفنية لكل عصر.

وانطلاقاً من تعريف التاريخ أنه: "السعي لإدراك الماضي البشري وإحيائه"، ينفي الأستاذ قسطنطين زريق اقتصار صلة التاريخ على الماضي كما يدل عليه المعنى الظاهري لهذا التعريف، ويؤكد على أنه لا يمكننا أن نفصل بالقطع بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، على اعتبار أن الحياة البشرية وحدة متكاملة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها. فكل ما هو حاضر اليوم، هو ماضٍ غداً، وكل ما هو مستقبل غداً هو حاضر بعده، وماضٍ في اليوم الموالي له؛ ولا يمكن أن يرتسم المستقبل دون بصمات وآثار الحاضر، ولا يمكن للحاضر أن يرتسم بدوره دون فعل ونتائج الماضي.

---

(1) قسطنطين رزيق: نحن والتاريخ، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٥، ص٥٧.

ويغوص رانكه في جوهر التاريخ، فيحدد موضوعه ويصف طبيعته التي لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت الكتابة التاريخية حية ومثمرة، ولا يمكن أن تكون بهذه الطبيعة إلا إذا اشتملت على المبادئ التالية:

١- الشعور بالفرد، على اعتبار أنه الوحدة الأساسية في المجتمع ومحور الأحداث.

٢- الشعور بالقوى الباطنية التي تشكل الأحداث وتحركها.

٣- .إدراك تطور كل حدث أو فعل من الأفعال الإنسانية الخاص به .

٤- الشعور بالأسس العامة للحياة التي تجمع بين كل العناصر السالفة الذكر.

وأخيراً نكون قد وضحنا "طبيعة علم التاريخ" وحددناها من خلال:

- " موضوعه" الذي يشتمل على النواحي السياسية والحضارية؛ و"عامل الزمن" الذي يجب أن يشتمل الماضي والحاضر والمستقبل و"عامل الحيوية" و"الفائدة "

لإدراك فائدة التاريخ وقيمة مجهودات دارسي التاريخ ومدرِّسيه يكفي أن نتصور إنسانية من غير ذاكرة، ونعيش حاضراً ثم مستقبلاً فحسب، وتلغي إلغاءً تاماً كل ما هو ماضٍ وآثاره. يبذل المؤرخ جهوداً مضنيةً في تسجيل كل ما يتعلق بالنشاط الإنساني، ويستغرق في عناء عمله صابراً، ويراكم المعارف دون توقف، وهو يفكر في الجهد اللازم بذله، عاقداً النية عليه، متوسلاً بالمناهج الكفيلة بتحقيق غايته، مواظباً على كل هذه العملية المعقدة وهو يفكر في "منفعة التاريخ"؛ أي الجدوى من عمله وفائدته

لقد تم البحث عن فائدة التاريخ منذ القدم، وأول كتابة وصلتنا في تاريخ الكتابة التاريخية هي لأبي التاريخ هيرودوت Herodote (484-431 ق.م. في مقدمة كتابه الموسوم بـ "لوجوس Logos "باليونانية، وتعني قصةً أو تاريخاً، وترجمت إلى اللاتينية بـ "هيستوريوس " Histories. استخلص هيرودوت فائدة التاريخ من خلال ما أرخه كما يلي: " الذي تعلمه هيرودوت الهاليكارناسي عن طريق البحث، تجده هنا ماثلاً بين يديك، وذلك حتى لا تنطمس ذكرى الماضي في أذهان الرجال على مر الأيام. وحتى لا تفتقر تلك الأعمال العظيمة الرائعة التي اضطلع بها اليونانيون والأجانب إلى من يظهرها للملأ"

ويقول هيرودوت في مقدمة كتابه أيضاً: "**إن الماضي هو فعل الماضي، وأن الماضي تكمن فائدته للحاضر في أنه مرشد للمستقبل.**"، ويقول في مقدمته في موضع آخر:" إن التاريخ يخدم الإنسان بحقيقة الإنسان."، وهكذا يتبين لنا أن هيرودوت رأى للتاريخ –من خلال ممارسته– ثلاثة فوائد هي:

١–تسجيل ذكريات ماضي أمة اليونان والأمم الأخرى لتخليده .

٢–صلة الماضي بالحاضر، وفائدة هذا الأخير في أنه مرشد للمستقبل.

٣– أن التاريخ يُعرِّف الإنسان بحقيقته من خلال ماضيه ليستدل بذلك إلى مستقبله بصورة أفضل.

تدور جهود المؤرخين حول النفاذ إلي الماضي بهدف استلهام أحداثه والتأمل فيها ومعرفة كل ما طرأ عليها م تغيير. ولا شك أن التنقيب ع تلك الأحداث والوقوف على كنه دوافعها ونتائجها يكشف

ان دراسة التاريخ من أوجب الدروس على الانسان لأنه بالوقوف عليه يعرف ما مضى فيتحقق ان المساوئ لا تلد الا اضراراً لصاحبها وان الحسنات لا تنتج الا منافع لصاحبها وما من أمة ارتقت الا بعد أن عرفت تاريخ سلفها.

وما من أمة انحطت وتراجعت الا لما جهلت تاريخه يحتل علم التاريخ مكانة متقدمة بين العلوم الإنسانية فهو علم يعني بدراسة أحوال الإنسان والأمم السابقة بغية الاستفادة من خبراتها وتجاربها وأخذ العبر والعظات من أحوالها، فالتفكر والتدبر مطلب رئيس لكل دارس لتاريخ الأمم والشعوب وليس مجرد المتعة والتفكة.

إن التاريخ مصدر عز وفخر للأمم تتغنى بمآثر أبطالها وأخيراً اقول للبعض من يقلل شأن التاريخ إن التاريخ علم عظيم ولولا التاريخ لما وصلت إلينا جميع الأخبار والعلوم ولم يكن لكل العلوم أن تصل إلى ما وصلنا إلية الآن فكل ما لدينا الآن هو بفضل التاريخ الذي جسد كل المآثر والبطولات والأخبار التي نقلت إلينا بكل أمانة وهي بالنتيجة وصلت بواسطة التاريخ لذلك اقول لا يقلل أي كان من شأن التاريخ أي علم فكل العلوم لها فضل علينا.

ولو اخذنا بأهمية التاريخ لما وصلنا الى ما وصلنا إلية الآن من حروب وتكالب الاستعمار علينا فالتاريخ كله عبر ودروس ولا بد من الاستفادة من هذه العبر والدروس كذلك لولا التاريخ

لم نعرف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم نعرف سيرة الانبياء والصحابة لذلك اقول واكرر ان دراسة التاريخ لا تعني مجرد الاطلاع على الوقائع والأحداث التاريخية التي مرت على الانسان منذ خلقه الله تعالى إلى يومنا هذا وانما تعني التعمق في دراسة وتحليل هذه الاحداث بكل مصداقية.

لا يمكن لمن يجهل كل شيء عن الماضي أن يفهم عصره، كما لا يمكن لمن يعايش الأحداث الحاضرة أو يساهم فيها أن يفهم عمق حقيقتها ما لم يُلمَّ بميراث الماضي، مهما كان موقفه منه.

وإن دراسة الماضي على ضوء الحاضر والمستقبل، يربط أحداث البشرية ضمن عناصر الزمن الثلاثة (الماضي، الحاضر والمستقبل)، هو المجال الذي تتحقق ضمنه" فائدة التاريخ."

ولعل أول فائدة للتاريخ تلك التي قد تبدو تافهة وهي أن نفترض ضمنا أن الاطلاع في حد ذاته قيمة مطلقة تكفي من حيث هي للدرس والتحصيل المنزة عن كل دافع أو منفعة[١].

كما أنه ليس رفاهية في بستان العلوم والمعارف أنه يساعد الفرد والأمة والشعوب والأنظمة والقادة لمعرفة الماضي لرسم سياسة الحاضر والمستقبل[٢].

وقد ذكر المؤرخ الشهير عز الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م . في مقدمة كتابه الكامل في التاريخ فوائد علم التاريخ بقوله: " ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويعرض عنها ويلغيها، ظنا منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب فنظره، وأصبح مخشلباً جوهره، ومن رزقه اللّه طبعاً سليماً، وهداه صراطاً مستقيماً، علم أنّ فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيويّة والأخروية جمة غزيرة، وها نحن نذكر شيئاً ممّا ظهر لنا فيها، ونكل إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها. فزما فوائدها الدنيوية فمنها: أن الإنسان لا يخفى أنه يحب البقاء، ويؤثرُ أن يكون في زمرة الأحياء، فيا ليت شعري أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين؟ ومنها: أن الملوك ومن إليهم الأمر

---

(١) إسحق عبيد: معرفة الماضي من هيرودوت إلي توينبي، دار المعارف، القاهرة،١٩٨١، ص١.

(٢) محمد زيان عمر: مدخل إلي علم التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٩.

والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأها مدونة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطرحوها، وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأنّ بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالهم درّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما يُنافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك، ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخراً. ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلاّ قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلاً، ويصبح لأن يقتدى به أهلاً، ولقد أحسن القائل حيث يقول شعراً:

رأيت العقل عقلين ... فمطبوعٌ ومسموع

فلا ينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلاً ثانياً توسّعاً وتعظيماً له، وإلاّ فهو زيادة في عقله الأوّل.

ومنها ما يتجمل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماع مصغيةً إليه، والوجوه مقبلةً عليه، والقلوب متأملةً ما يورده ويصدره، مستحسنةً ما يذكره.

وأما الفوائد الأخروية: فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها، ورأى تقلب الدنيا بأهلها، وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزود للآخرة منها، ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعل قائلاً يقول: ما نرى ناظراً فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري كم رأى هذا القائل قارئاً، للقرآن العزيز، وهو سيد المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولعة بحبّ العاجل.

ومنها التخلّق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق، فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرَّم، ولا ملك معظّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنه يصيبه ما أصابهم، وينوبه ما نابهم.

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق:٥٠ : ٣٧، فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلباً عقولاً ولساناً وصادقاً، ويوفقنا للسداد في القول والعمل، هو حسبنا ونعم الوكيل. فإذا طالعها فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضرهم.

كما حدد فوائد دراسة التاريخ المؤرخ الشهير عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ؛ الذي عاش في العصر التالي على ابن خلدون؛ الذي تتلمذ عليه من خلال كتبه.

يقول السخاوي بشأن فائدة التاريخ ما يلي :أما فائدته (التاريخ) فهي معرفة الدهور على وجهها، وهو يذكر أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وسننهم، فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم، والحكماء وكلامهم، والزُّهَّاد والنُّسَّاك ومواعظهم عظيم الغناء، ظاهر المنفعة. فما يصلح به الإنسان أمر معاده ودينه وسريرته في اعتقاده، وسيرته في أمور الدين، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوي.

وكذا ما يُذكَر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها، ثم انقراضها، وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء وما يتصل بذلك من الأحوال التي يتكرر مثلها وأشباهها أبداً في العالم، عزيز النفع، كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرَّب الأمور بأسرها، وباشر تلك الأحوال بنفسه؛ فيغزر عقله ويصير مجرباً غير غرٍّ ولا غُمَر. "

من خلال هذا النص يتبين لنا أن السخاوي يرى للتاريخ ثلاث فوائد هي:

١- يستفيد رجال الشرع الإسلامي من التاريخ لمعرفة سير الأنبياء والرسل والعلماء والحكماء والزهَّاد .

٢- يستفيد الحكام والأمراء والوزراء وقادة الجيوش من التاريخ باستخلاص العبر من الدول السابقة.

٣- يسترشد الدارسون والعارفون بمعرفة الماضي، فيعززون عقولهم وتزيد تجاربهم، ويقوى ذكاؤهم.

وبعد مرور المراحل والعهود التاريخية التي قطعها "التاريخ" و"الكتابة التاريخية" حتى عصرنا الحاضر، نلاحظ على ضوء تلك التطورات أن كل عالم أو أديب أو فنان لا يمكنه أن يستغني في عمله عن أخذ الماضي بعين الاعتبار، والتأثر به إلى حد قريب أو بعيد، والاسترشاد به ليسير متطوراً نحو الأفضل .فكل العلوم، سواء التجريبية منها أو الاجتماعية الأخرى، تهتم بماضي الحقائق المتعلقة بموضوعها، وتنظر إليها كأحداث ومنطلقات، وبالتالي فهي كلها تحتاج إلى التاريخ، لأن التاريخ مُنساب في شتى العلوم والآداب، مرتبط بها ومتفاعل معها.

وأعظم فائدة يقدمها التاريخ للمعرفة هي فهم الحاضر لأنه المنجم الغني الذي نتعلم منه الدروس والتحذيرات، لأن الناس تدرسه لكي تطور من حياتها على ضوء تجارب الذين سبقوهم[١].

ان المتتبع لتاريخ العالم الحديث والمعاصر يمكنه أن يجد عددا من القواعد العامة المستخلصة من التجارب الانسانية، وهو ما يعتبره بعض المؤرخين تعميمات. ومن تلك القواعد العامة التي لاحظنها ما يلي:

أن الحكم الاستبدادي قد يبني أمة أو يبني مرحلة تاريخية معينة، لكنه لا يبني الإنسان. ويمكننا تطبيق هذه المقولة إذا أرخنا لحكم نابليون بونابرت، أو محمد علي أو هتلر، أو غيره من عتاة الحكم الاستبدادي.

لذا لا يمكن أن يدخل التاريخ بيت الطاعة، لأن التاريخ يحتل مكانه في محطاته الزمنية ولا يمكن استعادته مرة أخرى، وكذلك، فإن ما نخرج به من قراءة التاريخ هو تلمس الكيفية للخروج من أزمة ما باستلهام الأمثلة التاريخية.

(١) سيد الناصري: فن كتابة التاريخ، ص١٩.

وهناك قانون يكاد يكون ثابتاً في الحركة التاريخية مؤداه أن الأمم لا تتقدم إلا بالعمل ولا يصلح حالها إلا بالعدل. وأن الأمم دائماً أقوى من الحكومات، وأن الحكام لا يبدعون، وإنما الأمم هي التي تبدع إذا ما توفرت لها الإرادة السليمة وتم توظيف إمكاناتها في خدمتها.

هذا القانون يصدق على الحضارة العربية الإسلامية والتاريخ الإسلامي، كما يصدق على أي حضارة أخرى في التاريخ: العدل مع العمل هما سبيل البناء، والفساد مع الظلم يمهدان الطريق للسقوط[١].

وأن الشعوب التي تكثر تناقضاتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية يسهل الوصول إلي حكمها يصعب قيادتها، أما الشعوب التي تقل تناقضاتها فيصعب تولي حكمها لكن يسهل قيادتها.

ولا يعني ذلك أن المؤرخ يستطيع أن يتنبأ علميا بأحداث المستقبل، لأن ذلك أمر خارج عن قدرة البشر، والمستقبل علمه عند الله. لكن الذي يمكن للمؤرخ أن يحدده خاصة إذا استخدم بعض القوانين التاريخية هو تحديد الاتجاهات العامة لقضية معينة على ضوء دراسته للأصول التاريخية والربط بين الظواهر المختلفة لتلك القضية، ويعتمد ذلك على تقدير موضوعي وادراك واع للجوانب المختلفة للموضوع، وهو ما يمكن أن نطلق عليه" التاريخ المستقبلي"، وهو ما يعني امكانية التأريخ للمستقبل بالنسبة لقضايا معينة إذا توفر للمؤرخ اهتمام كاف بتلك القضايا، والمام بمصادرها الأولية، وكان المؤرخ في نفس الوقت ذا بصيرة، وقدرة كبيرة على الفهم والتحليل والتفسير والنقد، والادراك الواعي للعلاقات التي تربط بين الظواهر المختلفة[٢].

إن دراسة التاريخ تساعد على بناء الشخصية السليمة للمواطن المدرك الواعي، لتاريخ قومه وتاريخ نفسه، لأن التاريخ هو الذاكرة القومية التي يجب أن تكون كذاكرة الفرد قوية وسليمة، فكان يفقد الفرد ذاكراته عندما يمرض، تفقد الأمة تاريخها عند تدهورها واضمحلالها، حين يتعرض تاريخها للدس والتشويش والتزوير[٣]

---

(١) قاسم عبده قاسم: " التاريخ لا يمكن أن يدخل بيت الطاعة"

(٢) عادل غنيم: في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص٣٠-٣١.

(٣) سيد الناصري: فن كتابة التاريخ، ص٢٠.

أهداف علم التاريخ:

كأي علم آخر من العلوم، هو الكشف عن فرع معين من الحقائق، وهذا النوع هو جهود الإنسان ومنجزاته في الماضي، وبصورة أدق أن التاريخ هو العلم الذي يحاول الإجابة عن الأسئلة التي تتعلق بما بذلته الإنسانية من جهود منذ كانت.

إن الهدف من البحث التاريخي هو صنع معرفة علمية من الماضي الإنساني. ونعني بالعلمية أنها تستند إلى طرائق عقلانية توصل إلى الحقيقة بقدر ما تسمح به الظروف التي تخضع لها. وهي ظروف تقنية "طبيعة الوثائق المستخدمة ووجودها"، وظروف منطقية؛ "تلك التي تحللها نظرية المعرفة." . أما **كولنجودد** فيحدد هدف التاريخ " هو معرفة الإنسان بنفسه[١].

إن لكل دراسة أهمية وفوائد عدة ولدراسة التاريخ أيضاً أهميه وفوائد كما في العلوم الأخرى، أن علم التاريخ يبحث عن حوادث البشر في الزمن الماضي وهو من أهم العلوم التي يحتاج إليها الإنسان، لأنه بمعرفته أمور جنسه يعرف نفسه، وقال احد الفلاسفة القدماء: أعظم أمر يبحث عنه الإنسان هو الإنسان، وفية يتحقق على قدر الطاقة، مصدره وغايته القصوى وشأنه في هذه الأرض، وليس التاريخ مجرد سرد للإحداث والوقائع وأنباء الحوادث فقط، فهو يتضمن ذكر ذلك مع تعين أوقات وقوع الحوادث وبيان أسبابها، فيعرف منه سبب الارتقاء الإنسان وانحطاطه وعلل سعادته وشقائه على توالى الأيام والسنين[٢].

وان دراسة التاريخ فعلي يدرس في عمق الموضوع يذكر المؤرخ الانكليزي آرثر مارفيك في كتابه المسمى " طبيعة التاريخ" إن التبرير الأساسي لدراسة التاريخ هو إنها ضرورية فهي تسد حاجة غريزة إنسانية أساسية، وتفي بحاجة أصيلة من حاجات البشر الذين يعيشون في المجتمع، وضرورة تاريخ لدى آرثر مارفيك لدى وجهان، فالتاريخ يقوم للإنسان والجماعة البشرية بوظيفة فعلية، بمعنى أن يسد حاجة المجتمع إلى معرفة نفسه ورغبته في أن يفهم علاقته بالماضي وعلاقته بالمجتمعات الأخرى وثقافاتها[٣]، ولكي ندرك أهمية الماضي

---

(١) قاسم عبده قاسم: فكرة التاريخ، ص ٤٣.

(٢) قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، بيروت،١٩٩٠، ص٣.

(٣) حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، القاهرة، ١٩٨٤، ص٣٢.

وضرورة دراسة التاريخ فلنفرض جدلاً أننا استطعنا بطريقة ما ان نقطع صلتنا نهائياً بالماضي[١].

يقول مصطفى لطفي المنفلوطي: " من يعرف التاريخ العام الذي سبق يضيف إلى عمره عدد سنوات ذلك التاريخ، وقال نابليون: على ولدي أن يقرا تاريخ ويطالع ويتنشق العلم، وان يقرأ فليقرأ ويحلل التاريخ لأنها الفلسفة الحقيقية الوحيدة وان يقرأ ويحلل الحروب لأنها الطريقة الوحيدة لتعلم الحروب[٢].

أهم فوائد التاريخ:

إذا ما التفتنا إلى الجانب الوطني ودور التاريخ في التوعية القومية، نرى أن دراسة وقراءة التاريخ تقوى اعتزاز المواطن بتاريخ وأمته، وفي هذه الحالة يكون التاريخ مصدر الهام رئيسي لعمل الإنسان وإبداعه وتضحياته ويدفعه للانتصار للخير ومناهضه الشر وليبرز نقطة الوعي القومي لدى القارئ.

ويمكن يفيد التاريخ أيضا من الناحية الأخلاقية في توسيع مدارك الناس تعويدهم على الإنصاف في الحكم، وهناك من يرى أن الفائدة الأخلاقية هي أكثر أهمية مما تجعل للتاريخ قيمة من حيث التربية وترفع مستوى الأخلاق.

كما أن التاريخ يساعد أيضا على تكوين حوافز وقيم لدى الناشئة من أبناء الوطن ،بما يبثه فيهم من توعية قومية تجعلهم يحيطون إحاطة تامة بتاريخ أمتهم ويعتزون بتراثها الحضاري والإنساني ويدركون فضلة وكيفية الإفادة منه.

الاستفادة من الوظائف الحكومية التي تشترط التاريخ في امتحان القبول مثل التعليم وأمانة المكتبات والمتاحف وسكرتارية موظفي الخدمة الاجتماعية وهي مهنة الصحافة والإعلام.

فالمعرفة التاريخية إذا ضرورية لرجال السياسة فهي التي تضمن لهم نجاحهم في أعمالهم، لأنها تزودهم بخلفيات تطور وموافق الأمم التي يتعاملون معها. فالتاريخ يعد من أهم مقومات الشخصية الوطنية والقومية، ويستخدم التاريخ إذا ما أحسنت دراسته وتدريسه أداة

---

(١) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص١٣.

(٢) قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ص٣.

لتعليق وترسيخ الوحدة الوطنية بما يحتويه من أمثلة، كما يمكن أن يعد وسيلة للنضال ضد القوى المعادية للأمة[1]

يذكر المؤرخ اليوناني بوليبيوس(١٩٨-١١٧ق.م) يعتبر التاريخ أفضل لتعليم الفلسفة عن طريق العبر والأمثلة التي يقدمها، وخلاصة رأيه في هذه المجال أن الإنسان يتعلم من الأخطاء الماضية، ولم يخرج عن ذلك ما قاله ابن خلدون(١٣٣٢-١٤٠٦م) في قيمه التاريخ وجدواه، " وإن التاريخ يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروقه في أحوال الدين والدنيا، خلاصه ما قاله ابن خلدون هي أن التاريخ في العظة والعبرة، فنحن ندرس تواريخ الدول والملوك لنتعلم ،وندرس سير الأنبياء لنتأسى بهم، وندرس تجارب الأمم ونرى ما وقعت فيه من الأخطاء لننجو بأنفسنا عن مزلات والمواطن الضرر"

يبدو التاريخ حاضرا في كل شيء حرفيا، عندما تدرس أفكار فيلسوف ما، فهو عودة للتاريخ، عندما تلجأ إلى الأرشيف لمراجعة موضوع صحافي، فهو عودة للتاريخ، عند تتبع تطور نظرية علمية، فهو عودة للتاريخ.

من هنا تأتي شمولية التاريخ ولكن في الوقت ذاته تفتيته اللامتناهي بين مختلف أوجه أنشطة الكائن الإنساني وتفاعل الأخير مع كل ما حوله، بل وتواريخ ظواهر طبيعية أثرت في حياة البشر. حميمية التاريخ مع الإنسان تجعله أحيانا كثيرة فريسة للكثير من العلوم والمقاربات المنهجية من خارجه، ربما لذلك يكون الأقل تطورا منهجيا في مختلف العلوم الاجتماعية، التي لا تخفى سعيها لابتلاعه. ربما تكمن في هذه الفوضى الخلاقة عظمة التاريخ كمتعة عقلية وتجربة منهجية تتسع لمختلف الأفكار ومحاولة لا تنتهي لفهم الوجود الإنساني والاشتباك معه، والبحث المتواصل لتفسير الدوافع البشرية والعامل الطبيعية والتفاعل الخلاق بينهما لتكوين أعظم ملحمة؛ حياة الإنسان

إن التاريخ ليس إلا حياة الناس، وأنه لم يُصنع من مادة أخري غير الهنية الحاضرة، وأن موتي الماضي كانوا أحياء مثلنا، نحن الذين بعد سنين قليلة سنصير مثلهم إلي الموت. ولكن ما منا سيتبين حقيقة هذا التغير، وما هي نسبة هذه القلة التي ستتبين ذلك إلي الجمهور

(1)عبد الواحد ذنون طه : أصول البحث التاريخي، بيروت،٢٠٠٤، ص٢٨-٣٤.

الكبير الذي لن تدركه هذه اللحظة الفارقة؟ ولكي نتذوق التاريخ وننجح فيه، يجب أن نعلم قبل كل شيء واجبنا في احراز اختبار بشري غني وقوي، وهذا ما لا يتوافر إلا بعد المرور بحوادث كثيرة تفوق الحوادث التي تأملناها، وقد مرت بممثلين فيها أو شهود لها أو عليها[١].

تقسيم العصور التاريخية

لا ريب أن مسألة تقسيم التاريخ إلي عصور تاريخية أو التزمين Periodizarion أي تقسيم الزمن إلي عصور وفترات، وتحديد بداية ونهاية لكل عصر، مسألة صعبة معقدة، وضربا من الوهم غير الحقيقي، وثار حولها الكثير من الجدل بين المؤرخين وواضعي النظريات، ولم يصلوا إلي نتيجة حاسمة قاطعة. يضطر الباحث الخوض فيه تسهيلا لعملية فهم التاريخ الطويل الذي يمتد أحقابا لا يعلم مداها إلا الله، ولقد اتضح بعد دراسات طويلة مضنية أن التاريخ ليس له بداية أو نهاية، وأن تحديد البدايات والنهايات لمختلف العصور التاريخية انما هو محاولة اجتهادية تقليدية جري عليها الكتاب والمؤرخون بقصد تسهيل دراسة التاريخ وتقريبه إلي الأفهام قدر الاستطاعة. أي ليس هناك حد فاصل حقيقي بين عصر وآخر، إنما يحاول الباحث فقط اختيار حدث كبير جلل له أثر عظيم ثم يتخذه تجاوزا نهاية لعصر قديم وبداية لعصر جديد[٢].

وعلى هذا يواجه الباحث الذي يتناول بالدراسة أي فترة تاريخية مشكلة التحديد الزمني لها، واين يضع ذلك الخط الواضح الذي يفصل بينهما وبين الفترات السابقة عنها واللاحقة لها. وليس هذا بالأمر الهين أو اليسير، لأن التاريخ عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الحقائق والأحداث المتراصة المترابطة التي لا يمكن تفتيتها أو تجزئتها أو فصلها عن بعضها، وأن كل فترة من فترات التاريخ ما هي إلا عصر تغير وانتقال من السابق إلي اللاحق.

---

(١) جُوزف هورس: قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، ط٣، بيروت – باريس، ١٩٨٦، ص٦؛ السيد محمد عبد الرحمن: غاية التاريخ فلسفة للتاريخ من خلال منظور إسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

(٢) جوزيف نسيم يوسف: " العصور الوسطي الأوروبية حدودها الزمنية والنظريات التي قامت حول بدايتها"، مجلة المؤرخ العربي بغداد العدد٥، ص١٦٠.

ومع ذلك فقد اتفق على تقسيم التاريخ إلي ثلاثة عصور رئيسية هي: القديم والوسيط والحديث، كما اتفق على تحديد كل عصر تحديدا زمنيا دقيقا. ولكن يجب أن نفهم جيدا أن هذا التحديد الجاف لا يعني بحال من الأحوال أن فترة ما تنتهي في يوم معين معلوم وأن فترة أخري تعقبها في اليوم التالي تختلف عنها في قوانينها وأنظمتها من سياسية ودينية وثقافية واقتصادية واجتماعية وغيرها. فعندما نقول مثلا أن العصور الوسطي تبدأ في القرن الخامس وتنتهي في القرن الخامس عشر للميلاد، أو أنها تقع على وجه التحديد بين عامي ٤٧٦م و ١٤٥٣م فإن ذلك لا يعني بحال أن التاريخ القديم بحضارته وأنظمته في الدين والفلسفة والفكر والقانون والاقتصاد والاجتماع قد انتهي فجأة وبدون سابق إنذار سنة ٤٧٦م، أو أن العصور الوسطي بمثلها ومبادئها ونظمها وتقاليدها قد زالت نهائيا سنة ١٤٥٣م. فلا يمكن في الواقع تحديد يوم بالذات أو سنة بعينها كنهاية للتاريخ القديم وبداية للعصر الوسيط أو كنهاية للقرون الوسطي وبداية لعصر النهضة والعصر الحديث. فمما لا شك فيه أن عناصر التاريخ القديم قد استمرت بعد سنة ٤٧٦م لتؤثر في العصر الوسيط، وإن لم تكن بنفس القوة التي كانت عليها قبل انهيار الإمبراطورية الرومانية القديمة. كما أن عناصر التاريخ الوسيط قد استمرت هي الأخرى بعد سنة ١٤٥٣م لتؤثر في عصر النهضة وان لم تكن بنفس القوة التي كانت عليها قبل انتهاء العصور الوسطي

إن دراسة أي عصر تعني إلقاء الضوء على النظم والحضارة السائدة فيه، من إجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية وعسكرية وفكرية وغيرها. وليس من الحكمة القول بأن كل هذه المظاهر التي يتميز بها عصر ما تنتهي في يوم بالذات لتحل محلها بشكل فجائي وعلى الطريقة المسرحية، خصائص أخري جديدة مغايرة. وعلى هذا فإن قيام العصور والحركات المهمة في التاريخ، وإن قيام الدول والإمبراطوريات وانهيارها، وإن الأحداث الخطيرة التي تؤثر تأثيرا بالغا في سير مجري التاريخ البشري، كل هذه لا يمكن أن تكون فجائية أو بنت يوم وليلة، إنما هي عبارة عن عمليات تطور بطيئة مستمرة تحتاج إلي فترات من الوقت ممتدة متباعدة.

ولقد سار المؤرخون على هذا النهج في أبحاثهم ودراساتهم. وكانوا يختارون حادثة معينة أو وقعة لها دلالتها أو تاريخاً له أهمية، ليكون نقطة البداية أو النهاية لفترة ما. والأمثلة على

ذلك كثيرة. إذ يعتبر بعض المؤرخين سنة ٤٧٦م التي قضي فيها البرابرة على الإمبراطورية الرومانية القديمة كبداية للقرون الوسطي الأوروبية ونهاية للتاريخ القديم. بينما يري البعض الأخر أن عصر النهضة يبدأ بالشاعر الايطالي دانتي اليجييري وملحمته الشعرية الكوميديا الالهية في القرن الرابع عشر للميلاد، أو بحركة الاصلاح الديني في القرن السادس عشر. ويجعل بعض الكتاب الثورة الفرنسية ١٧٨٩م أو نتائج مؤتمر فيينا ١٨١٥م بداية للعصر الحديث وهكذا.

ويمكننا قبل الحديث عن العصور التاريخية تقسيم الزمان إلي فترتين كبيرتين زمنيا الفارق بينهما كبير في مدي معرفتنا ودرايتنا بهما وهما:

الأولي: عصور ما قبل التاريخ pre History Ages

وهي مجمل العصور التي لم تترك لنا كتابة نستطيع من خلالها الإلمام بتفاصيل الحياة فيها، من قيام الدول واندثارها، وأسرار السياسة والحروب والمجتمعات المختلفة، وتمتد تلك العصور من أقدم الأزمنة حتى عصر المعادن أي حتى حوالي ٢٠٠٠ ق. م.

وقد يعتقد البعض عدم أهمية تلك العصور في الدراسات التاريخية، إلا أن ذلك غير حقيقي نظراً لامتداد هذه العصور امتداداً طويلاً يقاس بملايين السنين شمل فترة تكيف الانسان مع البيئة الطبيعية المختلفة، وتحويله وتطوره الجسماني، وما حدث في انتقاله من حياة فردية إلي الحياة الاجتماعية التي تستلزم وجود نظم تحكم العلاقات بين الأفراد داخل الجماعة، وبين الجماعات الأخرى.

وقد أنكب علماء ما قبل التاريخ على محاولة فك طلاسم تلك العصور السحيقة، ولم يخرجوا منها سوي بمعلومات بسيطة جداً كان من بينها تقسيمات اجتهادية لتلك العصور كالآتي:

١- العصر الحجري القديم، ويتميز بالآلات الحجرية المشظاة
٢- العصر الحجري المتوسط، وهو عبارة عن مرحلة انتقالية
٣- العصر الحجري الحديث، ويتميز بآلاته الحجرية المصقلة
٤- العصر النحاسي، وفيه المحاولات الأولي لاستخدام الآلات النحاسية
٥- العصر البرونزي، وتتطور فيه الآلات النحاسية وتستخدم كذلك البرونزية

٦- عصر الحديد الذي استخدمت فيه الآلات الحديدية

الثانية: العصور التاريخية Historical Ages

وهي تلك العصور التاريخية التي بدأت فيها الكتابة كاختراع كان غاية في الأهمية، وهو ما تفق عليه أغلب المؤرخين بتحديد بداياتها ببداية الكتابة، وبمعني أدق يمكن تحديد مطلع تلك العصور بخمسة أو ستة آلاف سنة قبل العصر الحاضر.

وقد لاحظ العلماء وجود اختلافات عديدة بين المراحل الزمنية التي عاشها الانسان، وتتميز كل فترة بمميزات اختلفت عن سابقتها وعما بعدها ولذلك فقد اتفق على تقسيمها إلي الفترات الزمنية الآتية[١].

١- العصور القديمة:Ancint History

٢- العصور الوسطي

٣- العصور الحديثة

وحاول العلماء تحديد نقطة بداية ونهاية لكل عصر من العصور الثلاثة، ولو أنها حدوداً واهية إلا أن للعلماء مبررات في اختيارها كنهاية لعصر سابق وبداية لعصر تال، ومع ذلك فلا يُعد هذا التحديد التقريبي متفقاً عليه بين كل العلماء، ولا على كل الأمم والقارات. فالأمر عليه خلاف في الرؤي، ولاسيما اختلافهما بين الأوروبيين والعرب، وكذلك شعوب الشرق الأقصى والعالم الجديد خاصة وأن تلك العصور تتداخل فيما بينها. ولا يفصلها سوي حدود تتشكل ببطء، ولم تحدث بين عشية وضحاها[٢].

العصور القديمة Ancint History

وهذه العصور تبدأ اعتبارا من مطلع الألف الثالث قبل الميلاد في الفترة التي ظهرت فيها الكتابة هي بداية العصور القديمة، ولكن الخلاف كان على نهاية تلك العصور

العصور الوسطي Middle Ages

---

(١) سالم يفوت: الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلي التواريخ الفعلية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١، ص٧.

(٢) نور الدين حاطوم وآخرون: المدخل إلي علم التاريخ، ص٢٢.

وهي تبدأ من حيث انتهت العصور القديمة حيث يوجد اختلاف في بداية العصور الوسطي وفي نهايتها وبداية العصور الحديثة.

العصور الحديثة Modern History

اختلفت الآراء في نهاية العصور الوسطي وبداية العصور الحديث بين الشرق والغرب، ويقسم بعض المؤرخين تلك العصور إلي فترتين:

الأولي: التاريخ الحديث، وهو ينتهي عندهم مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والبعض اعتبر نهايتها الحرب العالمية الأولي ١٩١٤-١٩١٨م.

الثانية التاريخ المعاصر، ويبدأ مع بداية القرن العشرين أو في أعقاب الحرب العالمية الأولي وتستمر هذه الفترة إلي الآن[١].

(١) سعد الحلواني: تأريخ التاريخ، ص٢٠-٢٤.

الفصل الثاني

صناعة المؤرخ

الفصل الثاني

صناعة المؤرخ

لا يدرس التاريخ عفواً ولا يكتب اعتباطا، وليس كل من يحاول الكتابة في التاريخ يصبح مؤرخاً، كما يتصور بعض الناس، أو كما يتخيل بعض الكتاب حينما يسطرون صفحات طويلة عن حوادث ماضية أو معاصرة، ويعتقدون بذلك أنهم يكتبون تاريخاً، ما داموا قد أمسكوا بالقلم، فلابد من أن تتوفر في المؤرخ الصفات الضرورية أن تتحقق له الظروف التي تجعله قادراً على دراسة التاريخ وكتابته[1].

١- ذا ثقافة عريضة

ولعل الصفة الأساسية للمؤرخ أن يكون ذا ثقافة عريضة، ملما بالتيارات المختلفة التي تؤثر في مجتمعه الصغير وعالمه الكبير، متفهما لتفسيرات المدارس التاريخية المختلفة، مستفيدا من أهم العلوم المساعدة للتاريخ.

وعلى المؤرخ أن يقرأ بعض النماذج المهمة من انتاج المؤرخين البارزين في مختلف العصور التاريخية

٢- حب الدراسة

كما ينبغي أن يتحلى بها كاتب التاريخ ليصبح مؤرخا هي صفة عامة لابد منها في كل الباحثين في شتي العلوم، تلك هي **حب الدراسة**. فقد يكون البحث شاقا، وقد تكون المصاعب التي تعترض الباحث أثناء عمله مصاعب جمة، كندرة المصادر وغموض الوقائع أو اختلالها واضطرابها. لكن ذلك لا ينبغي أن يصد الباحث عن بذل الجهد والصبر علي مواصلة الدراسة وأخذ منه السنين تلو السنين، ذلك إن الإسراع والتعجل يؤديان دون شك إلي طمس الحقيقة التاريخية[2].

([1]) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص ١٨.

([2]) الحويري: منهج البحث في التاريخ، ص٢٨.

ومن اللزوميات أن تتم كتابة التاريخ على خير وجه فيكون الكاتب دقيقاً غاية الدقة باذلاً كل ما في طاقته من جهد وصدق وأمانة وعدل مستعيناً بكل ما لديه من إحساس وفن وذوق، هذا كل يؤدي إلى الوصول إلى الحقيقة قدر المستطاع .ومن هنا كان لا بد أن تتوفر فيمن يتصدى لكتابة التاريخ مجموعة من الصفات والمميزات، وأن تتاح له الظروف التي تجعله قادراً على الدراسة.

٣- الصبر والتأني

ومن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤرخ **الصبر** والتأني وعدم التعجل في اصدار أحكامه، وأن يعطي بحثه الوقت الكافي للمناقشة والمقارنة والتحليل والتفسير. فقد يكون البحث وعراً شاقاً، وقد تكون المصاعب التي تعترض الباحث أثناء عمله مصاعب جمة وكبيرة؛ كندرة المصادر وغموض الوقائع والحقائق، ذلك كله لا ينبغي أن يصد الباحث عن بذل الجهد والصبر على مواصلة الدراسة.

وليس محتما أن يذكر كل الحقائق المتصلة بالموضوع الذي يعالجه، وإنما عليه أن يذكر ما توصل إليه من نتائج، وأن يحدد النقاط أو المواقف التي لم يستطع ايضاحها أو تفسيرها أو التحقق من صحتها، تاركا لغيره من الباحثين محاولة استكمال ما فاته في هذا الشأن.

٤- أميناً شجاعاً

ولا بد أن يكون المؤرخ **أميناً شجاعاً** في التعبير عن رأيه، وفي ذكر ما توصل إليه من حقائق أو نتائج، فلا يكذب باصطناع الوقائع، ولا يزيد في تفسيرها، ولا يجامل أو ينافق لإرضاء صاحب أو سلطان؛ وألا يخفي بعض الحقائق التي توصل إليها، وأن يكون هدفه خدمة الحقيقة التاريخية وحدها، فلا رقيب على المؤرخ إلا ضميره.

وإن من أمانة المؤرخ هو أن يكتب التاريخ وهو في كامل الوعي بأن كتابته ستساهم في الاستمرارية التاريخية وصنع التاريخ. بمعني أنه إذا كتب بموضوعية فهو يكرس وعيا فكريا بما يحمله ذلك الوعي من حمولات أخري سياسية أو ديمقراطية أو غيرها، أو قد يكتب دون أمانة فيكون قد شوه الواقعة التاريخية التي تحدث عنها بتزييف كما ساهم بتزييف زمن الكتابة.

فالمؤرخ يعيش في تقديري ثلاثة أزمنة: زمن الواقعة التاريخية، وزمن الذاكرة التاريخية وزمن كتابة التاريخ. ومن مسؤولية، التقلب بين الأزمنة الثلاثة بكل أمانة.

٥- ذا قدرة على تصور المواقف التاريخية المختلفة

وعلى المؤرخ أن يكون ذا قدرة على تصور المواقف التاريخية المختلفة، وأن يحاول الاندماج في ملابساتها ومعايشة أبطالها، وتبين ذلك المناخ الذي وقعت فيه الحادثة، والعوامل الموضوعية والذاتية التي أدت إليها، وأن يتعمق في نفسية الأبطال والقادة الذين أسهموا بأدوارهم في حركة التاريخ.

٦- مولعاً بعمله

ويجب أن يكون المؤرخ **مولعاً بعمله** من أجل هذا العمل بذاته، لا سعياً وراء شهرة أو فائدة مادية، عليه أن يتفرغ لما يدرس تفرعاً تاماً.

٧- صاحب حس مرهف

ومن صفات المؤرخ أن يكون **صاحب حس مرهف وعاطفة إنسانية واضحة** حتى يستطيع أن يدرك نوازع الآخرين ويتمكن من تفسير أعمالهم وتصرفاتهم والدوافع التي دفعتهم. تلك هي الصفات الرئيسية التي ينبغي أن تتوافر في من يريد أن يكون مؤرخاً.

٨- عدم التحيز

ومن الصفات الأساسية للمؤرخ **عدم التحيز**، فعليه أن يحرر نفسه من العطف أو الإعجاب أو الكراهية لجماعة من الناس: أمة، حزب، فرقة، إقليم، مدينة، أسرة، أو لمجموع من المذاهب أو المؤسسات: دين، فلسفة، فرقة سياسية، وألا يشوه الوقائع ابتغاء أن يعطي فكرة حسنة عن أصدقائه، وسيئة عن خصومه، ومنذ العصر القديم كان الشائع عند المؤرخين أن يتباهو بأنهم تجنبوا هذا أو ذلك، أي التحير مع أو ضد[١].

وقد أعطي لوشيان من ساموساتا (١٢٥-٢٠٠م) هو مؤرخ يوناني متشكك صفات المؤرخ المالي بقوله: " لا يعرف الخوف، غير قابل للفساد، حر، صديق للتعبير الحر والحقيقة، ولا يتأثر بالكراهية أو الصداقة، لا يقضي عن أي شخص، لا يظهر رثاء ولا خجل ولا خضوعا،

(١) عبد الرحمن بدوي: النقد التاريخ، الكويت، ١٩٧٧، ص١٣٠-١٣١؛ الحويري: منهج البحث، ص٢٨-٢٩.

قاض محايد، حسن السلوك مع كل الرجال إلي الحد الذي لا يعطي فيه جانبا أكثر مما يستحق، ورجل لا ينتمي إلي بلد من البلاد، مستقل، لا يخضع لأي سلطان، غير عابئ بما يظنه هذا الرجل أو ذلك ولكنه يقر الحقائق"[١].

ويري بولبيوس" إن التاريخ يجب أن ينزه عن الأغراض التي تشوه الحقائق، وإذا ما وقف المؤرخ فعليه أن يتخلي رأس عن جميع الاعتبارات كحب الانسان لصديقه وكرهه لعدوه، وعليه في بعض الأحيان ألا يتورع عن مدح أعدائه وذم أصدقائه. كما أن الانسان يفقد كل قيمته فيما إذا انتزعت منه عيناه، كذلك يفقد التاريخ كل أهميته إذا ما انتزعت منه الحقيقة ولا يبقي منه إلا قصة لا قيمة لها" [٢].

وفي مكان آخر يقول بولبيوس" إن واجب المؤرخ ليس إثارة دهشة القارئ بما يقدمه من مبالغات وأساطير، فهذا من اختصاص كتاب المأساة (التراجيديا) وإن المؤرخ الحق هو الذي يقدم الحقائق الخالصة مهما كان نوعها أو مضمونها، كما حدثت تماما دونما تحريف أو تزوير أو مبالغة، لأن هدف التاريخ مختلف تماما عن هدف التراجيديا ومعاكس له[٣].

ويكون المؤرخ بمثابة القاضي الذي لا يكون حكمه أقرب إلي العدل إلا بقدر المستوي الذي يصل إليه البعد عن التحيز والهوى. ومع هذا فإن الأصول القضائية أرحم من الأصول التاريخية، فمن أصول الأحكام القضائية براءة الذمة، وأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، أما في التاريخ فكل رواية متهمة إلي أن يقوم الدليل على براءتها، ولذا كان لابد للذي يتصدي لدراسة التاريخ أن يتجاهر بالشك النافذ المتزن، وأن ينمي في الشك والنقد[٤].

ويري البعض أن إسناد وظيفة القاضي إلي المؤرخ ليس من الصواب، لأن عمل القاضي أن يفصل فيما بين المتهم والشاكي، ويحكم بالإدانة أو البراءة. وعمل المؤرخ يختلف عن ذلك، فهو يراقب الأعمال والرجال ويصف ما يري دون أن يمدح أو يذم.

٩- البعد عن حب الشهرة والظهور

---

(١) هانز كوهن: عصر القومية، ترجمة عبد الرحمن صدقي، القاهرة، ١٩٦٤، ص٨٩.

(٢) نور الدين حاطوم وآخرون: المدخل إلي التاريخ، ص١٠٠.

(٣) نور الدين حاطوم وآخرون: المدخل إلي التاريخ، ص١٢٢.

(٤) قسطنطين رزيق: نحن والتاريخ، بيروت،١٩٥٩، ص٥٩.

وينبغي على المؤرخ أن يكون بعيداً عن حب الشهرة والظهور، وألا يحفل بالكسب والألقاب والجاه والمناصب، وأن يكرس نفسه لعمله العلمي في صمت وسكون، من غير أن يوزع جهده هنا وهناك، ودون أن يقوم بأعمال أخري، نافعة بغير شك، ولكن يمكن أن يقوم بأدائها آخرون على خير وجه، إذ أن الحقيقة العلمية التي قد يكشف عنها تعدل كل ألوان الكسب وصفوف المناصب أو تزيد عنها. ولاشك أن العاكفين المتفرغين للدرس والبحث في كافة العلوم والآداب والفنون ومنهم المؤرخون هم الذين يقوم على أكتافهم تقدم الإنسانية وازدهار الحضارة[١].

١٠- القدرة على التحليل والنقد

كذلك فإنه لابد أن يكون المؤرخ على قدرة فائقة في التحليل والنقد هذا بصيرة نافذة، وإلا أصبح مجرد رواية أو قصاصا للتاريخ ولا يستحق أن يكون بين زمرة المؤرخين. فعليه أن يخضع كل وقائعه لقواعد المنهج التاريخي حتى تأخذ كتابته الطابع العلمي وبطرح الأهواء جانبا. لأن التاريخ علم نقد وتحقيق فلا بد من أن يكون المؤرخ ناقداً نافذ البصيرة قادراً على تحليل كل وثيقة تصادفه.

١١- ألا يتأثر بالمسلمات المتواترة

ويجب على الباحث ألا يتأثر بالمسلمات المتواترة، ولا يقبل المعلومات المتوفرة، أو يصدق كل نص أو مصدر بغير الدرس والفحص اللازمين، فيأخذ الصدق الذي هو أقرب إلي العقل، ويطرح جانباً ما ليس كذلك، وإذا فقد الباحث روح النقد سقطت عنه صفته وأصبح مجرد راويا بروي كل ما يحصل عليه من معلومات على أنها حقيقة واقعة [٢].

١٢- النقد الذاتي

كما يجب على الباحث في التاريخ ألا يعفي نفسه من النقد الذاتي متى وضح خطأ أفكاره، وفي هذه الحالة يتعين على الباحث أن يبادر إلي الاعتراف بهذا الخطأ، وهذا النقد لا يعني

---

(١) الحويري: منهج البحث في التاريخ، ص٣٠.

(٢) عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ، ص١٩.

أن يراجع الباحث أفكاره ومواقفه السياسية نتيجة تغير الظروف السياسية، لأن هذا ابتذال لمعني النقد، وإبعاد للباحث عن الموضوعية، ويضعه في صفوف الانتهازية[١].

من أمثلة ذلك ما ذكره المرحوم الأستاذ الدكتور/ رءوف عباس حامد رحمه الله " ويذكر صاحب هذا القلم أيام الطلبة بالجامعة في أواخر الخمسينات من القرن العشرين عندما كنا نسمع أساتذتنا الكبار يرددون في محاضراتهم مقولة أن مصر وغيرها من البلاد العربية عاشت مرحلة ركود وجمود وتخلف في كل شيء طوال العصر العثماني، فإذا غادرنا قاعة المحاضرات، وجدنا ما في المكتبات من مراجع يردد المقولات نفسها؛ استنادا إلي ما استقر عليه رأي " ثقاة" المستشرقين! ومع الانبهار بنظرية " التحديث " أُعتبر العصر العثماني في مصر مرحلة " المجتمع التقليدي" ليصبح لما أدخله محمد علي من تغيرات في القرن التاسع عشر " تحديثا" [٢].

ولا يُخفي صاحب هذا القلم أنه كان من بين من روجوا لهذه الفكرة تأثراً بنظرية التحديث تارة، وبمفهوم " مجتمع ما قبل الرأسمالية الماركسي تارة أخري، ثم بفكرة الاستبداد الشرقي أحيانا وبمفهوم المجتمع الخراجي ... أحيانا أخري. وبذلك ضيعنا ثلاثة قرون كاملة من تاريخنا، جريا وراء أفكار نظرية صدرها لنا من وصفوا تلك القرون بأن " عصر جمود وركود وتخلف"، وكنا في الستينيات والسبعينيات نطبق تلك النظريات على تاريخنا، أو بعبارة أدق نصب تاريخنا في قوالبها صباً، ما دمنا قد سلمنا بما غلب على تلك القرون الثلاثة من جمود وركود وتخلف ثقافي[٣].

١٣- يتقبل النقد من الآخرين

ويجب على الباحث في التاريخ أن يتقبل النقد من الآخرين وهي صفة أساسية ينبغي يتحلي بها الباحث، لأن لكل باحث عادته الفكرية الخاصة، وطريقته في معالجة الأمور، وتكوينه الفكري المميز وبالتالي ينعكس كل ذلك على عمله العلمي، وقد يعجز في كثير من

---

(١) فؤاد زكريا: التفكير العلمي، ص٢١٥

(٢) رءوف عباس: كتابة تاريخ مصر.. إلي أين؟ أزمة المنهج ورؤية نقدية، ص٩٩.

(٣) نيللي حنا" ثقافة الطبقة الوسطي في مصر العثمانية (ق ١٦م- ق١٨م)، ترجمة رءوف عباس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤، مقدمة المترجم ص١٤ وما بعدها.

الأحيان عن رؤية جوانب الضعف أو النقص فيه، ويحتاج إلي من يتأمل هذا العمل بعيون أخري لكي يري فيه ما لم يره صاحبه [١]. وكان الإمام الشافعي المتوفى ٢٠٤هـ رحمه الله يقول: " رأيي صحيح يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"

١٤- العقل المنظم

ومن الأمور المهمة التي لابد أن يتحلي بها المؤرخ العقل المنظم، فبهذه الصفة يمكنه أن ينسق بين الحقائق ويميز بينها بوضوح شديد وأن يحدد العلاقة بين وقائع التاريخ من حيث الزمان والمكان، وأن لم يفعل ذلك فلسوف تختلط أمامه الأحداث وتضطرب جزئياتها الصغيرة وتتناقله أمواج بحر لجي فيغرق فيها لأنه لم يتسلح بهذه الصفة الضرورة.

١٥- الموضوعية

ومن الصفات المؤرخ المهمة أن يكون موضوعيا غير متأثر بالعوامل الذاتية، ينبغي أن يفصل الباحث في التاريخ فصلاً تاماً بين آرائه الشخصية أو معتقداته الدينية أو اتجاهاته السياسية وبين ما هو واقع وضرورة السير في الموضوعية التاريخية. وألا يقوم بدراسة موضوع ما وهو عازم مقدما وقبل بدء الدراسة على تحقيق نتائج معينة، بل على المؤرخ أن يضع فكره وثقافته وميوله في خدمة البحث العلمي والحقيقة التاريخية وحدهما دون تحيز أو مجاملة، ومهما كانت الحقيقة مرة في بدايتها فلا شك أنها سلوك قويم وتربية خلقية جديرة أن يتحلي بها كل الأفراد وفي مقدمتهم المؤرخون.

وقد يتعرض المؤرخ لشيء من الأذى أو الضرر بسبب صدقه والتزامه وموضوعيته، فعليه ألا يأخذ مواقف مضادة نتيجة لهذا الأذى. ومن النماذج الموضوعية المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي صاحب كتاب" عجائب الآثار في التراجم والأخبار"[٢] والمعاصر لوالي مصر محمد علي، فعلى الرغم مما تعرض له في عهد محمد علي من ايذاء وصلت إلي حد اعتقاد الجبرتي بدور رجال محمد علي في قتل ولده خليل، لكنه عندما كتب عن محمد علي أعطاه

---

(١) فؤاد زكريا: التفكير العلمي، ص٢١٥

(٢) يتناول تاريخ مصر من عام ١١٠٦هـ /١٦٩٤م حتى عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م. عبد الله محمد عزباوي: المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٦٢.

حقه، حيث ذكر أنه لو أوتي هذا الرجل شيئا من العدالة، لكان معجزة زمانه وفريد عصره وأوانه[1].

١٦- ذا قدرة على التعبير والتذوق والخيال

وعلى الباحث في التاريخ أن يكون ذا قدرة على التعبير والتذوق والخيال بحيث يمكنه أن يفسر لنا آراء ونوازع الآخرين فدارسه القادة أو الزعماء أو العلماء أو السياسيين ممن اختلفت مشاربهم وأطباعهم في حاجة إلي أبحاثه مدقق ينفذ إلي نفوسهم ويستخرج منها تلك الأسرار ويفسرها للقارئ وهو أمر عسير جدا ولا يستطيع القيام به إلا من أتي قدره على التذوق والخيال والإحساس.

نخلص من هذا إلي أن الشروط الواجب توفرها فيمن يتصدى لكتابة التاريخ تنقسم إلي قسمين: قسم يرجع إلي مادة المؤرخ ومعلوماته ومعارفه، وقسم يرجع إلي أخلاق المؤرخ ونفسيته.

(1) الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٢٥٨؛ عبد الله محمد عزباوي: المؤرخون والعلماء في مصر، ص١٨٢.

الفصل الثالث

العلوم المساعدة لدراسة التاريخ

- اللغات
- فقه اللغة
- علم قراءة الخطوط
- علم الوثائق
- أوراق البردي
- وثائق الجنيزا
- علم الآثار
- علم المسكوكات
- علم النقوش
- علم قراءة المخربشات
- علم الرنوك
- علم الأختام
- الجغرافيا
- علم الاقتصاد
- الأدب
- علم الانسان
- علم النفس
- علم الاجتماع
- العلوم السياسية

الفصل الثالث

العلوم المساعدة لدراسة التاريخ

من المعروف أن التاريخ إنما يتصل بكثير من فروع المعرفة الإنسانية، وبالتالي فعلي من يتصدي لكتابة التاريخ أن يقوم بتحصيل هذه المعرفة، لأنه إن أحسنها، فهو بالتالي إنما يحسن ما يكتبه من الدراسات التاريخية، لأن المؤرخ قد يصاف في دراسته للماضي مسائل في الفلسفة والقانون والاقتصاد والسياسة والجغرافية وغيرها من العلوم والمعارف، وبقدر ما تتعدد معرفة الباحث في التاريخ بفروع المعرفة المختلفة، بقدر ما يكون أكثر استعدادا لعمله كمؤرخ.

ولا يمكن للمؤرخ أن يقوم بدراسة التاريخ بمعزل عن بعض العلوم الأخرى التي تسهل مهمته في البحث والوصول غلي الحقائق التاريخية وقد اتفق كثيرون ممن خبروا دراسة التاريخ والكتابة فيه على أن هناك جملة " العلوم الموصلة"[1] أو " العلوم المساعدة " في هذا المجال. وهذه العلوم تختلف بالنسبة للباحث في التاريخ باختلاف العصر أو الموضوع مجال البحث، فدارس التاريخ القديم تختلف علومه المساعدة عن دارس التاريخ الوسيط وهذه تختلف عن دارس التاريخ الإسلامي أو التاريخ الحديث.

وليس من الضروري أن يستخدم الدارس في التاريخ كل العلوم المساعدة في أبحاثه، وإنما يمكن الإفادة منها، طبقا لمقتضي الحال، بما يخدم الموضوع الذي يدرسه، أو المرحلة التاريخية التي يعالجها، فمن الطبيعي أن يستخدم الدارس أحد العلوم المساعدة عند دراسته لموضوع بذاته، ولا يستخدمها عند دراسته لموضوع آخر، أو يستخدمها بشكل محدود. وسوف نعرض لأهم هذه العلوم:

١ – اللغات:

الواقع أن اللغات تأتي في مقدمتها جميعاً، لأنه لابد للباحث معرفة اللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث التاريخي؛ حيث لا تكفي ترجمتها إلي اللغات الحية لسبر أغوار الموضوع المراد دراسته، ولا يمكن أن تؤدي بالباحث إلي فهم جوانب الموضوع فهماً كاملاً، حيث لكل عصر من عصور التاريخ.

---

(١) أسد رستم: مصطلح التاريخ، ص١٨.

فالباحث في تاريخ مصر القديم يحتاج إلي دراسة اللغة المصرية القديمة من معرفة الخطوط الأربعة التي كتبت بها وهي:

الخط الهيروغليفي: اشتق هذا الاسم من الكلمتين اليونانيتين " Hieros" بمعني " مقدس" و"Glophos" وتعني نحت أو نقش وهي تفيد معني " **الكتابة المقدسة**"، والعلامات الهيروغليفية علامات تصويرية مأخوذة من إطار الطبيعة مثل البشر وأجزائهم وأعمالهم وأدواتهم، والحيوانات، والنباتات والزواحف والأبنية والملابس وأشياء أخري متعددة، وكان يكتب الخط الهيروغليفي من اليمين إلي اليسار أو من اليسار إلي اليمين أو من أعلى إلي أسفل(١).

الخط الهيراطيقي: اشتقت كلمة " هيراطيقي " من الكلمة اليونانية " هيراتيكوس" Hieratikos وهي تعني" كهنوتي" لان الهنة أكثر الناس استخداما لهذا الخط . وهو عبارة عن رموز مبسطة للرموز الهيروغليفية الأصلية، فيحل كل رمز فيها محل رمز من الهيروغليفية، ويرجع بداية استخدام هذا الخط إلي الأسرتين الأولي والثانية وكان هذا الخط مناسباً للكتابة على أوراق البردي بنوع خاص، وكتبت بهذا الخط النصوص الدينية لذا أطلق عليه " الكتابة المقدسة"، واستخدم هذ١الخط في الشئون الإدارية والمستندات الرسمية والمؤلفات الأدبية والعلمية والرسائل الشخصية(٢).

الخط الديموطيقي: اشتق مسمي هذا الخط من الكلمة اليونانية " ديموس " Demos والنسبة منها " ديموتيكوس" أي " شعبي " ولا يعني المسمي الربط بينه وبين الطبقات الشعبية في مصر، وهو مأخوذ من الخط الهيروغليفي، واستخدم الخط الديموطيقي في كتابة عقود البيع والنصوص القضائية والإدارية، وبعض النصوص الجنائزية والسحرية وبعض القصص(٣).

الخط القبطي: يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل اللغة المصرية القديمة وكلمة قبطي مشتقة من اليونانية " آيجوبتوس" أي مصر ومنها جاءت التسمية "ايجوبتي" أي مصري التي نطقها العرب " ايقوبطي" أي مصريين تمييزا لهم عن اليونانيين التي أطلق عليهم العرب " الروم " وبدأ استخدام الخط القبطي منذ القرن الأول قبل الميلاد وانتهي رسميا بدخول الإسلام مصر

---

(١) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة ، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٠؛ أحمد أمين سليم وسوزان عباس: ماهية التاريخ القديم، ص١٤٥-١٤٦.

(٢) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، ص١٠.

(٣) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، ص١١.

عام ٢١هـ/٦٤١م وكتبت القبطية بالحروف اليونانية بنطقها مضافا إليها سبعة أحرف من الخط الديموطيقي للتعبير عن النطق بسبعة أصوات لا توجد في اللغة اليونانية، ويمكن تمييز خمس لهجات في القبطية وهي اللجة البحيرية والصعيدية والأخميمية والفيومية والمنفية[١].

وهذه خطوط لم تظهر كلها في وقت واحد وإنما جاءت في إطار تتابع زمني يعبر عن الامتداد الزمني الطويل الذي عاشته اللغة المصرية القديمة ويعبر في نفس الوقت عن النضج الفكري للإنسان المصري القديم والذي أدرك أن متطلبات الحياة قد تتطلب بين الحين والآخر أن تكون بينها وبين الأداة المعبرة عن اللغة وهي الكتابة، تناسق ولأن الخط الهيروغليفي – خط العلامات الكاملة – هو أقدم الخطوط المصرية وأطولها عمراً وأكثرها وضوحًا وجمالاً، فقد لجأ المصري في بعض المراحل الزمنية إلى تبسيطه وتمثل ذلك في الخط الهيراطيقي، ثم لجأ إلى تبسيط آخر في مرحلة تالية، وتمثل ذلك في الخط الديموطيقى، الأمر الذي يعني أن هناك علاقة خطية واضحة بين الخطوط الثلاثة. أما الخط الرابع من خطوط اللغة المصرية القديمة وهو الخط القبطي فقد كتب بالأبجدية اليونانية مضافاً إليها سبع علامات من الكتابة المصرية القديمة في شكلها الديموطيقي لم يتوفر نطقها في العلامات اليونانية.

وقد كتبت اللغة المصرية القديمة في خطها الهيروغليفي أفقيًّا ورأسيًّا من اليمين إلى اليسار فيما عدا الحالات التي تحتم تغيير اتجاه الكتابة لتتواءم مع اتجاه منظر معين أو نص معين على عنصر معماري ذي طبيعة خاصة، كما أن التنسيق والشكل الجمالي تطلب في بعض الأحيان أن تكتب بعض النصوص من اليسار إلى اليمين.

وأما الهيراطيقية والديموطيقية فكانت تكتب دائما من اليمين إلى اليسار. ويمكن تحديد اتجاه النص بالنسبة للكتابة الهيروغليفية حسب اتجاه العلامات ذات الوجه والظهر مثل الإنسان والحيوانات والطيور والزواحف. فإذا كانت العلامة متجهة نحو اليسار هكذا.

وأما عن تطور الكتابة في مصر وهو التطور الذي يتضح من خلال ظهور خطوط أربعة للغة المصرية القديمة ذكرت من قبل فإنه يمكن حصر التطور من خط إلى آخر وبالتالي العلاقة بين خطوط هذه اللغة، يمكن حصره في إطار خطوط ثلاثة هي الهيروغليفية

---

(١) جورجي صبحي: قواعد اللغة المصرية القبطية، القاهرة،١٩٢٥، ص٥-١٠؛ أحمد أمين سليم وسوزان عباس: ماهية التاريخ القديم، ص١٤٨-١٤٩.

والهيراطيقية والديموطيقية. نظراً لوجود علاقة خطية واضحة في معظم الحالات وهي العلاقة التي لا وجود لها بالنسبة للخط الرابع وهو الخط القبطي الذي كتب بحروف يونانية.

ولقد فرضت عدة عوامل حدوث تطور لخطوط اللغة المصرية القديمة من بينها طبيعة مادة الكتابة وأداة الكتابة والموضوع وتعدد الأنشطة البشرية وخصوصاً الاقتصادية والإدارية منها. فالكتابة على الحجر والمنشآت الحجرية بوجه عام تتطلب أن تكتب العلامات بصورتها الكاملة وأن تنقش نقشا غائرا أو بارزاً.

أما عن الكتابة على ورق البردي وكسرات الفخار والحجارة والآثار الصخرية بوجه عام. فإنها تتطلب خطًّا هيروغليفيًّا مبسطاً تطور فيما بعد إلى خط أكثر تبسيطاً يعرف بالخط الهيراطيقي وقد اضطر المصري إلى تبسيط الخط الهيروغليفي تمشياً مع طبيعة مادة الكتابة (ورق البردي) ومع تزايد الأنشطة اليومية التي تطلبت خطًّا أسرع لا يتطلب مساحة كبيرة ولا جهدًا كبيرًا ولا مقابًلا ماديًّا مرتفعًا. ونظراً لقربه في بداياته الأولى من الخط الهيروغليفي المختصر فقد سمي باسم (الخط الهيراطيقي غير التقليدي) وقد راعى المصري قواعد وضوابط معينة عند التبسيط محاولاً ألا يخل بالعناصر الأساسية المكونة للعلامة ولأن الخط الهيراطيقي هو خط بلا ضوابط – كالفارق بين الخطين النسخ والرقعة في اللغة العربية (الأول يكتب بضوابط والثاني يخلو منها) فإننا لابد أن نضع في الاعتبار الاختلاف الواضح في شكل العلامة الواحدة فعلامة (البومة) كتبت بالهيراطيقية بصور مختلفة، ويجيء هذا الاختلاف ناتجاً عن عوامل كثيرة منها مادة وأداة الكتابة ومهارة الكاتب من عدمه وعوامل الزمان والمكان وطبيعة الموضوع أحياناً، وقد نجد صعوبة في بعض الحالات في تتبع التطور أو التبسيط الذي جرى للعلامة من الخط الهيروغليفي إلى الخط الهيراطيقي ومرجع ذلك للأسباب التي ذكرتها والتي تتحرك كما قلت بلا ضوابط.

ويمكن القول بوجه عام أن معظم العلامات الهيراطيقية يمكن تتبع تطورها من الهيروغليفية وأن أقلها قد نجد صعوبة في ذلك لأسباب مرتبطة فيما نعتقد بمهارة الكاتب وحالته الجسدية والنفسية عند كتابة النص ومدى اهتمامه بقلمه أو فرشاه ومادة الكتابة. وإذا كان أقدم نص هيراطيقي عثر عليه في مصر يرجع لعصر الأسرة الرابعة (٢٥٩٧-٢٤٧١ ق.م) علاوة على نص من عهد الملك "ساحورع "حيث عثر في معبده الجنائزي على مجموعة

من قطع البردي عليها كتابه هيراطيقية موزعة على متحف القاهرة وبعض المتاحف الأجنبية. إلا أن ذلك لا يعني أن الخط الهيراطيقي لم يلازم الخط الهيروغليفي منذ نشأته، لكننا لم نملك الدليل على ذلك حتى الآن. ومع نهاية الأسرة الخامسة والعشرين (٦٥٦ق.م وبداية الأسرة ٢٦) ظهر خط آخر بدا أكثر تبسيطا من الخط الهيراطيقي وهو الخط الديموطيقي وظل يستخدم في مصر حتى نهاية العصر الروماني وهو خط في بدايته قريب الشبه بالخط الهيراطيقي ولهذا سمي في مراحله المبكرة بالهيراطيقي غير التقليدي ثم أخذ يتبلور ويتخذ شكله المستقل كخط ديموطيقي مع بداية العصر البطلمي في القرن الرابع قبل الميلاد وطوال هذا العصر والعصر الروماني .والدارس للخط الديموطيقي قد يتصور لأول وهلة أن هذا الخط يمثل مرحلة التطور الثانية بعد الخط الهيراطيقي، وقد يتصور كذلك أنه يمثل مزيداً من التبسيط للخط الهيراطيقي يتناسب مع تنوع الأنشطة الدنيوية والدينية وازديادها قياسا بالعصور السابقة. لقد قطعت الدراسات الخطية في مجال خطوط اللغة المصرية القديمة شوطاً طيباً، لكن الأمر لا يزال يتطلب المزيد من الجهد والتحليل للتعرف على الكثير من خصائص رحلة تطور الكتابة في مصر من الهيروغليفية إلى الديموطيقية

من نماذج النقوش الحجرية التي كتبت بأكثر من خط ولغة حجر رشيد Rosetta stone حيث نقش عليه نصوص هيروغليفية وديموطيقية ويونانية، كان مفتاح حل لغز الكتابة الهيروغليفية، سمي بحجر رشيد لأنه اكتشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط.

وقام باكتشافه ضابط فرنسي في 19 يوليو عام1799 م إبان الحملة الفرنسية وقد نقش عام ١٩٦ ق.م. وهذا الحجر مرسوم ملكي صدر في مدينة منف عام ١٩٦ ق.م. وقد أصدره الكهان تخليدا لذكرى بطليموس الخامس، وعليه ثلاث لغات الهيروغليفية والديموطقية (القبطية ويقصد بها اللغة الحديثة لقدماء المصريين) والإغريقية، وكان وقت اكتشافه لغزا لغويا لا يفسر منذ مئات السنين، لأن اللغات الثلاثة كانت وقتها من اللغات الميتة، حتى جاء العالم الفرنسي **جيان فرانسوا شامبليون** وفسر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص اليوناني ونصوص هيروغليفية أخرى، وهذا يدل على أن هذه اللغات كانت سائدة إبان حكم البطالمة لمصر لأكثر من ١٥٠ عاما، وكانت الهيروغليفية اللغة الدينية المقدسة متداولة في المعابد، واللغة

الديموطيقية كانت لغة الكتابة الشعبية (العامية المصرية)، واليونانية القديمة كانت لغة الحكام الإغريق، وكان قد ترجم إلى اللغة اليونانية لكي يفهموه. وكان محتوى الكتابة تمجيدا لفرعون مصر وإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر، وقد كتبه الكهنة ليقرأه العامة والخاصة من كبار المصريين والطبقة الحاكمة. وكان العالم البريطاني **توماس يانج** قد اكتشف أن الكتابة الهيروغليفية تتكون من دلالات صوتية، وأن الأسماء الملكية مكتوبة داخل أشكال بيضاوية (خراطيش)، وهذا الاكتشاف أدى إلى فك العالم الفرنسي **جان فرانسوا شامبليون** رموز الهيروغليفية، واستطاع شامبليون فك شفرة الهيروغليفية عام ١٨٢٢ م، لأن النص اليوناني عبارة عن ٥٤ سطرا وسهل القراءة مما جعله يميز أسماء الحكام البطالمة المكتوبة باللغة العامية المصرية، وبهذا الكشف فتح آفاق التعرف على حضارة قدماء المصريين وفك ألغازها، وترجمة علومها بعد إحياء لغتهم بعد مواتها عبر القرون، وأصبحت الهيروغليفية وأبجديتها تدرس لكل من يريد دراسة علوم المصريات والحجر أخذه البريطانيون من القوات الفرنسية، ووضعوه في المتحف البريطاني) .

ويحتاج الباحث في تاريخ الشرق الأدنى القديم إلي معرفة المسمارية والأكادية والبابلية، والبحث في تاريخ إيران القديم والحديث يحتاج إلي معرفة اللغة الفارسية، والراغب في الكتابة عن ناحية من تاريخ اليونان القديم لابد له من معرفة اللغة اليونانية القديمة، والذي يريد الكتابة في موضوع من موضوعات التاريخ الروماني القديم وتاريخ العصور الوسطي في أوربا يلزمه أن يكون عارفاً باللغة اللاتينية أيضا.

وعلي الباحث في دراسة الدولة العثمانية وتاريخ البلاد العربية في العصر العثماني يجب عليه دراسة اللغة التركية العثمانية، ذلك هو السبيل الوحيد الذي يمكن الدارس من قراءة النصوص الأصلية بلغتها الأصلية. كما ينبغي على الباحث أيضاً أن يكون عارفاً بأكثر من لغة من اللغات الأوروبية الحديثة[١].

وكلما تعددت اللغات الأصلية القديمة أو الحديثة التي يلم بها الباحث، اتسع أمامه أفق البحث والاستقصاء. فعليه أن يكون حريصاً على دراسة ما يلزمه منها مهما كانت قديمة أو

(١) عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ، ص٦٣.

صعبة أو نادرة مثل اللغة المصرية القديمة أو اللغة الصينية أو الفارسية أو الروسية حتى يستطيع الرجوع إلي الأصول والمصادر التاريخية الأولي[١].

٢-فقه اللغة أو الفيلولوجيا Philology:

وهو من العلوم المساعدة الضرورية للبحث في فروع التاريخ المختلفة. وكلما كانت الفترة المراد دراستها بعيدة في الزمن، ازدادت أهمية فقه اللغة. ذلك أن اللغة كائن حي ينمو ويتغير ويتطور تبعا لظروف المكان والزمان، واختلاف الثقافات.

وفي بعض الأحيان قد يدل اللفظ اللغوي على معني محدد تماما، كما يمكن أن يدل على معان مختلفة باختلاف استخدامها عند كاتب بعينه. ولذلك فلابد من معرفة اللغة التي يقرأ فيها دارس التاريخ، فضلا عن الدراية بما نال ألفاظها من المعاني المتفاوتة أو المختلفة[٢]، حتى لا يفسر ما يقرأ على غير حقيقة. وتنشأ بعض الأخطاء التاريخية عادة بسبب رداءة فهم المؤرخ للدلالات الحقيقية للكلمات أو بسبب جهلة لقوانين اللغة وقواعدها[٣].

فهناك كلمات لا يجب فهمها في ضوء معني واحد، فكلمة " استعمار" تعني تعمير الأرض الخراب في الزمن القديم. وتعني في العصر الحديث سيطرة شعب على شعب آخر وذلك بعد تطور النشاط الرأسمالي[٤].

كما أن كلمة " خبز" التي كانت تطلق في العصور الوسطي على نظام الاقطاع العسكري حيث أطلق المصادر التاريخية على المخصصات العينية لرواتب رجال الجيش كلمة خبز أي إقطاع وليس المقصود به رغيف الخبز المعروف الآن[٥].

وكذلك كلمة " الانتخاب" التي إذا وجدت في مصادر التاريخ قبل الفترة الحديثة فلا تعني العملية الانتخابية البرلمانية في التاريخ المعاصر، وإنما تعني الاختيار والتعيين، ولعل أحدثها

---

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص١٦.

(٢) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٢٧.

(٣) الحويري: منهج البحث في التاريخ، ص١٨٩.

(٤) عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ، ص ٦٤.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص١٥٣؛ إبراهيم علي طرخان: النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطي، القاهرة، ١٩٦٨، ص٤٨٠.

لفظ الإرهاب فقد أطلقت على المقاومة التي تدافع عن نفسها وأرضها التي احتلت من قوة احتلال وهو لفظ على غير الحقيقة أو على المعارضة لنظام الحكم.

٣- علم قراءة الخطوط Paleography:

ويأتي بعد ذلك علم قراءة الخطوطPaleography من العلوم الأساسية لدراسة نواح كثيرة من التاريخ؛ إذ توجد أنواع مختلفة من الخطوط الشرقية تبقي كالطلاسم حتى يتعلمها الباحث ويتدرب على قراءتها. وتتضح أهمية دراسة الخطوط فهو علم لازم لدراسة التاريخ القديم والوسيط، بل ولدراسة الفترات المبكرة من التاريخ الحديث، وتبدو لنا أهمية هذا واضحة جلية حين نتصدى لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ العصور الوسطى.

ولقد نمت الخطوط العربية مثلا وتطورت وكتبت بأشكال مختلفة فمنها الطومار نسبة إلي قلم الطومار، ومنها النسخي(الثلث) والرقعة والكوفي والفارسي والمغربي والغبار(نسبة إلي دقته وكأنه ذرات الغبار)

وعن طريق هذا العلم نستطيع أن نحدد تاريخ هذه الوثيقة، وليس هناك ثمة شك في أن معلوماتنا سوف تظل قاصرةً عن قرون كاملة وطويلة من تاريخ البلاد؛ التي خضعت للعثمانيين لأن الوثائق العثمانية كتبت بعدة خطوط مثل الخط الديواني وخط القيرمة (من قيرمق التركية بمعني الثني والتكسير) مثلاً الذي دونت به وثائق النظم الإدارية والمالية في ظل الحكم العثماني. وتستلزم قراءة هذين الخطين تعليما خاصا حيث استخدم خط القيرمة في تسجيل الشئون المالية والإدارية في العصر العثماني.

٤- علم الوثائق أو علم الدبلومات Diplomatics:

من العلوم الأساسية لدراسة التاريخ علم الوثائق أو علم الدبلومات Diplomatics، والتأصيل اللُّغوي لكلمة "وثيقة "في اللُّغة العربية كلمة وثيقة في اللُّغة العربية مُشتقَّة من الفعل وَثَقَ بمعنى أئتمن، وَوَثَّقَ الأمرَ أي أحكَمَه، وَوَثَّقَ الرجُلَ أي قال فيه أنه ثِقة، ومن مَزيد الفعل للطلب استوثقَ أي أخذ منه الوثيقة، والوثيقُ أي المُحكم، ومؤنثه الوثيقة وهي ما يُعتمد به وجمعها وثائق[١].

(١) جمال الخولي: مدخل لدراسة الأرشيف .- الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، ٢٠٠٢م، ص١٣.

أما في اللُّغة الإنجليزية: إنَّ أقرب المُصطلحات أو الألفاظ التي يمكن اعتمادها كمقابل للفظ العربي "وثيقة" لفظ Recor ، ولفظ Record مُشتق من الفعل اللاتيني Recordari ومصدره .Recordum وقد استخدم هذا الفعل في الإنجليزية للدَّلالة على معنيين، الأول يتذكَّر to remember والثاني يُحيي الذكرىto recall

ومن الجدير بالذكر أنَّ أوَّل مَن وضع تعريفًا للفعل الإنجليزي to record هو العالم الإنجليزي اللُّغوي Samuel Johnson سنة ١٧٥٥م، حيث كتب عن معنى هذا الفعل(١).

"to register anything so that its memord may not be lost".

والوثائق في المعني العام تدل على كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دون منها علي الورق. ولكنها في المعني الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ، وهي الكتابات الرسمية أو شبة الرسمية مثل الأوامر والقرارات والمراسيم والبراءات والاتفاقيات والمعاهدات والمراسلات السياسية، والوثائق الشرعية، والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة أو عادات الشعوب أو نظمهم وتقاليدهم أو المشروعات أو المقترحات المتنوعة التي تصدر عن المسئولين في الدولة أو التي تقدم إليهم، أو المذكرات الشخصية أو اليوميات(٢).

وينبغي على دارس التاريخ أن يتعلم الأسلوب أو المصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يعنيه، ولابد له من أن يعرف نوع المداد المستعمل في الكتابة وتركيبه، والأقلام التي كتبت بها، وأنواع الورق المستعمل وخصائصه، مثل العلامات المائية والألياف التي تتضح عند تعرض الورق للضوء. وتستخدم بعض الوسائل العلمية لفحص الخط والحبر والورق فبواسطة بعض العدسات المكبرة الخاصة، وبواسطة المجهر يمكن تحديد ضغط القلم وميل الكتابة، والصفات الخاصة بالكاتب وطريقة كتابته لبعض الحروف، ولون الحبر. وكذلك يمكن بواسطة المجهر والتحليل والتحليل الكيميائي معرفة عمر الورق، وأحيانا يمكن الاستعانة ببعض أنواع الأشعة الحمراء والبنفسجية لإظهار الخطوط غير الواضحة أو المطموسة أو

(١) جبريل حسن العريشي، نبيل عبد الرحمن المعثم: الأرشفة الإلكترونية وإدارة الوثائق في العصر الحديث: المبادئ والأسس النظرية والتطبيقات العملية .– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٢م، ص١٨– ١٩.

(٢) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٣٠.

المغيرة عمدا، وكل هذه المعلومات تساعد الباحث على التثبت من صحة الوثائق التي تقع تحت يده أو بطلانها[١].

ولا يستطيع أحد أن ينكر أهمية الوثائق كمصدر أصلي من مصادر كتابة التاريخ. ولعل من أهم أسباب ذلك أنه لا يوجد شك كبير في أصالة وحياد الوثيقة، لأن كاتبها الذي عاش القرون السالفة لم يكن في ذهنه وقتذاك أنها سوف تكون وثيقة في وقتنا الحالي. ولا يشترط في الوثيقة من الناحية العلمية أن تكون وثيقة رسمية مثل نص معاهدة من المعاهدات أو أمر من الأوامر السلطانية أو الديوانية وإنما تكون الوثيقة خطابا من ابن لأبيه أو من صديق إلي صديقه. أو بيان حساب لأحد التجار. أو وصفه طبية علاجية، أو إيصال دين أو عقد زواج أو إجازة علمية، أو قائمة بأسعار بعض السلع والمتاجر وما إلي ذلك. وهذه الوثائق كلها ذات أهمية كبيرة في دراسة التاريخ الاقتصادي والتاريخ الحربي والتاريخ الاجتماعي والتاريخ الثقافي، وهي الميادين الجديدة لعلم التاريخ في الفترة الأخيرة[٢].

التزوير في الوثائقForgery

ويُقصد بالتزوير في الوثائق: إنشاء أيَّة وثيقة على أيَّة مادة ونسبة هذه الوثيقة مع مادتها إلى زمن غير الزمن الذي كُتبت فيه وذلك بتلفيق مادتها ومن ثَمَّ نسبتها إلى زمن أو مؤلف سابق على زمن الوثيقة وليس لاحق، لإثبات حق لا أصل له[٣].

أما عن الأسباب التي لأجلِها تُزوَّر الوثائق التاريخية فهي خمسةِ أسباب على النحو التالي:

١- **الدعاية السياسية.** مثال ذلك "بروتوكولات حكماء صهيون."

٢- **الادعاء الكاذب.** مثال ذلك "هِبة قسطنطين Donation of Constantine"

٣- **الربح والتجارة.** مثال ذلك "خطابات الملكة ماري أنطوانيت"، و"الرسائل الشخصية لأبراهام لنكولن."

---

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٣٠-٣١.

(٢) حسنين محمد ربيع: محاضرات في علم التاريخ، ص٧٩.

(٣) جمال الخولي: مداخلات في علم الدبلوماتيك العربي، ص٢٠ - ٢١.

٤- **الخديعة والتضليل.** مثال ذلك "مُزيَّفات الدواوين"، وكذلك "وثيقة الإسقاط التي أخرجها يهود خيبر بعد وفاة النبي ﷺ."

٥- **إفقاد الوثيقة صفتي اللزوم والنفاذ.** وذلك عن طريق الإقحام أو الإلحاق أو المحو أو الشطب[١].

ومن أمثلة الوثائق المزورة تلك الوثيقة التي أبرزها يهود خيبر بعد وفاة النبي – وثيقة الإسقاط – وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أسقط عنهم الجزية، وقد عُرضت هذه الوثيقة على عدد من العلماء الأعلام منهم محمد بن جرير الطبري، والخطيب البغدادي، وأبو الحسن الماوردي، وإمام الحرمين الجويني وشيخ الإسلام ابن تيميه فحكموا بزيفها وكذبها وانتحالها، لأنّ فيها شهادة معاوية بن أبي سفيان الذي أسلم يوم فتح مكة، وخيبر كانت في سنة سبع وفتح مكة كان في سنة ثمان من الهجرة، وشهادة سعد بن مُعاذ وقد تُوفيّ سعد عام الخندق سنة خمس أي قبل غزوة خيبر التي كانت سنة سبع.

ويُذكر أيضا أن هذه الوثيقة قد عرضها يهودي على الوزير العباسي ابن الفُرات، فلما قرأها قال: مزورٌ، لأنَّ خيبرَ افتُتحت بعد تاريخ كتابك بسبعةٍ وستين يومًا.

وخُلاصة ذلك أنَّ هؤلاء العلماء الأعلام نظروا في محتويات الوثيقة المزعومة اللُغوية والتاريخية وقارنوها بما يعرفون من لُغة عُهود ووثائق النبي – صلى الله عليه وسلم – وما يعرفون من الحوادث التاريخية الثابتة عندهم فحكموا بأنّها موضوعة[٢].

٥-أوراق البردي العربي

يعد علم البرديات العربية من أهم مصادر التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي بالغ الأهمية للعديد من طلاب التاريخ والحضارة والفكر والفنون والنظم والآثار والدراسات الإسلامية، وذلك لان البرديات العربية وثائق ثابتة لا يمكن أن يتطرق إليها أدني شك.

تعتبر مصر من أهم المراكز القديمة لنبات البردي وصناعته، ومنها انتشر في أكثر المراكز المتحضرة في البحر المتوسط بواسطة التجارة البحرية [١].

---

(١) محمد إبراهيم السيد: مقدمة للوثائق العربية، ص٢٠- ٢١.

(٢) قاسم السامرائي: علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠١م، ص٣٥١ – ٣٥٦.

وقد صنع المصريون القدماء الورق من نبات البردي الذي كان ينمو بكثرة في الفيوم وفي مستنقعات الدلتا، وعلي جوانب الترع والمصارف، وأتخذ شكل نبات البردي مع زهرة اللوتس كرمز للوحدة بين كل من الوجهين القبلي والبحري في التاريخ المصري القديم، وقد أقبل المصريون علي إنتاج كميات وفيرة من أوراق البردي في مصانع الإسكندرية والفيوم والبهنسا وأخميم والأشمونين وكوم إشقاو ودندره وإدفو.

وبالنسبة للموضوعات التي كتبت علي ورق البردي في العصر الإسلامي، فإنها في الواقع عديدة ومتنوعة، شملت تقريباً معظم نواحي الحياة من مراسلات ومكاتبات بين الخلفاء والولاة والعمال وأصحاب الشرطة والقضاة والمحتسبين، وهناك وثائق عبارة عن إيصالات جزية وخراج، ووثائق وقف، وهبة وصدقة وتوزيع ميراث وأحكام قضاء ووصفات طبية متنوعة لعلاج العديد من الأمراض الشائعة في هذه الفترة بواسطة بغض النباتات الشهيرة في المنطقة العربية، وفي مصر علي وجه الخصوص .

وهناك أيضا وثائق عبارة عن عقود متنوعة "عقود زواج، بيع، شراء، عمل، إيجار، تجارة". ومراسلات شخصية بين الأفراد عبارة عن خطابات للاطمئنان ومجالس الصلح وفض المنازعات وأمور شخصية تتعلق بالأسرة واحتياجاتها.

فضلاً عن وجود كشوف بأسماء العمال وأصحاب الحرف والفنون والصناعات، ووثائق تتعلق بسياسة الدولة وتنظيم أمور الديوان والجنود في البر والبحر والمؤن والعتاد وعلاقات حسن الجوار ومكاتبات الخلفاء لقادة الدول المجاورة في مناسبات سارة، وفي التحذير من الخروج علي شروط الاتفاقيات المبرمة فيما بينهم وغير ذلك.

وقد اتجهت العناية إلي دراسة الأوراق البردية العربية منذ أن عثر بعض الفلاحين بالقرب من أهرام سقارة (دير أبو هرميس) سنة ١٨٢٤م علي زلعة (جرة) صغيرة من الفخار فيها ورقتان مكتوبتان باللغة العربية[٢] وبطريقة ما تمكن مسيو دروفتى Drovetti قنصل فرنسا بالقاهرة الذي كان مغرما بالآثار المصرية من الحصول عليهما، ولم يلبث أن أرسلهما إلي

---

(١) إبراهيم شبوح: " بعض ملاحظات علي خط البرديات العربية المصرية المبكرة ومدي تأثرها بحركات إصلاح الكتابة "، ضمن الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، الجزء الأول، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٥.

(٢) عبد العزيز الدالي: البرديات العربية، القاهرة،١٩٨٤، ص٥.

المستشرق البارون سلفستر دي ساسى Silvestre De Sacy فكتب عنهما مقالا في مجلة العلماء Journal Des Savants في باريس عام ١٨٢٥ وبهذا المقال أصبح دي ساسي مؤسس علم البردي العربي دون أن يدري[١].

وبعد مضي خمسون عاماً عثر في إقليم الفيوم في أطلال أرسينوي القديمة (كيمان فارس جامعة الفيوم الآن) علي أكوام من الأوراق البردية المكتوبة باليونانية والقبطية والعربية وذلك في عام١٨٧٧م، إذ يعد إقليم الفيوم من أغني أقاليم مصر ثراء بكنوز البرديات العربية، حيث عثر علي أضخم مجموعة من البرديات العربية جادت بها أرض مصر[٢]. وقد بيع معظم هذه الأوراق إلي الأوروبيين، فتفرقت في المكتبات والمتاحف والمجموعات الأثرية، ولاسيما في فيينا وبرلين ولندن وباريس[٣].

وأصبحت أوراق البردي سلعة رائجة يتكسب منها المعدمون من الفلاحين ويحرص تجار العاديات في القاهرة على اقتناء كل ما يجدونه لدي هؤلاء المعدمين ويعوضونهم عنه بثمن بخس، ولهذا كرس بعض الفلاحين كل وقتهم للبحث عن أوراق البردي في الخرائب والأطلال المهجورة وفي أكوام السباخ ونجحوا في العثور على مجموعات أخري من أوراق البردي في تلال أهناسيا (هيراكليوبوليس) وأخميم (بانوبوليس) والبهنسا (أوكسيرينكوس) وكوم إشقاو (أفروديتوبوليس) وسقارة والأشمونين (هرموبوليس) وميت رهينة وإدفو [٤].

ووجد بعض هذه المجموعات من أوراق البردي متلاصقة متماسكة إلي حد يقرب من تحجرها مطموسة بالتراب، ووصل إلينا البعض الآخر ممزقا كله أو بعضه لرطوبة الأرض أو بفعل النيران، وهذه الأوراق الممزقة قد تكون هي الأكثر أهمية وقيمة، وكثيراً ما وجدت

---

(١) أدولف جروهمان: محاضرات في أوراق البردي العربية، ترجمة توفيق إسكاروس، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية القاهرة٢٠١٠، المحاضرة الأولي،ص٣.

(٢) أحمد فؤاد سيد: "البرديات العربية: الديوانية السياسية، والقضائية الفقهية، والشخصية العائلية، والأدبية الثقافية، التي عثر عليها في إقليم الفيوم ومدنه وقراه وضياعه، ودلالتها التاريخية والأثرية، في دراسة تاريخ الفيوم في العصر الإسلامي"، مؤتمر الفيوم الأول–الفيوم بين الماضي والحاضر، كلية الآثار بالفيوم،٢٠٠١، ص١٩.

(٣) أحمد الشامي: " أوراق البردي العربي مصدر أصيل للتاريخ الإسلامي"، مجلة المؤرخ العربي بغداد، العدد٩، ص١٢٢.

(٤) جروهمان: محاضرات في أوراق البردي، ص٥؛ سيدة كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، ص٨٦.

أوراق البردي محفوظة في جرار من فخار أو سلال أو ملفوفة في أدراج صغيرة مربوطة في دوبار أو بربطات صغيرة من البردي أيضا عليها طابع المؤلف وخاتمه [١].

ولقد تخلفت لنا من هذه الفترة المتقدمة عشرات الآلاف من الوثائق البردية الإسلامية غالبيتها صادر عن دواوين الدولة، وخاصة النواحي الإدارية والمالية، ولعل أبرزها تلك المجموعة الكاملة التي تم العثور عليها في قرية كوم أشقاو بصعيد مصر والتي كانت تعرف في العصر اليوناني باسم أفروديتو Aphrodito والتي تقع بين أبو تيج وطهطا[٢]، حيث عثر عثر بها علي العديد من لفائف البري العربي بكامل هيئتها في عدد من الجرار الفخار مطمورا في الأرض في مقبرة إسلامية مهجورة خلف كنيسة القرية، وذلك في سنة ١٩٠١م، ومعظمها الآن في المتحف البريطاني وفي متحف المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو، كما تحتفظ دار الكتب المصرية بمجموعة منها [٣]

وقد أظهرت الأوراق البردية تسامح المسلمين مع أهل الذمة، حيث تركت لهم كنائسهم وأديرتهم وصوامعهم دون أدني أذي، بل حرصوا علي حمايتهم شريطة أن يدفعوا الجزية لبيت المال، وليس أدل علي ذلك من اعتراف يوحنا النقيوسي الذي عاصر الفتح الإسلامي لمصر، حيث ذكر أن عمرو بن العاص لم يهدم الكنائس القبطية ولم يعتد عليها[٤].

وكشفت الكثير من أوراق البردي بكل وضوح مدي العدالة التي نفذها الفاتحين المسلمين أثناء فتوحاتهم من ذلك وثيقة بردية تعرف بـ " بردية أهناسيا " وهي مؤرخة في شهر جمادي الأولي سنة٢٢هـ/ مايو ٦٤٢م، وهي عبارة عن إيصال باستلام أغنام لإطعام جنود المسلمين، وهي مكتوبة بلغتين الأولي وهي العلوية باللغة اليونانية والثانية باللغة العربية وهي محفوظة حاليا في مكتبة فينا القومية بالنمسا "مجموعة الأرشيدوق راينر" في قاعة ألبرتينا Papyrus Erehrzog Rainer, folios تحت رقم سجل " perf.no.558 "، ونصها كالتالي:

النص اليوناني:

---

(١) علي إبراهيم حسن: استخدام المصادر وطرق البحث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٨٠، ص٥٣.

(٢) محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الأول البلاد المندرسة، ص ٢١.

(٣) عائشة عبد الرحمن: ذخائر البردي في مكتبة فينا "ألبرتينا"، موسكو، ١٩٦٦، ص٢٤ .

(٤) أحمد فؤاد سيد: " عدالة الحكم الإسلامي لمصر في عصر الولاة (١٨-٢٥٤هـ)، ومظاهر التسامح الديني بها، في ضوء أوراق البردي "، مجلة مركز الدراسات البردية جامعة عين شمس، مجلد ٤ ،١٩٨٩، ص ١٤٦-٢٠٦.

١- بسم الله " أنا الأمير عبد الله" أكتب إليكما خريسطفورس وتيودوراكيوس عاملي هيراكليوبوليس/ لإمداد المسلمين الذين معي أخذت ٦٥(خمسة وستين) شاة فقط في هيراكليوبوليس/ بلا زيادة، ولإيضاح ذلك حررت هذا الإقرار وكتبته أنا "حنا العمدة والشماس".في ٣٠ برموده من السنة الأولي من البريديوس الأول/ بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أخذه عبد الله/ ابن جابر وجنوده من الشاة المخصصة للذبح في هيراكليوبوليس أخذنا من هذه الشاة خمسين/ من نائب تيودوراكيوس الابن الثاني للأنبا كيروس ومن وكيل خريسطفورس أكبر أولاد الأنبا كيروس. ثم/خمس عشرة شاة أخري أعطاها لتذبح لحاشيته في مراكبه وخيالته والراجلين المدرعين. تحرر في/ شهر جمادي الأولي من سنة اثنتين وعشرين. كتبه ابن حديد "[١].

وفي ظاهر الورقة ما ترجمته: إشهاد لوضع الشاة تحت تصرف المهاجرين وغيرهم، عند سفرهم بالنهر إلي الوجه القبلي. وأُعطيت هذه الشاة وسُلمت بمقتضي الحساب خصماً من المخصصات في المدة الأولي.

نص الكتابة العربية التي بعد اليونانية

" بسم الله الرحمن الرحيم.هذا ما أخذ عبد الله/ابن جبر أصحبه من الجزر من أهنس أخذنا/ من خليفة ثدراق ابن أبو قير الأصغر ومن خليفة أصطفي ابن أبو قير الأكبر خمسين شاة/ من الجزر وخمس عشرة شاة أخري أجزرها أصحب سفنه وكتائبه وثقلاه في/شهر جمادي من سنة اثنتين وعشرين وكتب ابن حديدو."[٢].

وهذه الوثيقة تكشف بوضوح مدي سماحة وعدالة القائد عبد الله بن جابر، حيث حرر إيصالا باستلام كمية من الشياة لإطعام جنوده علي أن تخصم من الخراج المقررة علي أهل أهناس الذي مرت فيه جنود المسلمين،ضماناً لما وصله مقدماً من وكلاء هيراكليوبولس، حيث

---

(١) جروهمان: محاضرات في أوراق البردي، المحاضرة الثانية، ص ٤٥-٤٦؛ سعيد مغاوري: البرديات العربية، ص١٣٣-١٣٤.

(٢) جروهمان: المحاضرة الثانية، ص٤٦-٤٧؛ جمال الخولي: مداخلات في علم الدبلوماتيك العربي، ط٢، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص١٢٣-١٢٥.

حرر كاتب هذا الإيصال عبارة في غاية الدقة في ظهر الإيصال هكذا: "شهادة بتسليم النعاج للمحاربين ولغيرهم ممن قدموا البلاد وهذا خصما عن جزية التوقيت الأول " [١].

وكان في إمكان هذا القائد المظفر أن يسطو علي ممتلكات المصريين في قري مصر، ولكنه عدل الإسلام الذي يردع هذا القائد عن الظلم. وقد علق المستشرق " أدولف جروهمان " علي نص هذه الوثيقة الهامة بقوله: إن هذه المعاملة إزاء شعب مغلوب قلما نراها من شعب منتصر "[٢].

وتكشف أوراق كوم أشقاو البردية عن بيانات هامة عن المجتمع المصري والإدارة والنظام المالي في عهد والي مصر قرة بن شريك العبسي (٩٠-٩٦هـ/٧٠٩-٧١٥م)[٣] زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)، والذي اتهمته بعض المصادر التاريخية مثل ساويرس بن المقفع في كتابه " سير الآباء البطاركة " الذي كتبه في القرن الرابع الهجري /أواخر القرن العاشر الميلادي، أن قرة أنزل بلايا عظيمة بالمسلمين والنصارى علي السواء، وتكثر النصوص والروايات من التحدث عن ظلم قرة بن شريك وعسفه.

ولكن أوراق بردي كوم أشقاو تشهد بأن هذه الروايات غير صحيحة في مجملها فإن قرة لم يكن بالرجل الظالم أو الفاسق. ولا شك في أن أوراق البري التي ترجع إلي ولايته لتصحح الكثير من أخطاء المؤرخين المتأخرين وتوضح أشياء كثيرة من العسير علينا أن نصل إليها وسط الآراء المتضاربة للمؤرخين والفقهاء المسلمين [٤].

---

(١) أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٩-٣٠.

(٢) جروهمان: المحاضرة الثالثة، ص٥٦.

(٣) هو قرة بن شريك بن مرثد بن حازم بن الحارث العبسي، تولي إمرة مصر من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وكان أميرا على الصلاة والخراج معا، بداية من ربيع الأول عام ٩٠هـ/٧٩٨م، وحتى وفاته في ربيع الأول ٩٦هـ/ ديسمبر عام٧١٤م. الكندي: ولاة مصر، ص٨٤-٨٦؛ ابن ايبك الصفدي: الوافي بالوفيات،ج٢٤، ص١٧٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص٢١٧-٢٢٠.

(٤) سعيد مغاوري: البرديات العربية، ص ١٠-١١،ص ١٧٠ -١٧١.

ومن هذه البرديات التي تصحح هذه المغلطات بردية ترجع إلي عهد قرة بن شريك، هي عبارة عن رسالة من الوالي قرة إلي أحد عماله ويدعي "بسيل" وتاريخ البردية ربيع الأول سنة ٩١هـ

ونصها :" بسم الله الرحمن الرحيم/ من قرة بن شريك إلي بسيل/ صاحب إشقوه فإني أحمد/ الله الذي لا إله إلا هو/ أما بعد فإنه قد ذهب/ من الزمن ما قد علمت/ وقد استأخرت الجز/ يه وحضر عطاء الجند و/عطاء عيالهم وخروج الجيو/ش إن شاء الله فإذا جاءك/كتابي هذا فخذ فيما علي أرضك/ من الجزية وعجل بالأول/ فالأول مما جمعت/ ولا أعرفن ما أخرت/ما قبلك ولا كان له حبس/ فإن أهل أرضك/ قد فرغوا من زراعهم/(ثم إن) الله معينهم على/ ما كان عليهم من حق أمير/ المؤمنين فلا تكونن في أمر/ك عجز ولا تأخير ولا/ تحسبا بما قبل فإنه لو/ قد لو قد اجتمع عندي مال/قد أعطيت الجند/عطاهم إن شاء الله فاكتب/ إلي بما اجتمع عندك/ مما جبيت من الجزية/وكيف فعلت في ذلك/ والسلم علي من أتبع الهدي/وكتب جرير في شهر ربيع ا/لأول سنة احدي وتسعين" [١].

ومن خلال دراسة أوراق البردي أمكننا التعرف علي المراكز الصناعية في مصر في العصر الإسلامي وبخاصة صناعة النسيج مثل بورة، وشطا، ودميرة، ودمياط، والأشمونين، ونشا، وأنصنا، وأشمون، ومعرفة المدن المصرية التي وجد بها داراً للطراز ومن هذه المدن التي كشفت أوراق البردي عن وجود دار للطراز بها مدينة دلاص [٢]

أمدتنا أوراق البردي بالعديد من عقود الزواج التي كتبت علي ورق البردي ودراستها يكشف العديد من الأمور المتعلقة بالزواج من الصداق (المهر) والشهود وخطبة النكاح وما إلي ذلك من الأمور، وتحتفظ دار الكتب المصرية بالقاهرة عدد كبير من عقود الزواج كتبت في العصر الإسلامي علي ورق البردي [٣].

---

(١) سعيد مغاوري: البرديات العربية، ص١٧٣- ١٧٥.

C,H, Becker, Papyri schott-Reinhart I – Heidelberg 1906 pp.58-60

(٢) أحمد عبد الرازق أحمد: " أضواء جديدة علي صناعة النسيج في مصر الإسلامية من خلال أوراق البردي العربية "، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، العدد ١١، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٢٦.

(٣) أحمد الشامي: " التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام"، مركز الدراسات البردية جامعة عين شمس، القاهرة ، ١٩٨٣.

٦-وثائق الجنيزا (Geniza) :

الجنيزا لُغةً

الجنيزا أو الجنيزة (גניזה) كلمةٌ عِبريَّة تعني المستودع أو الكتابات المحررة، وهي مشتقة من الفعل (جَنَزَ) بمعنى أخفى أو خبَّأ، وتُعني في الاصطلاح اللغوي الآرامي "كنوز المحفوظات."

الجنيزا اصطلاحًا

تدل على مجموعة الوثائق المحفوظة الخاصة بجماعات اليهود الذين عاشوا في مصر والشام في العصر الوسيط، وتدل أيضًا على المكان الذي اكتشفت فيه سواء أكان معبدًا أم مقبرةً يهودية.

ويُذكر أنَّ أول أوراق الجنيزا اليهودية اكتشفت سنة ١٨٩٢م بمعبد (إبراهام بن عزرا) بمصر القديمة قبل إعادة بناءه. وقد جرى العُرف اليهودي على حفظ أيَّة ورقة مكتوب عليها اسم الله، وذلك بتخزينها في حُجرة مخصصة لهذا الغرض مُلحقة بالمعبد، وكانت تسمى بحجرة الجنيزا وهذا النوع أطلق عليه الجنيزا المؤقتة مثل جنيزا معبد "ابن عزرا" بمصر القديمة، وجنيزا معبد المصريين بحارة اليهود بحي الجمالية، وجنيزا معبد موشيه درعي بالعباسية، وعند امتلاء تلك الحجرة كان يتم نقل الجنيزا فى موكب جنائزى إلى المقابر اليهودية لدفنها هناك فتبلى مثلما يبلى الجسد وكانت تسمى بالجنيزا المستديمة مثل جنيزا المقابر اليهودية بالبساتين، وجنيزا المقابر اليهودية في حلوان، وجنيزا المقابر اليهودية بالشاطبي في الإسكندرية.

لُغة وثائق الجنيزا

معظم وثائق الجنيزا مكتوبة باللغة العِبريَّة وبعضها باللغة العربية لكن بحروف عِبريَّة، وتوجد مجموعة من وثائق الجنيزا مكتوبة بالفعل باللغة العربية تختص بمعاملات تجارية ومالية والتماسات إلى الخلفاء والحكام.

أهمية وثائق الجنيزا

تمدنا وثائق الجنيزا بمعلوماتٍ مهمة عن تاريخ اليهود في العصور الوسطى حيث تُلقي الضوء على الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لليهود في بعض بلاد العالم

الإسلامي تُغطي وثائق الجنيزا اليهودية في مصر فترة تاريخية كبيرة تمتد من العصر الفاطمي حتى العصر الحديث.
معظم وثائق الجنيزا وثائق غير رسمية، وعليه فإن المعلومات المستفادة منها صادقة إلى حدٍ ما، كما أنها بعيدة كل البُعد عن المُبالغة المعروفة في الكتابات الأدبية.

وهذه الوثائق كانت محفوظة قبل العثور عليها في غرفة خصصت للأوراق المهملة في معبد "بن عزرا" اليهودي بالفسطاط، ووجد البعض الآخر من هذه الوثائق في مقابر اليهود في منطقة البساتين القريبة من المعبد اليهودي، لذا أطلق عليها الباحثون مصطلح وثائق الجنيزة القاهرة "The Cairo Geniza Documents علي تلك المجموعتين[١].

وقد تم العثور علي وثائق الجنيزا في أواخر القرن التاسع عشر عن طريق المصادفة، ففي عام١٨٨٩-١٨٩٠ تم هدم المعبد اليهودي لإعادة بنائه، فعثر علي كميات هائلة من هذه الأوراق في حجرة من حجرات المعبد اليهودي في نهاية بهو النساء بالدور الثاني –عثرت سيدتان استكلنديتان بالصدفة عند أحد تجار العاديات علي ورقتين فأخذتاها إلي شلوموه شيخترا وسولومن شختر Solomon Schechterالذي استطاع أن ينقل كميات كبيرة من هذه الأوراق إلي مكتبة جامعة كمبردج بانجلترا عرفت باسم مجموعة تيلور–شخترا، مما جعل دور الكتب الأوروبية والأمريكية تتسارع إلي اقتناء كميات من هذه الأوراق، فوجدت مجموعة منها بمكتبة المتحف البريطاني بلندن، ومكتبة البودليان بأكسفورد، والمكتبة الوطنية بفينا–النمسا–، ومكتبة جامعة برنسون، ومكتبة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية. هذا في الوقت الذي لم تجد فيه هذه الأوراق أي اهتمام من جانب الباحثين الشرقيين، إذ أعتبرها مجموعة من الأوراق أقرب ما تكون قمامة ليس لها أي أهمية. ويقدر عدد الأوراق التي كانت في هذه الجنيزا بما يزيد عن ربع مليون ورقة معظمها قطع من كتب عبرية.

ويقدر المستشرق اليهودي جوتين Goitein العدد الحقيقي لوثائق الجنيزا ذات الصفة الوثائقية بـ ١٠ آلاف وثيقة، منها ٧ آلاف وثيقة كاملة إلي حد ما نستطيع أن نعتبرها وثائق تاريخية، يوجد منها ستة آلاف وثيقة بجامعة كمبردج، وفي مكتبة البودليان بأكسفورد حوالي ٧٠٠

(١) جان سوفاجية & كلود كاهن: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،١٩٩٨، ص٤٤

وثيقة، فضلا عن وجود ١٤ مجموعة أخري في مختلف أنحاء العالم، تحتوي علي عدد يتراوح ما بين ٦٠٠ إلي ١٠٠٠ وثيقة [١].

ويوجد الآن في مصر أيضا مجموعة من هذه الوثائق نقلت من المقابر اليهودية إلي المتحف الإسلامي ثم إلي معبد بن عزرا في مصر القديمة وأخيرا استقر بها الحال في دار الكتب والوثائق المصرية. ويوجد مجموعة من وثائق جنيزة في مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة وهي مهداة من د. ليلي أبو المجد حيث استطاعت أن تصور عددا من الأفلام حين كانت في مهمة علمية بلندن. وتوجد نسخة الآن في مركز الدراسات الشرقية وأخري في مكتبة الإسكندرية. وهناك تعاون مؤمل بين الجهتين لعمل فهرس لهذه المجموعة من الوثائق والتي تزيد علي الألفين صفحة ومحاولة قراءتها قراءة عربية. لأنه مما لا شك فيه أن القراءة العربية ستختلف عن القراءة الاستشراقية.

وقد وجد أكثر من خمسمائة وثيقة وأصدر مركز الدراسات الشرقية كتالوجا يضم تنظيمات للأوراق التي صنفت كأوراق تعليمية واقتصادية وثقافية، أن هذه الوثائق المصرية أيضا تفتح الباب أمام دارسي اللغات الشرقية للتعرف علي الكثير من المعلومات التاريخية حول الأحداث المهمة التي جرت في مصر.

وتحتوي وثائق الجنيزا علي وثائق متنوعة من خطابات وقوائم حسابات، وعقود زواج وقوائم بمنقولات الزوجة، وإيصالات، وعقود إيجار ورهن وقروض ومقايضة ومشاركة، واستبدال ووصايا وهبات وعتق، ووصفات علاجية طبية، وسجلات قضائية، فهي تشتمل علي نسخ من العهد القديم والتفاسير اليهودية وأجزاء من التلمود.

كما تشمل خطابات متبادلة بين اليهود. فيمكن أن نجد يهوديا في مصر يراسل يهوديا في المغرب أو العكس. وفتاوى فقهية، وسحر وتعاويذ وشعوذة. ويلاحظ عدم وجود اختلاف

---

(١) حسنين محمد ربيع: "وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لمؤاني الحجاز واليمن في العصور الوسطي "، كتاب مصادر الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الرياض ١٩٧٩، ص١٣١؛ محاضرات في علم التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٩٠، ص٨١؛ عطية القوصي: "الجديد في وثائق الجنيزة الجديدة "، مجلة المؤرخ المصري، العدد العاشر، يناير١٩٩٣،ص١٨٠.

كبير في وثائق الجنيزا بين وثيقة تجارية أو رسالة شخصية، حيث يجد الباحث في رسائل التهنئة أو التعزية فقرات خاصة بالأمور المالية، أو بالأخبار الخاصة بالأسرة[١].

وتغطي وثائق الجنيزا فترة زمنية طويلة تمتد من العصر الفاطمي إلي أوائل العصر العثماني وأن أكثرها يعود إلي العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م) والعصر الأيوبي (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) والقليل منها في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣-هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) والأقل من العصر العثماني [٢].

وقد كتبت معظم وثائق الجنيزا باللغة العربية ولكن بحروف عبرية، وهي الكتابة التي كان يستخدمها اليهود في بلاد العالم الإسلامي في العصر الإسلامي. وهي توضح مدي الحرية وحسن الجوار اللذين تمتع بهما اليهود في ظل حكم المسلمين. وترجع أهمية وثائق الجنيزا إلي أنها تلقي الكثير من الأضواء علي الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بلاد العالم الإسلامي مثل الأندلس والمغرب والشام و العراق وإيران والحجاز واليمن والهند بسبب حركة انتقال الناس بين هذه البلاد؛ لذا فقد أمدتنا هذه الوثائق بمعلومات فريدة لأنواع المتاجر وأثمانها وأسعار الأراضي والمنازل، وقيم الإيجار، ونفقات المعيشة، وأنواع المعاملات النقدية، وأسعار النقود وهي في غاية الأهمية لدراسة التاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي وبخاصة منطقة شرق البحر المتوسط.

فضلاً عن ذلك فإن وثائق الجنيزا تملأ الفراغ الذي تركه المؤرخون المعاصرون الذين اكتفوا في حولياتهم بذكر تواريخ الخلفاء والسلاطين والأمراء والأعيان والعلماء وأخبار الصراعات والحروب، في الوقت الذي لم يتعرضوا فيه للحديث عن المجتمع وأحوال الناس الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. من هذا المنطلق حاول بعض الدارسين اليهود أمثال جوتين الباحث الأمريكي هو أشهر من درسها وقد ظهر عمله في خمسة مجلدات تحت اسم Mediterranean Society (مجتمع البحر المتوسط) ثم اختصرها في مجلد واحد. وآشتور وكلود كاهن وغيرهم، الترويج الإعلامي بطريقة مبالغ فيها جداً لهذه الأوراق، وفي مقالات كثيرة نشرت في أهم الدوريات العالمية في شتي أنحاء العالم، وعشرات الكتب، تبدأ

---

(١) حسنين محمد ربيع: وثائق الجنيزة، ص١٣٢؛ محاضرات في علم التاريخ، ص٨٢-٨٣؛ سيد احمد الناصري: فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٨١، ص٢٠٢- ٢٠٣.

(٢) حسنين محمد ربيع: وثائق الجنيزة، ص١٣٢

جميعها بتخصيص عدة صفحات في محاولة تأكيد فكرة أن وثائق التاريخ الإسلامي قد فقد جميعها وما من سبيل للعثور عليها، وأن أوراق الجنيزا الخاصة بالجالية اليهودية بالشرق، هي التي ستملأ هذا النقص المعيب في مصادر التاريخ الإسلامي، بل راح كلود كاهن يتهم المسلمين بإهمال وثائقهم وإضاعتها، والغرض من ذلك التشكيك في مدي الدقة التي كتب بها التاريخ الإسلامي[١].

بالإضافة إلي ذلك فإن وثائق الجنيزا تحتوي علي وثائق رسمية صادرة من ديوان الإنشاء أو غيره من الدواوين، والتي تسربت بطريقة أو أخري إلي أيدي اليهود الذين استخدموا الأماكن الشاغرة في هذه الوثائق أو ظهورها في كتاباتهم المختلفة. ويزيد من أهمية وثائق الجنيزا أن معظمها كتبها أغنياء وفقراء علي حد سواء، وبالتالي فإن المعلومات المستقاة من هذه الوثائق صادقه إلي حد كبير، وبعيدة كل البعد سواء، وبالتالي فإن المعلومات المستقاة من هذه الوثائق صادقه إلي حد كبير، وبعيدة كل البعد عن المبالغة المعروفة في الكتب الأدبية .

ويضاف إلي ذلك كله أهمية وثائق الجنيزا لدراسة تاريخ اللغة العربية، والتطورات اللغوية والنحوية، لما احتوته هذه الوثائق من أساليب كثيرة مغربية ومصرية ويمنية وشامية وغيرها. وبالنسبة للغة فإنها تساعدنا علي التعرف علي اللهجات في العصر الوسيط وعلي المستوي الديني تساعد هذه الوثائق في عملية النقد النصي لأسفار العهد القديم. ولكن ليس من السهل البحث في وثائق الجنيزا، إذ تواجه البحث عدة صعوبات منها: أن وثائق الجنيزا ليست مرتبة ترتيبا تاريخيا، وإنما هي شبيهة بسلة المهملات التي القي فيها الأوراق المختلفة بعد الاستغناء عنها، فاختلط بعضها ببعض، مما أدي إلي أن الباحث قد يجد جزءا من وثيقة في مجموعة وثائق مكتبة جامعة كمبردج، ويجد جزءا ثانيًا من نفس الوثيقة في مجموعة مكتبة البودليان بأكسفورد، ويجد جزءا ثالثاً في مكان آخر، وجزءا رابعاً قد لا يعثر عليه إلي الأبد[٢].

ومن الصعوبات التي تواجه الباحث عند استخدام وثائق الجنيزا؛ هي أن الناس اعتادوا

---

(١) أحمد فؤاد سيد: " أوراق جنيزة القاهرة، هل هي امتداد لعلم البرديات العربية ودراساته"، مركز الدراسات البردية – جامعة عين شمس،١٩٨٣، ص٢٣٣-٢٨٦؛ مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي، دار النهضة العربية، القاهرة ،١٩٩٦، ص٥٧.

(٢) سيد الناصري: فن كتابه التاريخ، ص٢٠٤

بسبب غلاء ثمن الورق في العصر الإسلامي، مما أدي إلي صعوبة حل رموز بعض هذه الكتابات لما تعرضت له هذه الوثائق من عوامل الزمان والرطوبة والجفاف، ونتيجة استخدام الأحبار الرخيصة واختلاف الخطوط من بلد إلي آخر ومن عصر لعصر. يضاف إلي هذه الصعوبات أن معظم وثائق الجنيزا لا تحمل تواريخ، وبالتالي يكمن الخطر الحقيقي في اعتماد الباحث علي وثيقة غير مؤرخه في عصر لكي يبرهن علي صحة ظاهرة أو حدث تاريخي في عصر أخر. لذا يجب أتباع الحذر والدقة عند استخدام وثائق الجنيزا التي لا تحمل تواريخ محددة، و يستدعي هذا ضرورة معرفة الباحث بأنواع الخطوط والأحبار والورق والمصطلحات لكل عصر من العصور التاريخية المختلفة.

٧- علم الآثار:

ومن العلوم الأساسية لدارس التاريخ علم الآثار. والآثار هي من أقوي المصادر لأنها باقية، وشاهده علي عصرها الذي صنعت فيه، وتسد فراغا في المصادر التاريخية التقليدية.

وهي كل ما وصل إلينا من العصور الماضية من مخلفات مادية، مثل العمائر بأنواعها الدينية (المساجد – الكنائس – المعابد – الزوايا – الأربطة – الخانقاوات – التكايا) والحربية (القلاع – الأبراج – الحصون – الأسوار) والمدنية (الحمامات – الأسبلة – القصور – المنازل) والتعليمية (الكتاتيب – المدارس – المكتبات) والاقتصادية (الأسواق – الحوانيت – الفنادق – القياسر – الخانات – الدكاكين)، وكذلك أدوات المعيشة وأدوات الزينة والآت العمل واللباس بأنواعها ومفرداتها.

هذه الآثار والمصادر المادية، سواء حملت بعض الكتابات والنصوص التذكارية، أو أدت بطبيعتها واستخدامها وشكلها إلي استنتاج بعض الحقائق والمعلومات، تمثل مصدراً بالغ الدقة والخطورة في تقديم الحقيقة التاريخية بشكل أقوي وأهم مما تفعله المصادر التاريخية الروائية.

٨- علم المسكوكات Numismatics

أما علم المسكوكات أو علم النميات[١]. فهو العلم الذي يهتم بدراسة تلك القطع من المعدن المصهور أو المطروق التي تصدرها السلطة الحاكمة، على اختلاف أنواعها من دنانير ذهبية ودراهم فضية وفلوس نحاسية .لحسن الحظ فإن النقود أكثر بقاء من الشعوب والأماكن التي مثلتها. لقد ذهب الأنباط، وكذلك الإمبراطورية الرومانية، وغيرها من الدول وما زالت العملة التي سكوها موجوده. وتستطيع المسكوكات أن تعيد لمخيلتنا صوراً حية. لإمبراطوريات ودول اندثرت منذ زمن بعيد، وذلك من خلال الصور الجميلة الرائعة التي نُقشت عليها. وهكذا تعد المسكوكات الإسلامية مصدر مهم من مصادر التاريخ الإسلامي، فهي وثائق صحيحة يصعب الشك فيها لكونها احدى شارات الملك أو السلطان[٢]. كما تعد مرآة صادقة للعصر الذي ضربت فيه، تعكس بصدق جميع احوال الدولة التي سكتها من الناحية السياسية والدينية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية وفيما يلي عرض لأهمية دراسة علم النميات لدراسة التاريخ الإسلامي

الناحية السياسية:

تعتبر النقود إحدى شارات الحكم والسلطان، والتي يحرص كل حاكم على اتخاذها بمجرد توليه الحكم بعد أن يعتلي عرش دولته أن يأمر بالدعاء له في خطبة الجمعة، وينقش أسمه علي شريط الطراز، ويضرب النقود باسمه تعبيرا عن كيانه السياسي الجديد، وتتجلى أهمية النقود من الناحية السياسية فيما سجل عليها من أسماء خلفاء وملوك وحكام وأمراء وولاة، كما أن تصنيف هذه النقود يساعد على دراسة الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، وضبط تواريخ حكمها بصورة دقيقة. كما أن تسجيل مدن الضرب على هذه النقود يوضح امتداد نفوذ كل حاكم، والأقاليم الخاضعة له [٣].

---

(١) النميات جمع النمي ومعناها الفلوس أو الدراهم، وهذه الكلمة مشتقة من اللاتينية واليونانية ,Nummus و Nomo بمعني الفضة المضروبة أو النقد والأنواط ومنها مادة Numismatics في اللغات الأوروبية. سيدة كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، ص ٩٩.

(٢) عبد الرحمن فهمي: النقود العربية ماضيها وحاضرها، المكتبة الثقافية، فبراير،١٩٦٤، ص٥.

(٣) رأفت محمد النبراوي: النقود الإسلامية منذ القرن السادس وحتى القرن التاسع الهجري،القاهرة ، ١٩٩٩،ص

كما تعد النقود سجلا للألقاب والنعوت التي تلقي الضوء على الكثير من الأحداث السياسية الهامة في العالم الإسلامي، ويتجلى ذلك على سبيل المثال في تسجيل لقب " قسيم أمير المؤمنين " على نقود دولة المماليك البحرية. ذلك أن الظاهر بيبرس بعد قتله الملك المظفر قطز واستيلائه على حكم مصر والشام، انتزع موافقة الخليفة العباسي على حكمه لكي يتحصن ضد محاولات أمراء المماليك في انتزاع العرش منه، وتلقب بلقب " قسيم أمير المؤمنين ".[١]

وقد أدرك الثوار والخارجون أهمية النقود من الناحية السياسية بوصفها إحدى شارات الملك والسلطان، ومظهرا مهما من مظاهر الحكم والسيادة، ولذلك حرصوا على ضرب النقود بأسمائهم، كما سجلوا عليها شعاراتهم ومبادئ ثوراتهم، وذلك كدعاية لهم بين الناس. ولكن هذه النقود كانت لا تجوز أحيانا خارج الأقاليم التي سُكّت بها، وقد اعتبرت هذه النقود غير شرعية لأنها نقود ثورة لم يُسجل عليها اسم الحاكم الشرعي للبلاد، ولم تتجاوز هذه النقود اسواق التداول النقدي، ويتم سحبها من الأسواق ليعاد صهرها، وتسك من جديد على طراز الدولة[٢]

ومن أمثلة نقود الثوار: الدراهم العربية الساسانية (الفارسية) التي سكّها عبد الله بن الزبير أثناء ثورته على الخلافة الأموية، ونقود الثوار الخارجون علي الدولة العباسية ، مثل نقود أبي السرايا السري بن منصور الشيباني الذي ثار في الكوفة عام ١٩٩هـ/ ٨١٥م [٣]، وضرب نقوداً ليؤكد استقلاله وقد وصلنا درهم باسمه ضرب بالكوفة عام ١٩٩هـ

الوجه : مركز: لا إله إلا الله وحده لا شريك له

هامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة تسع وتسعين ومئة

الظهر: مركز: فاطمي محمد رسول الله الأصغر

---

(١) سامح عبد الرحمن فهمي: الوحدات النقدية المملوكية، جدة،١٩٨٣.

Balog , The Catalogue of the Mamluk Sultans of Egypt .ANS ,New, – York,1964, pp.85–106

(٢) عاطف منصور: موسوعة النقود في العالم الإسلامي،ج١، ص١٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٠، ص٢٢٤؛ شاكر مصطفي: دولة بني العباس، الكويت،١٩٧٣،ج١، ص٦٧٣.

هامش: إن الله يحب الذين يقتلون (يقاتلون) في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص [١]

كما نُقش على النقود الإسلامية كتابات قرآنية وغير قرآنية تعكس الكثير من الأحداث السياسية المهمة التي شهدتها بعض الدول. ومن أمثلة الكتابات القرآنية: استخدم العباسيون الاقتباس القرآني ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣]. كشعار لثورتهم ضد الخلافة الأموية.

ومن أمثلة الكتابات غير القرآنية، عبارة: " أعز الله نصره " على الفلوس النحاسية المبكرة في أوائل العصر العباسي، وذلك كدعاء للحكام والولاة بأن يحقق الله لهم النصر والعزة على أعدائهم. وأيضا استخدمت عبارة " أيده الله " وكذلك " أيد الله نصره " على نقود حكام بعض دول المغرب والأندلس، وذلك كدعاء لهم بأن يؤيدهم الله بقوته وينصرهم على أعدائهم.

الناحية الاقتصادية:

نجد أن النقود الذهبية كانت هي النقود الرئيسية في كثير من دول العالم الإسلامي وهي بذلك تعكس الحالة الاقتصادية للدول التي سكّتها، لأن ارتفاع وزنها ونقاء عيارها كان دليلا على الازدهار الاقتصادي لتلك الدول كما هو الحال في العصر الطولوني والفاطمي، كما أن انخفاض وزن النقود وتدهور عيارها وتعرضها للتزييف، كان دليلا على تدهور الحياة الاقتصادية في الفترة التي ضربت فيها كالذي حدث في العصر المملوكي الجركسي.[٢]

وفي نفس الوقت حرص الحكام والمشرفون على دار السك على تسجيل بعض الكتابات على النقود لحث المتعاملين بها على الالتزام بوزنها، والبعد عن أية محاولة لغشها أو تزويرها امتثالا لأمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن إفساد سَكة المسلمين المتداولة حفاظا على مصالح المتعاملين بها، وتحقيق منفعتهم من خلالها. ومن هذه الكتابات ما سجله حكام الأتابكة في ماردين وحصن كيفا وآمد من عبارات " ملعون من يغيره " على دراهمهم النحاسية.

الناحية الاجتماعية:

---

(١) النبراوي: النقود الإسلامية، ص ٩؛ فرج الله أحمد يوسف: نقود الخارجين علي الخلافة العباسية في شرق العالم الإسلامي، زهراء الشرق، القاهرة،٢٠٠٦، ص١٧

(٢) ضيف الله بن يحيي الزهراني: زيف النقود من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي،١٩٩٣، ص٣٨.

نجد أن النقود الإسلامية قد عبرت عن الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية التي تشهدها حكومات الدول المختلفة مثل الزواج والمصاهرة وحالات المرض والوفاة والمصالحة ، حيث كانت تضرب هذه النقود تخليداً لتلك المناسبات المهمة، وكانت توزع كنقود صلة وهدايا على أولي الأرحام وكبار القواد ولأمراء ، ومن أمثلة نقود الزواج والمصاهرات دينار يحمل صورة كل من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، والسلطان السلجوقي طغرل بك، ولم يسجل مكان السك، ولكنه مؤرخ بسنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م،و هذا الدينار التذكاري ضرب بمناسبة زواج السلطان السلجوقي طغرل بك من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ،وكان خطبها في سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م [١].

وكذلك من النقود التي سجلت مصاهرات العملة التي ضرب بحلب باسم السلطان السلجوقي كيخسرو الثاني والملك الناصر الأيوبي حاكم مملكة حلب في عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م(٢). وكان ذلك يتكرر بكثرة خلال عصر الدولة الفاطمية.

وجه: مركز: يوسف/ الملك الناصر/ صلاح الدين/ ابن الملك العزيز/محمد

ظهر: مركز: أبو جعفر/ الإمام المستنصر بالله/ السلطان/ الأعظم كيخسر/و

هامش: ضرب/بحلب/سنة/سبع/ثلثين/ستمائة

هامش:لا إله إلا الله/محمد رسول الله

ومن نقود المصالحة درهم ضرب باسم السلطان الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر، وعمه الصالح عماد الدين إسماعيل حاكم دمشق والذي ضرب بدمشق عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م[٣].

---

(١) عاطف منصور: الكتابات غير القرآنية علي السكة في شرق العالم الإسلامي

(٢) رأفت النبراوي: "درهم أيوبي يسجل مصاهرة ملكية"، مجلة العصور، مج ٢ج١، يوليه ١٩٨٧، ص ٩٦.

(٣) رأفت النبراوي: "درهم أيوبي يسجل مصالحة ملكية"، مجلة الدارة، يونيو ١٩٩٢، ص ١٥٥؛ النقود الإسلامية، ص٢١-٢٢.

ومن أمثلة النقود التي ضربت في مناسبة وفاة: نقوداً نحاسية ضربها السلطان الظاهر برقوق حاكم المماليك الجركسية وذلك سنة ٧٩٩هـ سجل عليها (كفى بالموت واعظاً) وذلك لوفاة أبنه الصغير الأمير شعبان في ذلك العام [١].

بالإضافة إلى الاتفاقيات والتحالفات بين الحكام والدول. لذلك كانت هذه النقود تختلف عن النقود العادية المخصصة للتداول من حيث الوزن والكتابات المسجلة عليها في كثير من الأحيان.

الناحية الدينية والمذهبية:

فقد حملت النقود العربية الإسلامية ملامح العقيدة الإسلامية منذ تعريبها على يد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٧هـ/٦٩٦م ، ملامح العقيدة الإسلامية، والتي تمثلت في نقش شهادة التوحيد، والاقتباس القرآني من سورة الإخلاص، وكذا الاقتباس القرآني من سورة التوبة: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [٢].[التوبة: ٣٣].

لذا حرص كل حاكم على نقش الشعارات والعبارات المختلفة التي تعبر عن اعتناقه لأحد المذاهب، كما تعكس في أحيان كثيرة نفس مذهب أهل البلاد.

وتكمن أيضا أهمية النقود من الناحية الدينية والمذهبية في كونها تعكس: المذهب الديني للحاكم الذي أمر بسكها والمحكومين في نفس الوقت: ويتمثل ذلك في النقود الأموية والعباسية، فنقود هذه الدول كانت تحمل كتابات تعبر عن مذهب الحاكم وأهل البلاد في آنٍ واحد. المذهب الديني للحاكم دون المحكومين: فالنقود الفاطمية كانت تحمل الكتابات الشيعية التي تعكس مذهب الخلفاء الفاطميين، فقد سجلوا على نقودهم العديد من العبارات التي تعكس أفكار ومبادئ المذهب الشيعي مثل: (عليّ ولي الله)،(علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين)

---

(١) Balog , The Catalogue of the Mamluk Sultans of Egypt ,No ج

(٢) عبد الرحمن فهمي: فجر السكة العربية، من مجموعة متحف الفن الإسلامي، القاهرة،١٩٦٥، ص ٣٨؛ عبد العزيز سالم :التاريخ والمؤرخون، ص ١٥٧.

في حين أن غالبية الشعب المصري كان يعتنق المذهب السني. المذهب الديني للمحكومين دون الحاكم: ذلك أن المغول فتحوا الكثير من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وبعض هذه البلاد كان يعتنق أهلها الدين الإسلامي على المذهب السني، فضربوا بها النقود حسب هذا المذهب وسجلوا عليها عبارات تشير إليه.

الناحية الفنية:

ظهر على النقود الإسلامية زخارف نباتية وهندسية استخدمت كهوامش وفواصلين الكتابات. كما ظهرت على النقود بعض الرسوم الآدمية والحيوانية التي كانت ترمز – في الغالب – إلى الخلفاء والحكام. ولا شك في أن الزخارف أياُ كان نوعها فهي تعد وسيلة مهمة من وسائل تأريخ النقود. وبذلك فإن النقود تسد ثغرات عديدة في التاريخ الإسلامي

ومن الناحية الأدبية فقد تجلت أهمية النقود الإسلامية فيما سجل عليها من أبيات الشعر. وقد ظهرت هذه الأبيات على بعض النقود التذكارية التي ضُربت في العصر الفاطمي، والتي كانت توزع في المناسبات المختلفة.

تعد إن النقود العربية الإسلامية مدرسة لتعليم ودراسة الخط العربي وتطوره، فتعد النقود العربية الإسلامية مدرسة لتعلم أنواع الخط العربي والذي ورد عليها بنوعيه الكوفي والنسخ. حيث ظهر على هذه النقود العديد من أنواع الخط الكوفي، مثل الكوفي البسيط، والكوفي المتقن الطرف، والكوفي المورق، والمزهر، والمعماري، والمربع، والمضفور. كما ظهر على النقود أيضا من أنواع الخط النسخ: الثلث، والطغراء، وغيرها. وكانت النقود في هذا الشأن من أهم المصادر التي تساعد على دراسة الخط العربي ومعرفة مراحل تطوره المختلفة.

الإعلام والدعاية:

استخدمت النقود كوسيلة مهمة من وسائل الدعاية والإعلان في العصر الإسلامي، فقد سجل عليها الحكام والسلاطين بعض البيانات الهامة إلى الرعية، كما استخدمت لنشر الأفكار والمبادئ الدينية والأخلاقية.

كذلك استخدمت النقود كوسيلة مهمة من وسائل الوعظ والإرشاد، فقد نُقش عليها بعض الاقتباسات من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل: " **لا إله إلا الله الملك الحق المبين** " و " **سبحان الله وبحمده** " و " **لا إله إلا الله والحمد لله والله أكبر**".

أما القيم الأخلاقية فمنها ما يخاطب الفرد، مثل: " **بركة العمر حسن العمل**" و " **الدنيا ساعة فاجعلها طاعة** "، و" **طول العمر مع الطاعة من خلع الأنبياء** " و" ضمن الله رزق كل أحد "، و "**عز من قنع وذل من طمع** " ومنها ما يختص بالحاكم والمجتمع، مثل: " **ثبات الملك بالعدل** " و " **بركة الملك في إدامة العدل** " وغيرها.

وتبرز أهمية أخرى للنقود، وهي الأهمية الجغرافية: فالنقود قد سجل عليها في كثير من الأحيان أماكن سكها، لذلك ظهرت عليها أسماء العديد من المدن، قد اندثر كثير منها، ولم يبق ذكرها إلا على النقود الإسلامية.

كذلك نُقش على النقود العربية الإسلامية منذ تعريبها تاريخ سكها، وساعد ذلك في تحديد فترة ولاية كل حاكم بصورة دقيقة. وقد تنوعت التواريخ المسجلة على النقود في العصر الإسلامي، حيث نجد التاريخ الهجري، والذي سجل على النقود بثلاث طرق مختلفة: الطريقة الأولى: كان يسجل فيها التاريخ الهجري بالحروف العربية؛ الطريقة الثانية: هي تسجيل التاريخ الهجري بالأرقام العربية؛ الطريقة الثالثة: هي تسجيل التاريخ الهجري بالحروف والأرقام العربية معا[١] .

وهكذا يتبين لنا أهمية النقود في الحضارة والتاريخ الإسلامي، فهي تعكس جوانب الحياة المختلفة السياسية والدينية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، على نحو ما أوضحنا. ولذلك تعد النقود من أهم مصادر التاريخ الإسلامي.

٩-علم النقوش الكتابية أو الكتابات الأثرية

تعد النقوش أو الكتابات الأثرية من المصادر المهمة للمؤرخ والتي يصعب الطعن في قيمتها أو التشكك في أصالتها، فهي من جهة مواد أصيلة ووثائق مباشرة لأنها معاصرة للحقائق والأحداث التي تسجلها[٢]. وإلي أن صيغتها كانت تؤلف في ديوان الإنشاء، ولذا

---

(١) رأفت النبراوي: النقود الإسلامية ،ص٢٣ – ٣١ .

(٢) جان سوفاجيه & كلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ص ٩١؛ محمد حسام الدين إسماعيل: الكتابات العربية حتى القرن السادس الهجري، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠٢، ص٤.

تعتبر من هذه الوجهة ذات صيغة رسمية، مع الأخذ في الاعتبار أنها كانت تتحكم فيها المساحة المطلوب تغطيتها ،ونوع الأثر الذي ستوضع عليه [١].

كما أنها محايدة فتعوض النقص وتسد الفراغ في المصادر التاريخية، والجهة الثانية فإنها تمتاز إن تواريخها صحيحة إلا فيما ندر والأعلام التي تذكر بها يقل التحريف والتصحيف بها ، ومن جهة ثالثة فهي تفيد في مراقبة أقوال المؤرخين وإثبات صحتها أو الكشف عن أخطائها ، كما أنها تميط اللثام عن حقائق كثيرة جديدة مستمدة منها[٢].

وتعد النقوش مصدر يزداد يوما بعد يوم بفضل اكتشافات الأثريين، مما يعطي المؤرخ حيوية وتجديدا بدونها تتجمد المعلومات وتتكرر، كما أن الصدفة هي الأخرى تكشف لنا عن كثير من الأثار المنقوشة التي لا تزال في باطن الأرض. ولهذا ستظل النقوش تقدم للمؤرخين المادة والمصدر.

ولقد تقدم علم النقوش أو الكتابات الأثرية خلال القرن الماضي تقدما مذهلا سواء من ناحية عدد المتخصصين فيه، أو من ناحية المهارة والدقة في حل وتفسير الرموز.

وجدير بالذكر لولا حجر رشيد ونجاح شامبليون في حل نقوشه، ما كان هناك علم الدراسات المصرية (المصريات Egyptology) لأنه حل رموز الكتابة الهيروغليفية، وقليلا قليلا ازداد عدد المتخصصين فيها، وأضاف كل منهم ما استطاع إلي قاموس اللغة المصرية القديمة. ونفس الشيء بالنسبة لرولنسون Rawlison الذي حل رموز اللغة السومرية، وفنتريس Ventris وشادويك Chadwick اللذان حلا رموز النقوش الموكينية القديمة.

ولا يشترط على المؤرخ أن يصبح عالما في النقوش بل يكون على معرفة بقراءة النقش وتحليله واستخدامه الاستخدام السليم، وكلما كان المؤرخ أكثر إلماما بنقوش لغة العصر الذي يتخصص فيه، كلما كان أقرب إلي المعرفة الأصلية. لأن تزايد الاهتمام بالنقوش خلق

---

(١) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٤.

(٢) مايسة محمود داود: الكتابات العربية علي الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى القرن الثاني عشر للهجرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،١٩٩١، ص٣؛

محمد حمزة إسماعيل الحداد: النقوش الأثرية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢، المجلد الأول، ص١٠، ٢٢ ،٣٠.

فريقا من المتخصصين مهمتهم إعداد النقش فنيا ومليء فراغاته وتقديمه كنص تاريخي للمؤرخ ليعلق عليه[١].

ويموج علم النقوش بالأف القرارات والمعاهدات القديمة التي نقشت على الأحجار، وحفظتها لنا الصدفة، كما خطها النقاش بعضها قرارات خطيرة ترتب عليها تطورات مهمة حدثت منذ آلاف السنين، مما يعطي النقوش أصالتها وأهميتها، لأن المؤرخ سوف يقرأها مباشرة، كما لو كان يعيش العصر الذي كتبت فيه.

وهذا هو سحر التاريخ عندما يصبح الباحث وجها لوجه مع الحقيقة الأصلية، وبلا وسيط، لأن المؤرخين القدماء الذين كتبوا في التاريخ اعتمدوا على نقوش أيضا لكنهم كتبوا بدافع من اتجاهات معينة أو برؤيا معينة ثم ضاعت النقوش التي كتبوا على ضوئها وبقيت كتاباتهم التاريخية التي علينا أن نقبل تفسيراتهم وآرائهم لأنها الدليل الوحيد المتبقي. أما إذا عثرنا على النقش الأصلي فإن دراستنا تصبح موضوعية لا تضعنا تحت رحمة المؤرخين القدماء.

ومن الجدير بالذكر أنه ليس كل ما يجيء في النقوش القديمة معلومات حقيقية قد حدثت بالفعل، لأنها مليئة بصيغ المبالغة وإذا تحدث النقش عن قرار فليس معني ذلك أن هذا القرار قد اتخذ فليس معني ذلك أن هذا القرار قد اتخذ، وإذا كان القرار قد اتخذ فليس معني ذلك أنه كان ناجحا أو أحدث تأثيرا كبيرا، فملوك مصر القديمة قد بالغوا كثيرا في أعمالهم وفتوحاتهم مثل رمسيس الثاني، بل أن بعضهم نقل بالحرف الواحد أعمال الملوك العظام ممن سبقوه، ونسبها إلي نفسه، كما أن القرارات التشريفية التي عرفتها بلاد اليونان كلها كانت رياء وتملقا من أجل أغراض خاصة. فكما يحدث في البيانات اتي تصدر في عصرنا الحاضر عقب زيارات والتقاءات القادة لابد من قراءة ما بين السطور بقدر ما في السطور ذاتها، لأن فن الدعاية كان أيضا معروفا عند الشعوب القديمة ويشكل سلاحا من أسلحة صراعاتها السياسية والحربية.

وفي بعض الأحيان تتعرض النقوش الرسمية للتزوير، عندما يخلع ملك أو حاكم معين لوحة منقوشة من على بناء جميل بناه أحد أسلافه ويضع مكانها لوحة تنسب البناء له. وهذا

١ A. G. Wood head, The Study of Greek Inscriptions, Cambridge University PRESS, 1959, PP. 2-5

الشيء حدث في جميع فترات التاريخ، فالرومان مثلا عندما دخلوا مصر وأسقطوا حكم البطالمة محوا كل ذكر لهم من على الآثار والمعابد ووضع بدلا منها ما يشير إلي أعمال أباطرتهم

وقد تكشف الصدفة عن الحقيقة الأصلية عندما يعثر على النقش الأصلي مدفونا بين الأنقاض أو مشوها، مثال ذلك عندما تم محو اسم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان من نقوش قبة الصخرة بالقدس الشريف وهو من أمر ببنائها سنة ٧٩هـ، وتم كتابة اسم الخليفة العباسي المأمون مكانه بعد ترميم قبة الصخرة غير أنه نسي تغيير التاريخ المسجل، وبذلك تم اكتشف علماء الآثار هذا التزوير بفضل هذا الخطأ الذي وقع فيه المعماري

ومع ذلك تبقي أهمية النقوش في أنها تقدم لنا ما أراده كاتبوها للناس أن يعرفوه في ذلك الوقت، بصرف انظر عن درجات الحقيقة ومقدارها، ويكفينا أننا نطلع على شيء أصلي ونعرف منه مباشرة.

وقد واجهت النقوش العديد من المشكلات ذلك أن أغلبها قد تعرضت للتشويه بسبب عوامل المناخ والطبيعة لتعرضها للشمس والهواء والمطر، ولهذا فإن الكثير منها غير كامل أو مهمل أو غير واضح، ولكن التقدم الذي وصل إليه المتخصصون في علم النقوش ذلل الكثير من هذه الصعوبات عن طريق مليء الفراغات وتخمين الأجزاء المهشمة عن طريق سياق النص العام.

وأهتم المستشرقين بالنقوش العربية اهتماما خاصا، فصنفوا فيها الكتب والبحوث، واهتموا بجمع هذه الكتابات وترتيبها، ومن أشهر المشتغلين بالكتابات العربية ماكس فان برشم Max Van Berchem، وادمون فاتيو Edmood Fatio، واتيين كومب Etien Combe، وجاستوف فييت Gaston Wiet، وجان سوفاجيه Jean Sauvaget، وليفي بروفنسال Levi–Provencal، وسوبرنهايم Sobernheim، وأمادور دي لوس ريوس Amador de los Rios، وفيل Weill، وبل Bell، ومانويل أوكانية M.Ocana Jimenez [1] .

ويعد المستشرق السويسري ماكس فان برشم Max Van Berchem رائد المشتغلين بعلم الكتابات الأثرية الإسلامية، ولد فان برشم عام ١٨٦٣م ودرس علي كبار المستشرقين

(1) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون، ص ١٥٣–١٥٥.

وعلماء الآثار بسوسرا وألمانيا وفرنسا وقد ظهر نبوغه في قراءة الكتابات الأثرية العربية، وتفسيرها، وربطها بالحقائق المستمدة من المؤرخين المسلمين، ومن سائر الكتابات الأثرية العربية حتى أصبح أكبر حجة في هذا الميدان .

وقد زار فان برشم بلاد الشرق الإسلامي ورجع بمادة علمية كبيرة، وعدد وافر من المواد والوثائق العلمية اللازمة للعمل العظيم الذي كان يعده، وهو وصف العمائر في الشرق الأدنى، وجمع ما عليها من كتابات أثرية وجمعها في كتاب سماه " جامع الكتابات الأثرية العربية Corpus Insciptionum Arbicarum " نشره مجمع الآداب الرفيعة بباريس وقد استعان فان برشم في هذا العمل بأعوان من خيرة زملائه وتلاميذه الذين جمعوا معه الكتابات الأثرية من مصر وسوريا وفلسطين، وهو مرتب علي الطريقة الطبوغرافية، فيذكر الأقطار قطرا قطرا، وفي كل قطر يذكر مدنه مدينة مدينة، وفي كل مدينة يحصي آثارها أثرا أثرا، وقد رتبت النقوش ترتيبا زمنيا ورقمت ورقمت ترقيما مسلسلا في كل مجلد[١]. وكتب فان برشم كتاب عن (النقوش العربية في سوريا[٢].

وقد كتب فان برشم مع أدمون فايتو Edmood Fatio وصفا لرحلته بين المعالم الأثرية في سوريا عرض فيه لوصفا والحديث عما يتصل بها من الأحداث التاريخية

Max Van Berchem et Edmood Fatio, Voyage en Syrie.II vols ,le Caire, 1914-1915.

ويعد هذا الكتاب من أنفس المراجع في تاريخ بلاد الشام وآثارها والعلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطي [٣] وأدي نشوب الحرب العالمية الأولي إلي أبعاد الكثير من تلاميذ وأعوان فان برشم عنه، مما أدي إلي توقف الدراسات في هذا المجال إلي حد كبير وبعد انتهاء الحرب عاد إليه تلاميذ ولكنه لم يستمر طويلا، إذ مات في عام ١٩٢١، وقد خلفه نخبة من تلاميذه وعلي رأسهم جاستوف فيتGaston Wiet الذي أتم الجزء الخاص بمصر من جامع الكتابات العربية

Materiaux pour un Corpus Insciptionum Arbicarum, Egypte ,II, Memoires de Institut Franceis d,Archeologie Orientale t. 52 ,1930.

---

(١) جان سوفاجية: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ص ٩٣.

(٢) Insciptions arabes de Syrie MIFAO,III,1897, pp . 417-520 .

(٣) سيدة كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، ص٩٦-٩٧.

ثم قام أعوان برشم وتلاميذه بجمع النصوص العربية المكتوبة علي العمائر والتحف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فتضافروا علي تنفيذ هذا المشروع وقام به، جاستوف فييت Gaston Wiet ، وجان سوفاجيه Jean Sauvaget ، واتيين كومب Etien Combe معتمدين علي المشتغلين بالآثار الإسلامية والتاريخ الإسلامي ،وذلك تحت عنوان "السجل التاريخي للكتابات العربية Repertoire Chronologique d, Epigraphie Arabe وهذا الكتاب قد خططه مؤلفوه تخطيطا مختلفا تماما، لان هدفهم كان يتلخص في تقديم نصوص كل ما نشر من نقوش بالإضافة إلي النقوش التي لم تنشر بعد، فنقلوا كل نقش وترجموه، إلا أن تعليقاتهم لم تتعد الإشارات البيليوغرافية. لذا ظهر النقص واضحا عند عرض النقوش وبخاصة التي لم يسبق تحقيقها أو دراستها بصورة وافية. وقد رتبت النقوش في هذا الكتاب سنة بسنة من الغرب إلي الشرق، ومن ثم يمكن رؤيتها في سياقها الزمني. ويبلغ مجموع ما صدر منه سنة ١٩٣١ خمسة عشر مجلدا وصل آخرها إلي سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٦م[١].

قد أهدي هذا السجل الجامع الشامل إلي ذكري فان برشم، وقد اختيرت عبارة عربية أخذت من كتبة أثرية في المدرسة المرجانية ببغداد لتكتب تحت الإهداء وهي " إذا مات إنسان انقطع عمله إلا عن علم ينتفع به "[٢]

Wiet من جمع الكتابات العربية الموجودة علي المشكاوات والأواني الزجاجية المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب وقام فييت سنة ١٩٢٩ بجمع الكتابات العربية الموجودة علي المشكاوات والأواني الزجاجية المزخرفة بالمينا والمموهة بالذهب بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، وتعد من أكبر المجموعات في العالم ونشرها تحت عنوان

Wiet , Lambes et Bouteilles en Emaille Verre

,Catalogue General du Musee Arabe du Caire ,Institut Francais d, ArcheologieOriental,LeCaire,1929

(١) سوفاجيه: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ص٩٤.

(٢) زكي محمد حسن: دراسات في مناهج البحث في التاريخ الإسلامي، ص ١٦٢-١٦٤؛ سيدة كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، ص٩٨.

وقام فييت في عام ١٩٣٢ بجمع الكتابات العربية علي التحف المعدنية بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت عنوان[١] ثم قام فييت بجمع الكتابات العربية علي شواهد القبور بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة [٢]

كما قام فايل Weill بجمع الكتابات العربية علي الأخشاب، من أوائل العصر الإسلامي حتى أواخر العصر العثماني، بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة [٣].

ووجدت الكتابات الأثرية علي شتي أنواع العمائر، سواء العمائر الدينية والتعليمية والخيرية المتمثلة في المساجد والمدارس والخوانق والكتاتيب والأسبلة والرباطات والتكايا، توجد علي وجه الخصوص علي الواجهات الرئيسية، وفوق الباب الرئيسي وعلي جانبيه، وربما وجدنا لوحة تأسيسية تحوي كتابات تاريخيه مؤرخه فوق الباب الرئيسي وفوق المحراب أو في تجويف المحراب، وعلي أبواب المنابر وعلي مقدماتها وعلي دكة المبلغ وعلي كرسي المصحف، وحول الإيوانات الأربعة المحيطة بالصحن الأوسط، وحول رقاب القباب ومحيط المآذن، وحول الأسقف وحول الشبابيك العلوية، وعلي اللوحات الرخامية المثبتة علي القبور، وعلي شواهد القبور، أو علي العمائر المدنية، حيث توجد علي واجهات وأبواب القصور والمنازل والحمامات، وعلي أبواب وواجهات الخانات والوكالات، وعلي قناطر رفع المياه، أو علي العمائر الحربية، حيث توجد علي أبواب المدن وأسوارها، وعلي أبواب القلاع وأبراجها.

ومع التطور التكنولوجي تم عمل موقع مكنز النقوش الكتابية الإسلامية وذلك لدراسة النقوش الكتابية الإسلامية بشكل عام THESAURUS D'EPIGRAPHIE ISLAMIQUE

وهو عبارة عن مكتبة رقمية متميزة في تسجيل وتوثيق النقوش الكتابية الإسلامية من شرق العالم الإسلامي إلى غربه. يعود الفضل في تأسيسها إلى مؤسسة ماكس فان برشم في جنيف

---

[١] Wiet ,Objets en Cuivre, Catalogue General du Musee Arabe,Le Caire,1932.

(٢) وقد صدر منها اثنان وعشرون جزء، قام بنشره المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، بالتعاون مع دار الكتب المصرية، وهي بعنوان,

Steles Funeraires,Catalogue General du Musee Arabe du Caire ,Institut Francais d ArcheologieOriental, Vols.22, LeCaire

(٣) قام بنشره في جزأين ، وهو بعنوان :

Bois a Epigraphes, Catalogue General du Musee Arabe du Caire ,vols,2,1931-1936.

جاء التفكير في المشروع ووضع خطوطه العريضة في فبراير ١٩٩٠م، ودخل في حيز التنفيذ وجمع المادة العلمية في عام ١٩٩٢م بإشراف من الدكتور لودفيك كالوس؛ أستاذ تاريخ الشرق الأوسط بجامعة السوربون بباريس. ومنذ عام ١٩٩٢ والمكتبة الرقمية في مرحلة نمو متزايد لتصل في عام ٢٠٢٠ إلى مكتبة رقمية متكاملة للنقوش الكتابية الإسلامية في العالم كله؛ توثق للنقوش الكتابية العربية والفارسية والتركية بداية من عام ١ إلى عام ١٠٠٠هـ.

وتوالت عملية الإضافة والتزويد منذ عام ١٩٩٢م إلى اليوم، وانضم لفريق العمل باحثة متميزة من مؤسسة ماكس فان برشم هي فريدريك سودان

وفي عام ١٩٩٨م تم إصدارات الموسوعة في شكلDVD وتم توزيعها على نطاق واسع. ومنذ عام ٢٠١١م تم إتاحة الموسوعة بشكل رقمي على شبكة الإنترنت مجانًا. وتتميز النسخة المحدثة من الإصدار في عام ٢٠٢٠ بإضافة النقوش الكتابية الإسلامية من منطقة البلقان لتصبح بذلك كافة المناطق الجغرافية مغطاة بشكل كامل.

وتحتوي المكتبة الرقمية ما يقرب من ٤٩.٠٠٠ نقش كتابي ويسهل التسجيل فيها والبحث في قاعدة البيانات الخاصة بها. عن طريق البحث عن اسم أو لقب على سبيل المثال كلمة «المسجد» والبحث في قاعدة البيانات لنصل لنتائج البحث التي توضح عدد النقوش الوارد فيها كلمة المسجد، ومن خلال البحث يمكن التعرف على الكلمة (رقم النقس – التاريخ الهجري والميلادي– الموقع الجغرافي – نص النقش الكتابي – توفر الصور أو لا – نوع المنشأة/ المبنى الوارد فيه كلمة البحث – والمادة الخام المنفذ عليها النقش.(...عند اختيار نقش كتابي محدد وفقًا لنتائج البحث التي قام بها المتصفح؛ يمكنه الوصول إلى معلومات دقيقة خاصة بالنقش ولغته سواء عربية أو فارسية أو تركية، وكذلك نوع الخط المستخدم (ثلث أو كوفي ....) بالإضافة إلى المصادر التي تناولت النقش بالدراسة أو النشر. وإن كان يؤخذ على هذه المكتبة الرقمية هو ندرة الصور المرفقة مع النقوش الكتابية، فأغلب النقوش غير مزودة بصور. وقليل منها مزود بصور بعضها بجودة عالية والبعض الآخر ضعيفة نسبيًّا.

http://www.epigraphie- islamique.uliege.be/Thesaurus/User/Default.aspx

كما سجلت الكتابات الأثرية ظواهر طبيعية مثل الزلزال الذي تعرضت له مصر والشام ذو الحجة عام ٧٠٢هـ/ أغسطس١٣٠٣م وقد تضرر من هذا الزلزال المدرسة المنصورية[١] "فقد تشققت مأذنتها علي عظمها، وإتقان بنائها"[٢] فأمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإعادة بناها وقد نقش في أربعة أسطر تحيط بمربع الدورة الأولي أسفل المقرنص بالمنارة تاريخ التجديد ونصه:" **بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم جدد الرحمة والرضوان علي روح الملك المنصور رحمه الله. أمر بتجديد هذه المأذنة، في أيام ولده مولانا السلطان الملك الناصر أبو الفتح محمد، وذلك عند ظهور الآيات المنزلة، وسقوط أعاليها عند حدوث الزلزلة، في شهور سنة ثلاثة وسبعمائة من الهجرة النبوية علي صاحبها الصلاة والسلام**"[٣].

كذلك توجد الكتابات الأثرية علي التحف المنقولة مثل:

التحف المعدنية: من الأسلحة مثل السيوف والخوذ والدروع والتروس والخناجر والدبابيس، والحلي: مثل الأساور والأقراط والقلائد والخلاخيل والخواتم والتيجان.

الأوانـي بأنواعهـا : كالصـواني والصـحون والموائـد أو كراسـي العشـاء والمواقـد والأهـوان والمباخر والمرايات والطاسات العلب والمحابر أو المقلمات والشمعدانات والأباريق ومطارق الأبواب والثريات.

التحف الزجاجية : مثل الكؤوس والقوارير والأكواب والسلاطين والمشكاوات أو القناديل التي كانت توضع فيها المصابيح، وتشبه المشكاة في شكلها العام الزهرية، وعلي الأخشاب، وغير ذلك من التحف الأثرية.

كذلك توجد الكتابات الأثرية علي قطع النسيج من ذلك توجد قطعة من نسيج الكتان السادة، توجد في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ،تحت رقم ١٠٨٤٨،عليها شريط من الكتابة

---

(١) المدرسة المنصورية: بناها السلطان المملوكي المنصور قلاوون عام ٦٨٤هـ/١٢٨٣م. وتقع في شارع بين القصرين(المعز لدين الله) وتشمل مدرسة وقبة وبيمارستان، ويطلق عليها اسم مجموعة السلطان قلاوون. انظر: المقريزي: الخطط،ج٤، ص٢١٨.

(٢) النويري: نهاية الآرب،ج٣٢، ص٥٩؛ مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد، ج٣، ص٥٩٣.

(٣) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص١١٦-١١٧؛ أحمد فؤاد سيد: مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م، ص١١٠.

المطرزة من الحرير الأحمر بغرزة الفرع، وهي تعرفنا علي احدي دور الطراز في مصر الإسلامية وهي مدينة" تونه " القريبة من مدينة دمياط ونص الكتابة :

" **بسم الله الرحمن الرحيم سلامة من الله لعبد الله الواثق بالله أمير المؤمنين أعزه الله مما عمل بتونه سنة تسع وعشرين ماتيين** "[١].

وتوجد قطعة من نسيج الكتان بمتحف وشنجتن ، سجل ٧٣,٤٦٣ ترجع إلي عهد الدولة الطولونية مصنوعة بدار الطراز بالإسكندرية للخليفة العباسي المعتمد علي الله ،و نصها: " **بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله لعبد الله أحمد الإمام المعتد علي الله أمير المؤمنين أيده الله مما عمل بالإسكندرية سنة أثنين وستين وميتين** "[٢].

وترجع أهمية الكتابات الأثرية في أنها تمدنا بسلسلة متكاملة لأسماء الخلفاء والملوك والسلاطين، وفترات حكمهم علي مر العصور الإسلامية وهو ما يتضح بالنسبة للمسكوكات الإسلامية التي يعتبر ضربها حق شرف للحاكم ومظهر من مظاهر سلطته وسيادته[٣].

ولا يقتصر مجال الكتابات علي إمدادنا بأسماء الحكام والأمراء فقط، بل تفيدنا أيضا في معرفة ودراسة أسماء كبار رجال الدولة و شهيرات النساء ومشاهر الرجال من العلماء والأدباء واللغويين والقضاة والأطباء، وتتحقق الفائدة المرجوة من دراسة هذه الأسماء إذا ربطنا بينها وبين كتب التراجم والمصادر التاريخية، الأمر الذي يلقي الضوء علي أنسابهم وأوضاعهم الاجتماعية ووظائفهم، مما يؤكد أو ينفي ما يرويه المؤرخون عنهم.

كذلك تعد دراسة الكتابات الأثرية من الدراسات الهامة للوقوف علي تطور الخطوط العربية وأنواع الخطوط المستخدمة، ومميزات كل خط ، مما يساعدنا في التاريخ للآثار غير المؤرخة عن طريق معرفة طراز خطها ونوعه إذا كان كوفياً أو نسخياً أو الثلث ،فضلا عن أسلوب الزخارف.

---

(١) سعاد محمد ماهر: النسيج الإسلامي، القاهرة ١٩٧٧، ص١٥٣.

(٢) سعاد محمد ماهر: النسيج الإسلامي، ص١٥٣.

(٣) مايسة محمود داود: الكتابات العربية، ص١٢.

وتفيدنا دراسة الكتابات الأثرية في التعرف علي الألقاب والوظائف السائدة في كل عصر، وتتبع تطورها، وقد أمدنا كتابات العمائر والفنون الزخرفية بأمثلة متنوعة للألقاب والوظائف علي مر العصور الإسلامية مما يلقي الضوء علي دراسة طبقات المجتمع، ومنها الألقاب الخاصة بالنساء مثل " عصمت الدين " و"الحجاب المنيع " و"الست " و " الحرة " و "خاتون "من ذلك ما كتب علي قبلة مشهد شجر الدر زوجة الصالح نجم الدين أيوب: "**بسم الله الرحمن الرحيم، عز الستر الرفيع، والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين، والدة الملك المنصور خليل ابن مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي المظفر أيوب ابن مولانا الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد بن أبي بكر ابن أيوب خليل أمير المؤمنين قدس الله روحه، ونور ضريحها التي خطبت الأقلام بمناقبها علي منابر الطروس، وشهدت لها المغافر بالمجد الثابت في أعلي العز بين الورى، وأصبحت شموس المملكة بها طالعة، وآراء الأمراء لأمرها مطيعة وسامعة، وأعز الله أنصارها وضاعف اقتدارها وأعلي منابرها، وجعل النيرين في العلا الأعلى خدامها، ولم تزل مؤيدة منصورة علي مر الليالي والأيام بمحمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين الكرام** "[1].

ومن ذلك ما وجد في مدرسة أم السلطان شعبان خوند بركة، وقد أعدت لدفن خوند بركة وابنتها خوند زهرة، وقد كتب علي قبرها: " **هذا قبر ريحانة الجنة الست المرحومة الدرَّة المكنونة ست الستات زين الخواتين الست زهرة ابنة المقام الأمجد سيدي حسين ولد المقام الشهيد المرحوم الملك الناصر كريمة سيدنا ومولانا المقام الشريف المالك الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين شعبان بن حسين توفت في يوم الاثنين ثامن عشرين جماد الآخر سنة أحد وسبعين وسبعمائة** "[2].

وتتضمن النقوش الأثرية أنواعا مختلفة من الكتابات، أهمها الكتابات التسجيلية و الجنائزية والمراسيم الإدارية، وتوقيعات الصناع، والنصوص الدينية والأدبية، والمراسيم الإدارية تتضمن إلغاء الضرائب التي تثقل كاهل المواطنين علي اختلاف طبقاتهم، ومن هذه المراسيم:

([1]) محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، المكتبة الثقافية، رقم ٨٠، مارس ١٩٦٣، ص١٠٥-١٠٦.

([2]) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، الطبعة الثانية، بيروت، ص١٨٦.

مرسوم بجامع القنائي بمدينة فوة علي رخام مؤرخ ٢٠ صفر سنة ٧٨٦هـ/١٣ ابريل ١٣٨٤م:-

١- رسم بإبطال ضمان عرصة الغلال بمدينة فوة السلطان الملك.

٢- الظاهر سيف الدنيا والدين برقوق عز الله أنصاره ابتغاء لوجه الله.

٣- تعالي وطلبا لثوابه وذلك بتاريخ العشرين من شهر صفر عام ست وثمانين وسبعمائة.[١]

ومن مراسيم الإعفاء من المكوس وصلنا مرسوم للسلطان الغوري يعفي أهل الفيوم من بعض المكوس، وهو: " **المرسوم بالأمر الشريف السلطاني الملكي الاشرفي أعزه الله وشرفه وانفذه وصرفه أن يعفي مما هو جاري في وقف جامع الفيوم المعمور بذكر الله تعالي المشمول ذلك بنظر سيدي الشيخ عبد القادر الدشطوطي نفعنا الله به وهو سرجه بمدينة الفيوم ذات حجريين وحفارات وطاحون ومصبغة وحوانيت كل ذلك بمدينة الفيوم وقاعتين قزازة بخط بين الحارات قرب جامع الطواشي بها خمسة أنوال تعرف قديما بالملتوي من الرمايات والأطرون والخز وقطع المصانعة و أحداث المظالم وتجديد ما أعفا دائما يستمر علي الدوام والاستمرار ومنع من يتعرض الجهات المذكورة ليسطر ثواب ذلك من الصحائف الشريفة وذلك سادس ربيع الآخر سنة تسع و تسعمائة** " [٢].

وقامت الكتابات الأثرية بتصحيح بعض الأخطاء التي وقعت فيها المصادر التاريخية التقليدية ،من ذلك ما تذكرته المصادر من أن الوزير الفاطمي بدر الجمالي قام ببناء جامع العطارين بالإسكندرية وذلك من أموال تقدر بـ ألف دينار، أخذها من أهل الإسكندرية أثناء ثورة ابنه الأوحد ضده[٣]. ولكن وصلتنا اللوحة الرخامية التذكارية مثبتة في أسفل مئذنة

---

(١) حسن الباشا: "معلومات جديدة عن الإدارة المملوكية من خلال النقوش الأثرية "، ضمن ندوة حكومة مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين رقم ٢٣٧، القاهرة ،٢٠٠٣، ص١٧٣-١٧٤؛
Wiet, Repertoire Chronoloique d, Epigraphie Arabe ,T.4, p.130.

(٢) محاضر لجنة حفظ الآثار العربية، الجزء الأربعين، ١٩٦٠، شكل ٢٣، ص٢.

(٣) ابن ميسر: أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد ص٤٦-٤٧ ؛ ابن سعيد الأندلسي: النجوم الزاهرة في حلي القاهرة، تحقيق حسين نصار، القاهرة ،١٩٧٠،ص٧٨؛ المقريزي :اتعاظ الحنفا،ج٢، ص٣٢١.

الجامع إلي يسار الداخل من الباب الشمالي الشرقي، تثبت أنه جدده فقط ولم يقم ببنائه وهذه هي اللوحة :

لوحة تجديد الجامع الجيوشي (العطارين)

" بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عند حلول ركابه بثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خراباً فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفا إلى الله تعالى وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مائة "[١].

كذلك توجد الكتابات الأثرية علي التحف المنقولة مثل التحف المعدنية : من الأسلحة مثل السيوف والخوذ والدروع والتروس والخناجر والدبابيس[٢]، ففي متحف المتروبولتيان بالولايات المتحدة، وفي مجموعات خاصة[٣] توجد مجموعة من السيوف، عليها نقوش باسم حبس الخزانة بثغر الإسكندرية أو باسم خزائن بقصر السلاح بثغر الإسكندرية، وأقدم هذه السيوف يحمل نقشاً نصه:" **حبس المقر الأبيض الأكز [٤] الملكي الأشرفي في سنة تسع وستين وسبعمائة بالقاعة المعروفة بإنشائه بثغر الإسكندرية المحروس ومن أخذه ولم يرده كان عليه ذنبه** "[٥].

---

(١) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ١٩٩٣، ج١، ص٦٧؛
Wiet, Repertoire chronologique d' Epigraphie arabe, T.7,P. 22.

(٢) حسين عبد الرحيم عليوة: " الكتابات الأثرية العربية دراسة في الشكل والمضمون "، المجلة التاريخية المصرية ،١٩٨٤، ص١٤٣.

(٣) عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص٤٨٧-٤٨٨.

(٤) الأكز: أحد نواب الإسكندرية حيث تولى نيابتها في ذو القعدة عام ٧٦٧هـ/١٣٦٦م وعزل في شوال عام ٧٦٨هـ/١٣٦٧م واهتم بتحصين الإسكندرية بعد غزوة القبارصة، انظر:
النويري السكندري: الإلمام، جـ٥، ص٢٧٧؛ المقريزي: السلوك، جـ٣ ص١٢٣، ١٥٤.
Combe (Etien) , " les sultans mamlouks Ashraf shaban et Ghauri a Alexandrie " , B.S.R.A.A., No 30-31, 1937 , P.40 ; Ahmad Abd ar-Raziq , les Gouverneurs D' Alexandrie 20 .ْ, pp.134-135 n

٥ Combe , " Nouveaux Sabres europeens a inscriptions arabes " B.S.R.A.A. , X , P.158; Combe et de cosson , " European swords with arabic inscriptions from the Armowry of Alexandria, B.S.R.A.A., 1X , 1937 , PP.30-31 .

١٠- علم قراءة المخربشات Graffiti

وينسب إلي علم النقوش أيضا علم قراءة المخربشات، وهي الكتابة بالحفر البسيط مثلما يفعل الناس على الآثار الحجرية، وهي معلومات عفوية وشخصية، ولكنها في بعض الأحيان تعطينا صورة تاريخية حية صادقة، مثل المخربشات التي تراكمت عبر آلاف السنين على تمثال أبو الهول، أو مثل المخربشات الموجودة على معبد الكرنك أو معبد أبو سنبل، أو حول تمثالي ممنون في الأقصر، وهذه المخربشات تصبح مثيرة عندما تكشف هوية الزوار الأجانب الذين زاروا هذه الآثار وتركوا انطباعاتهم النفسية والشخصية عليها

١١- علم الرنوك:

من المصادر الأثرية الرنوك الإسلامية هي الشارات التي اتخذها السلاطين والأمراء منذ القرن السادس وحتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري علي عمائرهم وأدواتهم. و" الرنگ " أو "رنق": هي كلمة فارسية تنطق رنج تعنى باللغة العربية اللون، ولما كان اللون يلعب دوراً أساسياً في رسوم هذه الشارات، ويستخدم للتمييز بين الشارات المتشابهة من حيث الشكل ولاسيما الخاص منها بوظائف الأمراء، لذلك فقد أصطلح علي تسميتها بالرنوك[١].

وقد عربت ولكن ظل نطقها الفارسي يستعمل في اللغة العربية كما هي "رنك." استخدمت هذه الكلمة في عصر المماليك لترمز إلى شاراتهم. وكانت هذه الشارات أو الشعارات تستعمل كختم أو علامة ترمز إلى السلطان أو الأمير، وتوضع على جميع ممتلكاته، وعندما يراها أى شخص يعرف لمن هذا المكان.

وقد حظيت دراسة الرنوك الإسلامية باهتمام علماء الآثار الأوروبيين والعرب،ويأتي على رأسهم جميعا روجر بك Roger الذي يعد أول من لفت الأنظار إليها فقد نشر دراسة في عام

(١) محمد موسي هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية،ص١٧١؛ محمد مصطفي: الرنوك المملوكية،مجلة الرسالة، العدد ١٩٤١،٤٠٠.

١٨٨٢ تحت عنوان " الرنك عند أمراء المسلمين في كل من مصر وبلاد الشام" درس فيها ما يقرب من خمسين رنكاً مملوكياً[١].

وفي عام ١٩٠٢ نشر يعقوب ارتين دراسة موسعة عن الرنوك في الشرق الإسلامي، أعقبها بثلاثة عسر بحثا عن نفس الموضوع، وأصبحت الأساس لمن يكتب بعده عن الرنوك[٢].

وفي عام ١٩٣٣ قام ماير Mayer بدراسة عن الرنوك العربية تضمنت رنوك تسعة عشر سلطانا مملوكيا و٢٢٥ شخصية مملوكية، ونشر اثني عشر بحثا عن الرنوك في الفترة من ١٩٢٥ – ١٩٤٠[٣].

وفي عام ١٩٤١ نشر محمد مصطفي أول دراسة باللغة العربية عن " الرنوك المملوكية" لخص فيها ما كتبه ماير[٤]، وفي نفس العام كتب جمال محرز مقال عن الرنوك المملوكية[٥].

وفي عام ١٩٦٤ نشر بول بالوج P. Balog دراسة عن الرنوك المنقوشة على عملة ما يقرب من ستة وعشرين سلطانا مملوكيا ضمن موسوعته عن العملة المملوكية[٦].

كما نشر احمد عبد الرازق احمد دراسة عن الرنوك على عصر سلاطين المماليك عام١٩٧٤ معتمدا على قطع الفخار المطلي [٧]، ثم دراسة عن الرنوك الإسلامية عام ٢٠٠١، ونشرت مايسة داود مقالاً عن الرنوك الإسلامية بمجلة الدارة السعودية.

وقد عرفت الرنوك منذ أقدم العصور وإن اختلف مدلولها قديما عن مدلولها في العصور الوسطي، اذ كانت ترتبط بالعقائد والديانات ،فاتخذ المصريون القدماء السمك رمزا للحياة

---

(١) أحمد عبد الرازق أحمد: الرنوك الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١،ص٧؛

Roger,Le blason chez les princes musulmans de L' Egypte et de la Syrie. vol.2, B.I.E.31.

٢ Artin,Description de six lampes de mosquee en verr

(٣) Mayer,Saracenic Heraldry,Oxford,1933.

(٤) محمد مصطفي: الرنوك المملوكية، مجلة الرسالة، عدد ٤٠٠، ١٩٤١.

(٥) جمال محرز: الرنوك المملوكية، مجلة المقتطف، عدد ٥، مجلد ٩٨،مايو ١٩٤١.

(٦) Balog, The Catalogue of the Mamluk Sultans of Egypt,and Syria, New York,1964.

(٧) المجلة التاريخية المصرية، مج١٩٧٤،٢١.

وشعارا للألة أوزوريس ورمزوا إلي الآلهة إيزيس بسمكتين متقابلتين مع أزهار اللوتس. وكانت لبعض القبائل رايات تحمل صور لمعبوداتهم، وقد اختير النسر شعارا للقوة أيام الحيثيين والإغريق[١].

وفي العصر الإسلامي اتخذت على البيارق والرايات، فاتخذ الرسول صلي الله عليه وسلم اللون الأبيض عند فتح مكة، وكان شعار الأمويين في المشرق وفي الأندلس، كما اتخذ العباسيين اللون الأسود، وكان شعار الفاطميين رايات يظهر كل منها ثلاثة أشرطة كتابية تقرأ (نصر من الله وفتح قريب) وبزخرفتها رسم أسد باللون الأحمر والأصفر[٢].

وكانت هذه الشارات بمثابة شعار للسلطنة أو للأمير تميزه عما سواه سواء أكان فى عصره أو كان قبله أو بعده في الحكم. وكان في الأغلب ذات لون واحد ثم ألوان متعددة ولذلك استخدمت كلمة بمعنى "لون" لترمز إليها، ثم أدخلت عليها أشكال حيوانات، عادة ما كانت الرنوك توضع داخل دائرة [٣]**وقد عرف العصر الأيوبي نوعين من الرنوك. رنوك تعبر عن القوة والشجاعة: فقد أتخذ السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من النسر رنك له ووضعه علي منشأته مثل قلعة الجبل(صلاح الدين)** بالقاهرة، وأخري ترمز إلي وظائف الأمراء المختلفة: فقد عرف أن الأمير أيبك التركماني قد اتخذ رنك "الخونجة" أي المنضدة رمزا لوظيفته عندما كان يعمل جاشنكيرا للملك الصالح نجم الدين أيوب

١٢- علم الأختام:

ومن المواد الأثرية "الأختام " وهي التي يمهر بها الوثائق المتعلقة بالكتابات الرسمية للدولة، وقد عرف الإنسان الأختام منذ أقدم العصور، ويعتبر العراقيون القدامى أول من

---

(١) مايسة داود: الرنوك الإسلامية، ص٢٧.

(٢)احمد عبد الرازق احمد: الرنوك الإسلامية، ص٥٢.

(٣) أحمد تيمور: التصوير عند العرب، علق عليه ووضع هوامشه د/ زكي محمد حسن، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،٢٠٠٦، ص٧٣-٧٥، تعليقات د. زكي محمد حسن رقم ١٤٦-١٥٠ ، ص٢٩٢-٢٩٣.

H. Lavoix, Catalogue des monnlmanes de la Bibliotheque Nationale, Egypte et Syeie pp.377-394;

Mayer , Saracenic Heraldry,p.7,9,26,106-110.

استعملها وانتقلت منهم إلي المناطق المجاورة حتى وصلت إلي مصر واليونان غربا والهند شرقا[١].

واستعملت الأختام في أول الأمر لعمل طبعات علي فوهات الجرار بعد إغلاقها بمادة الطين للحيلولة دون فتحها ومنع التصرف بالمواد التي في داخلها إلا من قبل أصحابها [٢].

وفي العصر الإسلامي كان للأختام أهمية كبيرة، حيث كان لكل خليفة ووالي وقاضي وغيرهم من ذوي الحيثية خاتم خاص به. ويعد خاتم النبي صلي الله عليه وسلم أول خاتم عرف في الإسلام، وذلك عندما أراد أن يكاتب الملوك يدعوهم إلي الإسلام، قيل له أن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوما فأتخذ لنفسه خاتماً من فضة، نقش عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر، ثم انتقل من بعده إلي الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان حتى سقط منه في بئر أريس فصنع أخر علي مثله، ومن ثم صارت عادة لكل من يتولى الخلافة أن يصنع له خاتما باسمه أو ينقش عليه بعض المواعظ والحكم مثل "علي الله توكلت "و"اعتمادي علي الله "، بل أنشا الخليفة معاوية بن أبي سفيان ديوانا خاصا عرف بـ "ديوان الخاتم "[٣]. وأمر بختم الكتب وحزمها وكانت لا تحزم من قبل، وذلك حتى لا يعلم أحد بما يحتويه من أسرار، وحتى لا تتعرض للتزوير والتعديل، وكان الحزم عن طريق لصق رأس الصحيفة علي ما ينطوي عليه الكتاب، وقد يجعل مكان اللصق علامة يؤمن بها عدم فتحه والاطلاع علي ما يحتويه.

كما استعملت الأختام في العصر الإسلامي في أغراض شتي منها توقيع المعاملات الرسمية من قبل الخلفاء والولاة والقضاة، فكان لكل منهم خاتم خاص به نقش عليه عبارة معينة تميزه عن غيره، بعد غمسه في مداد أو مذاب من طين أحمر، كان يجلب خصيصاً في العصر العباسي من سيراف [٤].

كما توجد أختام شخصية استعملها الأفراد لأغراضهم الخاصة، وهناك أختام خاصة بشئون جباية أموال الدولة وتوزيعها، سجل علي بعضها أسماء الخلفاء وأسماء الولاة و تاريخ

---

(١) حسن الباشا: تاريخ الفن العراقي القديم، الطبعة الأولي، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٠٩-١١٤.

(٢) آمال أحمد العمري: الأختام الفخارية في ضوء مجموعة مخازن الفسطاط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، د.ت.،ص٧.

(٣)أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية، ص٤٩.

(٤) أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية، ص٨٣.

الختم، شأنها في ذلك شأن المسكوكات، ونقش علي بعضها الآخر نوع المال المجبي، كجباية أموال الجزية، فمثلاً كان ينقش علي الختم كلمة جزية[١]، وهناك أيضا نوع من الأختام تختم بها الجرار أو أواني المكاييل الزجاجية أو القواوير الطبية [٢].

واستخدمت الأختام في بعض الأعياد والمواسم لطبع الكعك ببعض العبارات الخاصة بالأكل مثل "كل هنيا" و"بالشكر تدوم النعم " و" كل وأشكر مولاك "، ومن الطريف لأن عبارة " كل وأشكر" والتي تكرر ورودها علي أختام الكعك في العصر الفاطمي تطلق علي نوع معروف من الحلوى الشامية. ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بالعديد من هذه الأختام [٣].

ولم تأخذ الأختام شكلاً واحداً، بل تعدد أشكالها بين المستدير والبيضاوي، وبين شكل المثلث أو القلب، وتنوعت الخامات المستخدمة في صناعة الأختام ،فأختام الشمع شاع استخدامها منذ زمن بعيد واستمرت مستخدمه مدة طويلة، واستخدم الحجر بأنواعه أو الورق أو الخشب أو الفخار، وعرفت مصر صناعة الأختام الفخارية منذ العصر الروماني، واستمرت هذه الصناعة أو من المعدن، واستخدم المسلمون الأختام من الفضة[٤].

والأختام وسيلة هامة في للتعرف علي تاريخ الوثيقة – المرسلات أو الأوامر والعهد – الذي تمثله، إذ أن كثيراً من هذه الوثائق تكون دون تاريخ ،فإذا كان الباحث علي علم بأسماء حكام البلد الذي يكتب تاريخه سوف يكون من السهل عليه رد الوثيقة إلي تاريخ تقريبي لها [٥].

---

(١) أسامه ناصر النقشبندي وحياة الخوري: الأختام الإسلامية في المتحف العراقي، بغداد،١٩٧٤، ص١٤-١٥.

(٢) سامح عبد الرحمن فهمي: المكاييل في صدر الإسلام، مكة المكرمة،١٩٨١، ص ٥٤-٥٥

(٣) عبد الرؤوف علي يوسف: "الفخار " بحث ضمن كتاب القاهرة ،القاهرة ،١٩٧٠،ص٣٢٩؛ تحف من الفن الشعبي في مصر،١٦٩؛ آمال العمري: الأختام الفخارية ،ص٦٤-٦٥؛ فايزة الوكيل: الشوار جهاز العروس في مصر في عصر المماليك، دار نهضة الشرق، القاهرة،٢٠٠١، ص١٢٦.

(٤) النقشبندي: الأختام الإسلامية، ص ١١؛ آمال العمري: الأختام الفخارية، ص ٨ ،٦٩

(٥) عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ، ط٣، مؤسسة ابن خلدون، القاهرة،٢٠٠١، ص ٦٧.

١٣- **الجغرافيا:**

أما الجغرافيا فإنها من المواد المساعدة التي لا يستغني عنها الباحث في التاريخ، ذلك أن الارتباط بين الجغرافيا والتاريخ ارتباط عضوي وثيق؛ فالتاريخ هو علم الزمان، والجغرافيا هي علم المكان الذي له أثره في توجيه أحداث الزمان، فكيف يدرس الزمان بعيدا عن المكان؟ أن الجغرافيا هي البوابة التي نمر عبرها إلي التاريخ، فالأرض هي المسرح الذي مثِّلت فوقه الأحداث التاريخية.

فطبيعة الأرض ومصادرها أثرت في بيئة الإنسان ووجهت ظروفه وحددت ملامح تفكيره ومجال خبرته ونوع علاقاته بجيرانه، بل طبيعة الأرض التي يعيش عليها الإنسان أثرت في تكوينه الفسيولوجي والنفسي ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفي المعارك والحروب تلعب طبيعة مسرح المعارك الجغرافية دورها في تحديد الجانب

إن الناس في أية بيئة من البيئات يتفاعلون معها تفاعلاً تلقائياً على الطبيعة الجغرافية لهذه البيئة، ومن ثم يتشكل تاريخهم تشكلاً يرتبط ببيئتهم. ومن أبرز الأمثلة على أثر الطبيعة الجغرافية في تاريخ قوم من الأقوام هو مصر والنيل هو مصدر حياتها، وهو الذي شكل تاريخها[١].

ويري ديورانت أن الجغرافيا هي رحم التاريخ وأمه التي تغذيه ووطنه الذي يربيه، فأنهارها وبحيرتها وواحاتها تجتذب المستوطنين إلي شطآنها، لأن الماء حياة الكائنات الحية والمدن، وهو يتيح طرقا زهيدة التكاليف للنقل والتجارة[٢]

وقد أثرت التضاريس الوعرة والجبال في تاريخ بلاد اليونان القديم حيث قسمته إلي مجموعات من الوديان الصغيرة المنعزلة لصعوبة الاتصال بينها، أدت إلي إعاقة الاتصال والعزلة الحضارية بين المناطق المختلفة في بلاد اليونان، وبالتالي العزلة الفكرية والسياسية، ونشأ نتيجة لذلك نظام دويلات المدن، وأصبح كل مدينة تعتمد على نفسها اقتصاديا

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٣٣.

(٢) دروس التاريخ، ص٤١.

واستقلالها السياسي، إذ وقفت العوائق الطبيعية والجغرافية حائلا دون قيام وحدة سياسية لبلاد اليونان[١]

كما ساعدت تضاريس السهول الفيضية حول الأنهار إلي نشأت الحضارات القديمة والحكومات المركزية مثل مصر والعراق والهند والصين

ومما يوضح لنا أثر الجغرافيا في التاريخ أنها أحيانا تتدخل تدخلًا حاسمًا في تغيير مجري التاريخ، فقد اختار الإمبراطور الروماني قنسطنطين الكبير(٣٠٦-٣٣٧م) مكان بيزنطة القديمة على مضيق البوسفور، على النتوء البارز في المكان المعروف حاليا بإسطنبول، واحتفل بافتتاحها يوم ١١ مايو عام ٣٣٠م. ومن الناحية الجغرافية تقع تلك المدينة عند التقاء قارتي آسيا وأوروبا، فيحدها من جهة الشرق البوسفور، ومن جهة الشمال القرن الذهبي، ومن الجنوب بحر مرمرة، ولا يمكن الوصول إليها براً إلا من جهة واحدة. أما من الناحية الاستراتيجية فأرضها تشكل مثلثا تحمي المياه ضلعيه، أما الضلع الثالث فقد حمته الأسوار المنيعة التي أقامها الحكام. فضلاً عن ذلك أن القسطنطينية صارت أهم مراكز التجارة العالمية، وبفضل مزاياها ظلت قادرة على الوقوف في وجه المسلمين طيلة ثمانية قرون، والحفاظ على الإمبراطورية الشرقية لمدة تربو على الألف عام[٢].

ويري البعض أن الجغرافيا أثرت في تغيير مجري التاريخ فقد عاق البحر تقدم تيمورلنك عن العبور إلي أوروبا بعد هزيمة السلطان العثماني بايزيد الأول في موقعة أنقرة ١٤٠٢م، وبذلك لم يتمكن من القضاء على الدولة العثمانية الناشئة والتي استعادت مكانتها بعد فترة وجيزة

وساعدت العواصف والأنواء الأسطول الانجليزي في التغلب على الارمادا الاسبانية الضخمة في عام ١٥٨٨م مما أدي إلي تراجع مكانة اسبانيا وارتفاع شأن إنجلترا، كما سهول روسيا الشاسعة وشتاؤها قارس البرودة في فشل حملة نابليون عليها عام ١٨١٢م ، وهزيمة جيوش هتلر عام ١٩٤١م أثناء الحرب العالمية الثانية.

---

(١) سيد احمد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٧٦، ص٩-١٠.

(٢) الحويري: منهج البحث، ص١٨١-١٨٢.

١٤- علم الاقتصاد Economy:

تعني كلمة " اقتصاد" Economy ما ينتج الانسان من سلع، وكيفية تبادلها واستهلاكها. والاقتصاد هو حالة تطور مجتمع ما من حالة بدائية إلي حضارية أرقي، وبهذا يأخذ المجتمع الاقتصادي بالنمو تدريجياً، حتى أصبح على ما نحن عليه اليوم من تطور عمراني وصناعي وتجاري وثقافي.

يعكس التطور الاقتصادي في العالم حركة التاريخ الانساني منذ بداية مراحل المجتمع البدائي، حتى المجتمع المعاصر، حيث عبر المراحل التالية[١]:

١- المرحلة المتوحشة (مرحلة الصيد واكتشاف الانسان للنار)

٢- المرحلة البربرية(مرحلة الزراعة وتربية الحيوانات)

٣- مرحلة بداية الحضارات(مرحلة التخصص، وتقسيم العمل، وظهور مجالات جديدة للنشاط الاقتصادي)

وهذه المجالات كانت سببا لبدء تحول المجتمع ليس اقتصاديا فحسب، وبل واجتماعيا وسياسيا بحيث انعكست على مسار هذا المجتمع، فقد بدأت معها مسيرة التحول من سلطة العشيرة إلي سلطة الدولة.

ويرتبط علم الاقتصاد ارتباطا وثيقا بدراسة التاريخ، والتي يساعد الإلمام بها دراسة التاريخ، إذ أن العوامل الاقتصادية ذات أثر فعال في سير التاريخ. فالثروة الطبيعية في بلد ما تحدد نوع الانتاج الزراعي والصناعي ونوع التبادل التجاري ومدي نشاطه. بل إن بعض المؤرخين يؤثرون العامل الاقتصادي كعامل محرك لأحداث التاريخ، ومن ثم ولد تخصص جديد هو التاريخ الاقتصادي كفرع من فروع التاريخ الأخرى مثل التاريخ الاجتماعي والسياسي. فالوضع السياسي يتأثر عادة بالوضع الاقتصادي فطريقة توزيع الثروة ومصادر الإنتاج على طبقة أو فئات من المجتمع يؤثر على السياسة الداخلية تأثيرا مباشرا. ويحدد علاقة هذه الطبقات والفئات بعضها بالبعض، ونظام الحكم ومستوي المعيشة، ومشاكل الجماهير، والدولة القوية

(١) يونس البطريق: الأحداث الرئيسية في التطور الاقتصادي، ١٩٨٥، ص٧.

اقتصاديا يكون النظام السياسي فيها عادة مستقرا، والعمران والرخاء الاقتصادي يؤثر تأثيراً على النواحي السياسية والعكس صحيح[١].

ومن الأمثلة على أثر الظروف الاقتصادية في أحداث التاريخ ما نلاحظه من أن مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين–العراق– كانت تنعم باقتصاد قوي وتكاد أن تكون مكتفية ذاتيا، ومن ثم لم تسعي هذه البلاد إلي التوسع الاقتصادي خارج حدودها إلا فيما ندر، بعكس بلاد الإغريق حيث كانت مصادرهم الطبيعية محدودة ولا تنتج ما يفي بحاجة سكانها مما جعل الانتشار الاستيطاني للإغريق أمراً ملحا[٢].

كما يقال أن الاسكندر المقدوني خرج على رأس جيوشه نحو الشرق ليضع حلا لمشكلة التزايد السكاني في بلاد اليونان ونضوب المصادر الطبيعية بل إن أرسطو معلم الإسكندر كتب مقالا خصصه لبحث مشكلة الاستيطان ودوافعه.

ولقد كان القمح الذي يشكل الغذاء الأساسي لغالبية شعوب البحر المتوسط عاملا مؤثرا في سياسية دويلات البحر المتوسط، فقد تعرضت مصر لغزو الاسكندر لتأمين مصادر الغلال لبلاد الإغريق، وهو نفس العامل الذي لفت اهتمام الرومان إلي أهمية مصر كمصدر للقمح فبدأوا في بسط نفوذهم على البطالمة رويدا رويدا حتى انتهت هذه السياسة باحتلال مصر بالقوة عام ٣٠ ق.م. بل وضعت مصر تحت إشراف الإمبراطور الروماني الشخصي لأنه أدرك أن قطع القمح المصري عن روما يعني إحداث مجاعة وإسقاط الحكم فيها.

كذلك كان لمرور التجارة العالمية عبر أراضي دولة المماليك في مصر والشام مصدر من أهم مصادر قوتها هي والعديد من المدن الايطالية كالبندقية وجنوة وفلورنسا ونابولي وغيرها، وعندما قام البرتغاليون باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حول إفريقيا وتحول التجارة إلي هذا الطريق سببا في تدهور وأفول نجم هذه الدول وبرزت قوة البرتغال.

كما كان للانقلاب الصناعي – الثورة الصناعية– الذي حدث في أوربا في القرن الثامن عشر نتيجة للمخترعات الحديثة، ثورة في النظم الاقتصادية، ولجأت دول غرب أوربا إلي سياسة التوسع والاستعمار للحصول على المواد الخام اللازمة للمصانع بأرخص الأسعار،

---

(١) سيد الناصري: فن كتابة، ص٢٣٦.

(٢) الحويري: منهج البحث، ص١٨٤.

ولإيجاد أسواق لتصريف منتجاتها الصناعية، ومن ثم كان الاستعمار الاقتصادي هو المظهر البارز للاستعمار الحديث[1].

وكانت الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م على مصر تهدف إلي ضرب انجلترا اقتصاديا في أكبر مستعمرة لها في الهند. وهي أيضا في نفس الوقت حلقة من سلسلة الحصار الاقتصادي الذي تحاوله كلتا الدولتين (انجلترا – فرنسا) لضرب الأخرى.

كذلك كانت الظروف الاقتصادية واضحة الأثر في الحرب العالمية الأولي(١٩١٤-١٩١٨) وفي الحرب لعلمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥)، فقد تدخلت الولايات المتحدة في كلتا الحربين بقوتها الاقتصادية الكبيرة في حسم الحرب لصالح حلفائها.

وفي العلاقات بين الدول الكبرى والصغرى بعضها وبعض، وهي من الأسباب الرئيسية للمشاكل المختلفة البادية في شتي أنحاء العالم وستظل الظروف الاقتصادية عاملا هاما في توجيه مصائر الشعوب بل الإنسانية جميعا.

ومهما يكن الأمر فينبغي على المؤرخ أن يدرس الأحوال الاقتصادية للعصر الذي يتناوله بالدراسة، وأن يفهم النظريات الاقتصادية المختلفة دون أن ينحاز إلي إحداها.

ولما اكتشف البترول كمادة أساسية في الصناعة استدارت الدول الصناعية إلي مناطق توافره في الشرق الأوسط ولا يزال البترول يلعب دورا أساسيا في سياسة الدول الأوروبية الصناعية والولايات المتحدة الأمريكية إزاء دول الشرق الأوسط، وخاصة العالم العربي، وبنهوض الدول المنتجة للبترول وإدراكها لقوة البترول كسلاح اقتصادي فعال، وقد استخدمت الدول العربية سلاح البترول في حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣م ضد إسرائيل والدول المؤيدة لها.

ولهذا بدأت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الصناعية الأخرى تبحث عن مصادر أخري للطاقة، حتى لا يتكرر ما حدث لهم مرة أخري، بل لا نخفي الحقيقة أن نقول أن بترول العرب في الخليج تحت السيطرة الأمريكية، يدل على ذلك انتشار القواعد العسكرية الأمريكية في إمارات الخليج ووجود حاملات الطائرات والغواصات في مياه الخليج.

---

(١) شوقي الجمل: علم التاريخ، ص٩٠.

١٥- الأدب:

يعتبر الأدب من العلوم المساعدة لفهم وكتابة التاريخ. فدراسة الأدب بصفة عامة توسع عقل الإنسان وتجعله أقدر على الفهم. ولابد للراغب في كتابة التاريخ من أن يتذوق الشعر لكي يفهم ملكة الخلق والابتكار. ويلزمه أن يقرأ القصص الأدبي لكي يتعلم فن عرض الموضوع وإبراز الحوادث المهمة وبحث الشخصيات، ووضع التفاصيل في المكان الملائم وإثارة انتباه القارئ، ويحسن أيضاً دراسة بعض كتب النقد الأدبي لأن هذا يساعد على نقد التاريخ. ودراسة الآثار العقلية لأمة ما أمر ضروري جداً لفهم تاريخ هذه الأمة. فمعرفة الأدب اليوناني ضرورية لكتابة تاريخ اليونان؛ والإلمام بالأدب الإيطالي لازم لكتابة تاريخ إيطاليا؛ ودرس الأدب الإنجليزي مهم لفهم تاريخ إنجلترا

كما يتصل بدراسة الأدب الفنون المرتبطة بالشعب أو بالعصر الذي يرغب الباحث الكتابة عنه، مثل فنون النحت والتصوير والعمارة والموسيقى. فمن يرغب في دراسة تاريخ اليونان القديم لابد له من أن يدرس تطور الفن اليوناني القديم. ومن يرغب الكتابة عن تاريخ النهضة في إيطاليا يلزمه أن يدرس تطور الفن الإيطالي في عصر النهضة. ويمكن جمع ثقافة فنية عامة بدراسة الصور والرسوم في بعض المؤلفات العامة. ويا حبذا لو أمكن الباحث أن يدرس أهم آثار الفن اليوناني أو الإيطالي في متاحف اليونان وإيطاليا، ويعيش بعض الزمن في ذلك الجو الفني الخالص بين روائع فنون التصوير والنحت والموسيقى. ولا ريب فان الفنون خلاصة العواطف الإنسانية، تعبر أصدق تعبير عن روح العصر، والتأثر بها يجعل الباحث أقدر على فهم التاريخ وكتابته

١٦- علم الإنسان (الانثروبولوجيا Anthropology):

إن المؤرخ لابد أن يكون على علم ودراية بأكثر العلوم التي تسانده على الإجادة والإفادة وفي مقدمتها علم الإنسان الذي يعتبر بالنسبة للأجناس البشرية مرآة حياتهم وحضاراتهم، ومن خلاله يستطيع الوصول إلى أفكارهم وعواطفهم الإنساني.

وهو من العلوم القريبة جدا من التاريخ، فعلم الإنسان يهتم بثقافة الإنسان البدائي، بينما يعني المؤرخون أساساً بالإنسان عبر العصور التاريخية ولاشك أن النتائج التي يقدمها علماء الإنسان ذات فائدة كبيرة للمؤرخ فهي تساعده في تفسير كثير من الوقائع التاريخية

كما أن علم الإنسان يعتبر أقرب العلوم الاجتماعية ملائمة للتاريخ، لأن المشكلات التي يواجها علماء الإنسان والمؤرخون أغلبها مشتركة، والخط الفاصل بين هذين العلِمين غير واضح. فعلماء الإنسان يعكفون على دراسة ثقافة الإنسان البدائي، أما علماء التاريخ فيدرسون الإنسان المتحضر. وتتفق مكانة علم الإنسان وعلم التاريخ في باب العلوم الإنسان العملية إذ إن مادتيهما ذات صبغة عامة، وأن علم الإنسان موجود كالميدان الذي يلتقي فيه كل من له اهتمام بالإنسان.

إن علم الأنثروبولوجيا يتعرض إلى المسائل التاريخية عندما يتتبع التطور البشري وانتشار السكان على سطح الأرض، وبداية ظهور الثقافات والحضارات والهجرات والبناء الاجتماعي. ومن هنا أستطيع القول: إن الثقافة تعتبر إحدى المفاهيم الكبرى لعلم الإنسان، كما أن التاريخ يعتبر سلسلة متتابعة من ثقافات متميزة، فكل تاريخ يتولد من ثقافة، كما أن كل ثقافة تتولد من تاريخها.

وفي الحقيقة، إن الثقافات محصلة التاريخ ونتاجه، إلا أن التاريخ يتأثر بطبيعة الإنسان البيولوجي وبيئته المادية. وغالبًا ما يكون هناك اقتران بين المنطقة الثقافية بالعوامل المعينة الأخرى التي تحدد المنطقة جغرافيًا. إن حياة شعب ما لا تنظمها ثقافته فحسب، بل هناك شراكه مع التحديات التي يفرضها الطقس وخصائص المكان والحيوانات والنباتات وغيرها من الموارد الطبيعية والمكان بالنسبة للثقافات الأخرى. فمن الممكن أن أقول: إن المفاهيم المتصلة بالثقافة والتغير الثقافي تزود المؤرخ بخلاصة العلاقات البشرية وطبيعة الثقافات الإنسانية قبل التاريخ، بالإضافة إلى تحليلها سواءً كانت شفوية أو مدونة يقول هيوج . أتكن: " إن علماء الإنسان قد جرو من زمن طويل على الاعتراف بأن هناك طقوسًا ذات صبغة عامة كإقامة الجنائز وشعائر الموت "ومن هنا نشأت اللغات وتطورت الفنون عند الشعوب فإن المستفيد

من ذلك هو المؤرخ عندما يبين حقيقة وأسرار الماضي ويتوصل إلى مؤشرات تاريخية من خلالها يستطيع أن يفسر كثير من العلاقات البشرية في الوقت الحاضر.

خلاصة القول: إن التاريخ هو وعاء الخبرة البشرية، وهو العلم الخاص بالجهود البشرية أو محاولة الحصول على إجابات عن أسئلة تتعلق بجهود البشرية في الزمن الماضي وفيها نتعرف على جهود المستقبل، وبدون شك فإن التاريخ يصبح علمًا له أصوله

١٧- علم النفس Psychology:

يعتبر علم النفس من أهم العلوم التي يجب على المؤرخ معرفتها والإحاطة بها، وتأتي هذه الأهمية من أن معرفة نفسية الحاكم أو الزعيم وكل ما يتعلق بها من عقد ورواسب تكون سببًا في حدوث تغير في مصائر الأمم والشعوب

ويهتم علم النفس بدراسة النفس البشرية، ولما كان الفرد أو مجموعة الأفراد في المجتمع هم الذين يصنعون التاريخ تحركهم عدة دوافع اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية، فقد وجب على المؤرخ أن يكون على علم بالنتاج والأبحاث التي يقدمها علم النفس لتفسير تلك الدوافع، وخاصة فيما يتعلق بدراسة التراجم(السيرة الذاتية للفرد) المتعلقة بالقادة.

لاشك أن تفهم نفسية الشعوب بالنسبة للمؤرخ وخصوصا تلك التي يتناولها بالدراسة تجعله يقدم للقارئ دراسة عميقة وصادقة لأنه دخل في أعماق تلك الشعوب في محاولة لتفسير الدوافع التي أدت إلي القيام بأعمالهم.

ولكي يفهم المؤرخ تاريخ العلوم في بلد معين لابد من دراسة السيكولوجيا الاجتماعية، فبدونها من الصعب فهم التطور المادي في المجتمع. ونعني بالسيكولوجيا الاجتماعية هي العواطف والأفكار إلى تسيطر في زمن ما على طبقة اجتماعية معينة في بلد معين. إن دراسة السيكولوجيا الاجتماعية تساعد المؤرخ على أمرين في غاية الأهمية بالنسبة للبحث التاريخي: أولهما: تشخيص الحقائق التاريخية، وثانيهما: وضع تفسير ومبادئ لتفسير هذه الحقائق.

صفوة القول، إن المؤرخ الذي لا يدرك أهمية علم النفس في دراسته لا يستطيع تحليل الوقائع التاريخية التي تنشأ بسبب هذه الأمراض النفسية تحليلًا سليمًا وسيشكل عليه الأمر ولا تستقيم له الأحكام

١٨- علم الاجتماع Sociology

لا شك أن علم الاجتماع من العلوم المساعدة والضرورية للمؤرخ. فالصلة وطيدة بين التاريخ والاجتماع فكلا العلميين يهتم بدراسة الإنسان سواء في الماضي أو الحاضر.

والمؤرخ لا تقتصر دراسته على النواحي السياسية والاقتصادية والدينية والحربية فحسب، لكنه يتطرق إلي النواحي الاجتماعية حيث يدرس التغير الاجتماعي، أي دراسة حركة المجتمع داخل إطار الزمان.

ومن الموضوعات التي يعني بها كل من المؤرخ وعالم الاجتماع دراسة الطبقات الاجتماعية وما يطرأ على هذه الطبقات من تغير. وأخيرا فإن رجل الاجتماع يعتمد كثيرا في الوصول إلي نتائجه على ما يقدمه له المؤرخ من خلفيات تاريخية.

١٩- العلوم السياسية:

لا يمكن للمؤرخ الحق أن يغض الطرف من دراسة العلوم السياسية التي تهتم في المقام الأول بدراسة الجماعات السياسية المؤثرة والعوامل التي تكمن وراء صنع القرارات وأسلوب الحكم والسلطة، بالإضافة إلي دراسة العوامل الحاسمة في رسم السياسة العامة للدول وتنفيذها.

ويتضح أهمية التاريخ بالنسبة لعلم السياسة أصبحت أمراً تقليدياً، فلا أساس لعلم السياسة بدون علم التاريخ. ويضاف إلي هذا الأمر أن لا ثمرة للتاريخ بدون علم السياسة. ويعتبر البعض أن التاريخ هو الوحيد الذي يستطيع أن يؤدي معني تطور الأفكار والمؤسسات خلال كر الأيام ويمكن للتاريخ أن يؤدي لعلم السياسة خدمتين:

الأول: دراسة عمل الحياة العامة خلال الفترات الماضية. وهذا دور خاص بالتاريخ السياسي. تاريخ لا يكتفي بوصف الحرب أو بعملية تاريخ الحوادث. بل يأخذ بعين الاعتبار مجموع العوامل المفسرة.

وفي كثير من الأحيان يصعب على المرء الفصل بين التاريخ المعاصر والسياسة خاصة في المجال الدولي، فالعلاقات الدولية وما يترتب عليها من نتائج هي المادة الأولي التي يصنع منها المؤرخ مادته التاريخية، خاصة في العصر الحديث، حيث تشابكت المصالح الدولية، ولم يعد هناك دولة واحدة تعيش في معزل عن الأخرى أو لا تتعامل معها[1].

كذلك من المفيد أيضاً أن يلم الباحث في التاريخ بطائفة أخرى من العلوم المساعدة. فيلزمه أن يعرف شيئاً عن المنطق وتقسيم العلوم لكي يفهم موضع التاريخ من بقية العلوم الأخرى، كما ينبغي أن يدرس فلسفة التاريخ فيعرف أراء بعض الكتاب مثل: برجسون وكروتشي. وهو محتاج أيضاً لأن يعرف مسائل عامة عن علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والمالية والقانون والنظريات السياسية، والرياضة والفلك في بعض الأحيان، لأنه قد تعرض للباحث كل أو بعض هذه المسائل، فلابد من أن يكون ملماً بها، وإذا لم يكن يعرف بعض هذه النواحي، فيمكنه تحصيلها بسهولة

فضلاً عن ذلك فمن الضروري جداً ألا يبقى الباحث في التاريخ في بلد واحد وفي دائرة محصورة؛ بل يلزمه السفر والارتحال إلى بلدان مختلفة، لا من أجل البحث التاريخي في ذاته فقط، بل لكي يرى أفاقاً جديدة، ويكسب خبرة بالناس وبالأوساط المختلفة. ومن الضروري أن يقضي زمناً في البلد الذي يدرس تاريخه. والأفضل أن يبدأ الباحث سفره بعد أن ينهي تعليمه الجامعي في بلده الأصلي، وبعد أن يقطع شوطاً في الدرس، وبعد أن يتعين له العصر الذي يرغب الكتابة عنه؛ فيسافر وقد تزود بأسلحة نافعة وبدأ طريق البحث العلمي، فيمضي في الدرس والكشف عن الحقائق التاريخية، ويزور الأماكن المختلفة، ويدرس ويتأمل؛ والنفس العالية لا تشعر بأنها غريبة في أي مكان.

(1) الحويري: منهج البحث في التاريخ، ص١٨٠.

الفصل الرابع

المدارس التاريخية

أولا: التفسير الديني للتاريخ

ثانيا: التفسير الإسلامي للتاريخ

ثالثا: التفسير البطولي للتاريخ:

رابعاً: التفسير المادي للتاريخ

خامسًا: التفسير المثالي للتاريخ:

سادساً: تفسير النزعة التاريخية:

سابعاً: التفسير الجغرافي للتاريخ:

ثامناً: التفسير القومي للتاريخ

الفصل الرابع

المدارس التاريخية

من المعلوم أن الخلاف بين المؤرخين يكمن أساساً حول مسألة التفسير أو التأويل، أي معرفة الأسباب والعلل الكامنة وراء أحداث لتاريخ ووقائعه. ذلك أن المؤرخ حين يؤرخ لموضوع ما عليه أن يجيب عن أسئلة ثلاثة أساسية هي: ماذا حدث؟ وكيف حدث؟ ولماذا حدث؟ والإجابة عن السؤالين الأولين لا تثير أي خلاف، إنما يشجر الخلاف أصلا في الإجابة عن السؤال الثالث، لا لشيء إلا لأنها تعكس منظور أو "مخيال" المؤرخ الذي هو نتاج ثقافته وأيديولوجيته. ومعلوم أن الأيديولوجية تفت في مصداقية المعرفة وتلوانها بألوان قد تكون مجافية للحقيقة[1].

وقد جرت محاولات عديدة على مر العصور لتفسير الأحداث التاريخية أيا كانت وجه التعمق فيها والأساليب التي اتخذتها، ومن ثم طرحت خلال تلك تساؤلات عدة ومن خلال تلك المراحل أيضا ظهر ما يعرف بمصطلح فلسفة التاريخ Philosophy of History وقد اختلفت معاني هذا المفهوم من عصر إلي عصر.

أولا: التفسير الديني للتاريخ:

وهذا المفهوم قديم قدم البشرية ويعنى الاعتقاد بوجود قوى ثابتة مستقرة وراء التغيرات التي تحدث في المجتمع. وهى إرادة الإلهة في العصور ما قبل الأديان الإبراهيمية، ثم قوة الإله الواحد بعدها. وهذه القوة تفرض سلطانها على شئون البشر، وإرادتها كاسحة، وسلطتها المشروعة تخلق قانوناً معينا يحرك شئون البشر في كل مجال.

ففي الزمن القديم كانت الشعوب تعيش في ظلّ حكومات تشرّع قوانينها بما تعتقد أنّه مشيئة الآلهة، وذلك عن طريق الرؤساء الدينيين أو من وحي الكهّان، فكان ما يقع في ذهن المشرع، يُنسب إلى الآلهة، سواء إله الخير، أو إله الشرّ، أو إله البحار، أو إله الشمس، أو ما أشبه ذلك.

([1]) محمود إسماعيل: "إشكالية تفسير التاريخ عند المؤرخين المسلمين الأوائل"، عالم الفكر، مج٢٩، عدد٤، الكويت، ابريل-يونيو ٢٠٠١، ص٤١.

ويكون لحكم هؤلاء الرؤساء الدينيين أو وحي الكهّان، قداسة خاصّة لا يمكن تخطّيها، فمن تخطّاها يرون أنّه يعاند المشيئة الإلهية، فيستحقّ العقاب التكويني كالزلازل، والفيضانات، أو العقاب التشريعي مثل الإلقاء في النار، أو في البحر، أو في غابة لتأكله السباع، أو في بئر عميق، أو يستحق القتل بالجلد، أو الرجم، أو الذبح، أو قطع الأعضاء.

والاتجاه الديني في جوهره يعنى الاعتقاد بوجود قوى ثابتة مستقرة وراء التغيرات التي تحدث في المجتمع، وهى إرادة ومشيئة الإله. ولا يأخذ هذا المفهوم بالمصادفة، لأن المصادفة تعنى الفوضى والعبث والأيمان بالعناية الإلهية في التاريخ يقتضى إيمانا بالإله، ومن ثم فإن المفهوم الديني في التاريخ ليس نظرية، ولكنه مستوى من الإيمان والاعتقاد في وجود تدخل محكم من الإله الحكيم ليخطط للإنسان العاجز عن فعل الخير لنفسه (المقدر والمكتوب) ولولا هذا التدخل الإلهي، لأصبح التاريخ كومة مضطربة من عصور متراكمة في عبث أو مأساة رهيبة دون بداية معقولة أو نهاية مقبولة.

ويسيطر هذا المفهوم على القصص التاريخي الوارد في ما يعرف بالنصوص الإلهية المقدسة أو الكتب السماوية حيث يخرج القارئ بنتيجة مؤداها أن حركة التاريخ الحقة ليست سوى خطة إلهية لخلاص العالم، مقررة سلفا في خطوطها العامة على الأقل منذ بدء الخليقة وحتى يوم الحساب. ومهمة المؤرخ هنا عبارة عن تتبع خطوات تنفيذ هذه الخطة. وفي ضوء هذا، قرأ القديس أوغسطين التاريخ القديم ليستخلص منه ما يؤكد فكرة غرق الجنس البشرى في الخطيئة والمعصية، واستحقاقه ما أصابه من حروب وما أحاط به من كوارث.

ففي الحالات التي لم يستطع فيها المؤرخون تقديم بعض التفسيرات البطولية للتاريخ قدموا تفسيرات دينية نتيجة لاعتقادهم بوجود قوى خارقة تهيمن وتسيطر على العالم وتوجهه سموها بالإله.

فعند اليونان القدماء ولدى شعوب الشرق القديم ولا بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر تم ذكر مثل هذه الإلهة وأحياناً اعتبروا الملك على أنه هو الإله أو ممثل الإله على وجه الأرض ونسبوا إليه الحوادث التاريخية. فحركة التاريخ ليست سوى الخطة الإلهية لخلاص العالم، وهذه الخطة مقررة في خطوطها العامة منذ بدء الخليقة وحتى يوم القيامة وهذا التفسير ساد تواريخ التوراة كما أنه يتجاوب مع المنهج التاريخي للكنيسة المسيحية ولكن بصورة أعمق، وأما التفسير الإسلامي للتاريخ فإنه يدعو أيضاً إلى الاعتقاد بوجود الإله المسيطر على كل شيء

والموجه لكل شيء ووفقاً لهذا التفسير تغدو حركة التاريخ التي يتبع لها الكون حركة واحدة تبدأ يوم خلق الله السموات والأرض وتتجه نحو يوم القيامة. إذا هنالك فريق من المؤرخين وهم من أصحاب النظرات الدينية في الزمان وفي التاريخ وهؤلاء ربطوا الزمان بالخلق الأول وبمصير الإنسانية في الدنيا، وبالنهاية يرتبط بها حساب وعقاب وثواب، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه (فيلون حوالى ٢٥ ق. م . ٥٠ م) بالنسبة إلى اليهودية والقديس أغسطس(٣٥٤-٤٣٠م) بالنسبة إلى المسيحية وابن خلدون المتوفى (٨٠٨هـ) بالنسبة إلى الإسلام.

ويلاحظ أن التاريخ الذي كتب على أساس ديني سواء في العصور القديمة أو الوسطى، اتخذ له صفات خاصة، فهو مثلا يكون تاريخاً عاماً، أو تاريخاً للعمل يرجع إلى أصل الإنسان منذ بدء الخليقة ويعرض للكيفية التي نشأت بها الأجناس البشرية. وهو أيضا لا ينسب الأحداث لحكمة البشر ولكن لأعمال القدر. وهو من ناحية ثالثة يدور حول محور رئيسي مثل ظهور الأنبياء فيصبح التاريخ دائرا كله حول ظهور الأنبياء. وهو أيضا من ناحية رابعة يجعل المؤرخ يعتمد على المصادر التقليدية لتمده بالحقائق. ولما لم تكن لديه الأدلة الكفيلة بنقد هذه المصادر التقليدية، فلم يكن أمام المؤرخ إلا تصديق ما تمده به هذه المصادر حيث يعتمد عليها دون مناقشة عميقة.

وبتأثير هذا التفكير، وهو إغفال الإرادة الإنسانية في توجيه الأحداث انصرف مؤرخو العصور الوسطى إلى البحث عن جوهر التاريخ في خارج نطاق التاريخ نفسه. وبمعنى آخر الانصراف عن أعمال الإنسان والبحث عن الخطة التي رسمتها المقادير لتوجيه أحداث التاريخ. وكان هذا هو السبب في أن تدوين التاريخ في العصور الوسطى اتسم بالضعف من حيث النقد والتحليل، وهو ضعف ليس ناتجا لقلة المصادر التاريخية والمادة العلمية، وإنما كان بسبب القيود التي فرضت على المنهج الذي رسموه لأنفسهم والتركيز على دراسة خصائص الذات العليا القدسية، أكثر من دراسة دقيقة علمية للحقائق التاريخية.

وكان هؤلاء المؤرخون أميل إلى سرعة الاعتقاد والتصديق منهم إلى التحري والتدقيق في قبول الأخبار ورواية الأحداث، ولم يكن هناك تفريق بين الواقعي والمثالي، أو الحق التاريخي والحق الشعري، وكانت الملاحم الشعرية تعد مراجع تاريخية، ولم يكن هناك ما يحول دون تزييف الأخبار وتزوير الوثائق والأسانيد، ولم تكن هناك عناية بكشف الحقائق وبحض

الأباطيل، ما دامت الوثائق والأخبار المزيفة تخدم قضية من قضايا العصر، وتؤيد معتقدا من المعتقدات الشائعة.

ولاستخدام هذا المفهوم في كتابة التاريخ مظاهر شتى، فنجد أن أنصاره هم الذين أطلقوا صفة " الصليبية " على الحروب التي تمت بين المشرق والغرب خلال العصور الوسطى، لا شيء سوى اختلاف عقيدة المتحاربين بين المسيحية والإسلام، وأيضا تفسيرهم خروج العرب من الأندلس في أواخر القرن الخامس عشر، على أنه استمرار للصراع بين المسلمين والمسيحيين، مع أن الخلاف الديني المذهبي بين الطرفين أقدم من هذا بكثير بسبعة أو ثمانية قرون على الأقل، ويتضح أيضاً في تفسير الصراع بين اليهود والعرب على أنه صراع ديني، مع أن الخلاف الديني ثابت وقديم، وتحريك الصراع في تاريخ معين لابد وأن يبعث في ذهن الباحث محاولة تعليل غير مثالية، كالاختلاف على طرق التجارة بين الشام واليمن منذ القدم بين قريش ويهود الجزيرة. والذي أخذ بعدا دينيا بنزول الإسلام.

ثانيا: التفسير الإسلامي للتاريخ

أما التفسير الإسلامي للتاريخ فيعد التفسير العلمي القائم على البرهان والدليل وكذلك التأكيد على العبرة والدرس من أحداث التاريخ الذي يسير وفق منهج وناموس إلهي عميق مع التأكيد على حرية الإنسان وإرادته التي تجعل منه مسئولاً عن جميع أفعاله في الدنيا والآخرة. وهو يؤكد على وجود الإله الحكيم المسيطر على كل شيء والموجه لكل شيء فهو المهيمن ولكن ليس بظلام للعبيد وبالتالي رغم هيمنته ترك للإنسان النجدين (أي الطريقين، طريق الخير وطريق الغي) وعليه الاختيار.

ووفقاً لهذا التفسير تصبح للحياة معنى وهدف والتاريخ يصبح شاهداً والقضاء والقدر ذاتها لم تقف عائقا ولا هي تحول دون إبراز نشاط الإنسان، والتاريخ شاهد أمين على صدق هذا القول في كثير من الحالات، فقد كان المسلمون يعرفون أن الله سبحانه وتعالى قد قدر كل شيء في سابق علمه ومن الأزل، وان ما قدر يكون، مع هذا اندفعوا لتحطيم الفرس والروم في فترة لا مثيل لها في القصر، وبذلوا جهداً خارقا في سبيل نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية حيثما استطاعوا، وانصرفوا يجرون ورائهم رزقهم ومعاشهم وأمورهم الدنيوية، لأنهم كانوا يدركون في نفس الوقت أن لكل امرئ ما سعى وان السماء لا تمطر ذهباً أو فضة

ثالثا: التفسير البطولي للتاريخ:

يعتبر **الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ** من أقدم التفسيرات التي عرفها الإنسان وهو يعنى أن أعمال الرجال العظام هي التي تصنع أحداث التاريخ في هذا العالم.

كما أنه أحد ثلاثة تفسيرات للتاريخ فهناك أيضا الاتجاه الإلهي والاتجاه البشري. ساد اعتقاد في حقبة من التاريخ بأن عربة التاريخ يحركها أبطال محاربين أشدّاء، وكان الناس يعتقدون أن هؤلاء أسمى من عامة البشر. وقد سادت الأرستقراطية نُظم الحكم هذه، ومن خلالها نشأت الفروسية التي كانت تمجِّد الحرب.

بدأ هذا الاتجاه منذ زمن الفراعنة وبلاد ما بين النهرين والصين، فقد كان الملك هو واضع القوانين ومسئولاً مسئولية كاملة عن الدولة من كافة النواحي. مجدته الرعية حتى أن بعض هؤلاء الحكام قال: أنا ربكم الأعلى وصدقته الرعية.

الاتجاه البطولي عند اليونان

كان خلق الأسطورة أول خطوة خطاها الإنسان في طريق الإبداع واكتشاف نفسه، وبالتدريج تكونت من الحكايات المختلفة، التي ولدت على الأرض الإغريقية، وملاحم كاملة عن مصير الأبطال والآلهة التي تحميهم. كل هذه الأساطير والأناشيد والإشعار، التي كان ينشدها ويرويها المغنون الجوالون، تحولت إلي ملاحم الإلياذة والأوديسة للشاعر اليوناني هوميروس تعتبران نموذجاً لتمجيد البطولة والأبطال، وهي ملحمة أثرت في تاريخ الفكر اليوناني بل والبشري كله وأصبح "أخيل" ذلك البطل الذي يقود الحروب ويغير مسار التاريخ. وظهر الشعراء المسرحيون القدماء (اسخيلوس، سوفوكليس، يوريبيدس) الذين بنوا تراجيدياتهم على مواد مسقاة من الحكايات القديمة عن الآلهة والأبطال[1].

هيرودوت (٤٨٤-٤٢٥ ق.م.)

أما هيرودوت الكاتب الإغريقي الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، قد كتب ما يمكن أن نسميه أول كتاب في التاريخ، ولهذا استحق أن يُلقب بأبي التاريخ.

---

(1) نيهاردت: الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة هاشم حمادي، دمشق،١٩٩٤،ص٥.

وما يميز هيرودوت عن غيره من المؤرخين هو اهتمامه بتسجيل الوقائع الحقيقية والابتعاد عن الخرافات والأساطير التي كان غيره يسجلها كأحداث تاريخية. ويحتوي تاريخ هيرودوت على مناقشات قيمة وحية حول العادات والتقاليد والجغرافيا وتاريخ شعوب البحر الأبيض المتوسط وخصوصا المصريين الذين أعجب ببلادهم وسماها هبة النيل.

واعتمد هيرودوت في كتاباته أسلوب التشويق والإثارة خاصة عندما كان يكتب عن تاريخ اليونان في القرن السادس قبل الميلاد، وقد ركز اهتمامه على الحرب بين الإغريق والفرس ووصف بشكل تفصيلي معركة الماراثون و زرزيس التي انتصر فيها اليونانيون على الفرس.

وكتب هيرودوت تاريخه على أمل أن يحفظ به أعمال الناس ولكي يمنع الأعمال العظيمة والمدهشة التي قام بها اليونان والبرابرة، يعنى (غير اليونان)، من أن تفقد ما تستحقه من التمجيد.ومن هنا ظن هؤلاء المؤرخون، أن السبب الرئيسي للتغيير في التاريخ هو بسالة عظماء الأبطال والكهنة والملوك[1].

ثوكيديس (٤٦٥-٤٠١ ق.م.)

وجاء بعد هيرودوت المؤرخ اليوناني ثوكيديدس والذي تناول التاريخ بطريقة جدية بعيدة عن الأساطير والقصص الخرافية؛ فوضع بذلك حدا فاصلا في كتابة التاريخ بين المنهج الملحمي والتأثر بالاعتقاد بما فوق الطبيعة وبين الكتابة التاريخية التي تقوم على تمحيص الحقائق واستقصاء الأسباب المعقولة للأحداث والعلل التاريخية.

والموضوع الرئيس الذي اختاره ثوكيديدس هو حرب البلوبونيز، وقد اظهر أن أهمية الكتب التاريخية متوقفة على دقة المعلومات وصحتها أكثر مما هي متوقفة على العرض الجذاب ولم يكن يكتفي بنقد المراجع وإنما كان بارعا أيضاً في تنسيق المواد التي يجمعها ويفسرها.

وقال ثوكيديس بنظرية (الرجل العظيم)، وفيها يوضح الدور الذي يلعبه الأبطال في صنع التاريخ. لأن أعمال الأبطال من ملوك وقادة وشجاعتهم هي التي صنعت التاريخ. ولقد وجهت هذه النظرية المناهج التربوية زمناً طويلاً، ولقد أولت اهتمامها لسير الأفراد الذين

---

(1) أنور محمود زناتي: علم التاريخ واتجاهات تفسيره، مكتبة الانجلو المصرية، د ت ، ص٨٧-٨٨.

ساعدوا على تحويل مجرى التاريخ، وأهملت الدور الذي تلعبه الشعوب في صنع الأحداث التاريخية

إن الطابع الذي اتسمت به كتابة معظم المؤرخين الإغريق ظل مقتصراً على قصص الأبطال وشجاعتهم الخارقة في مختلف الميادين الحرب والقتال.

بلوتارك (١٢٥-٤٦ ق.م.)

ثم جاء المؤرخ الإغريقي الشهير بلوتارخ الذي جمع في شخصه شخصية المربى وشخصية المؤرخ بكتابة (حياة العظماء) مؤكداً ما أكده ثوكيديدس من قبل بشأن نظرية الرجل العظيم. ولقد عمد بلوتارخ إلى تحليل وتمجيد الشخصيات التي شاركت في صنع التاريخ للعالم.

يمكن القول بأنه منذ عصور الملكيات الوثنية التي قامت في عصر البرونز بمصر وبلاد الرافدين والصين وبسبب الاعتقاد بقوى خارقة تنسب للملك، فإن الاعتقاد كان سائداً بأن الملك هو العامل الوحيد المؤثر في كافة الأحداث التاريخية.

العصر الحديث

هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣)

ولقد استمرت نظرية الرجل العظيم في تفسير التاريخ خلال العصور الوسطى والحديثة وإلى ذلك يشير الفيلسوف الانجليزي هربرت سبنسر حيث يقول لقد كان الملك في العصور الماضية يمثل كل شيء بينما بقية الناس لا يمثلون شيئاً ولذلك كانت أعمال الملك تغطى الصورة بكاملها بينما تكون أنماط حياة الشعب خلفية غامضة.

وحين يفضل جان جاك روسو تنظيم المادة التاريخية حول الشخصيات التاريخية فإنه يبرز لنا من جديد مدى تأثر المفكرين الأوروبيين في العصور الحديثة بنظرية الرجل العظيم التي ابتدعها اليونان وقلدهم فيها الرومان.

توماس كارليل (١٧٩٥ – ١٨٨٥)

ومن أشهر المدافعين عن الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ توماس كارليل وكان ذلك في كتابه (الأبطال) حيث يقول: في اعتقادي أن التاريخ العام تاريخ ما أحدث الإنسان في هذا العالم، إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء فهم الأئمة وهم المكيفون للأمور وهم

الأسوة والقدوة وهم المبدعون بكل ما وفق إليه أهل الدنيا وكل ما بلغه العالم وكل ما تراه في هذا الوجود.

فريدريك نيتشه (١٨٤٤ – ١٩٠٠)

فريدريك نيتشه صاحب فلسفة السوبرمان. ونادى نيتشة بفلسفة القوة وتمجيد الزعيم الكاريزماتي الذي يلهم الناس، محبوب وقدراته فوق قدرات البشر، وقد ظهرت آثار تلك الفلسفة عند هتلر ونداء الجنس الآري ذو الدم الأزرق النبيل ووجدنا النشيد الوطني الألماني في تلك الفترة يقول: ألمانيا فوق الجميع، نساء ألمانيا ونبيذ ألمانيا من اجل الوحدة الألمانية.

رابعاً: التفسير المادي للتاريخ

ويرتبط هذا التفسير بشخصية كارل هاينريش ماركس (Karl Heinrich Marx) (ولد ٥ مايو، ١٨١٨ – مات ١٤ مارس، ١٨٨٣) كان فيلسوف وعالم اقتصاد سياسي ألماني و مؤرخ ومنظر سياسي صاحب النظرية الماركسية و ينسب له تأسيس " الاشتراكية العلمية " وفردريك انجلز الانجليزيFriederich Engels .

وقد رفضت هذه المدرسة تفسير التاريخ على أسس دينية واعتبرت ذلك عملا غيبيا لا يقف دليلا قويا لتفسير الواقعة التاريخية، كما أنها رفضت في ذات الوقت التفسير بأن التاريخ يسيره أفراد وأبطال، وراحت تتحدث عن عامل ثالث هو العامل الاقتصادي.

وفي رأي ماركس أن الأوضاع الاقتصادية لآية جماعة ما هي التي تحدد صوره نظامها ومظاهر حضارتها فلكي نفهم النظام السياسي لأي بلد ما أو طبيعة عقيدية الدينية وإنتاجه الفني والفكري فعلينا أولا أن ننظر إلي نظامه الاقتصادي.

ويقوم النظام الاقتصادي على الإنتاج ونوعه وأساليبه وطرق توزيعه، وهذا الإنتاج متطور دائما ولا يخضع لأسلوب واحد. وهذا هو الذي ينتج عنه تطور المجتمع الذي يقوم عليه من نظم وقوانين وأفكار وعقائد وآداب وفنون أو ما يسمي بالبناء الفوقي للمجتمع ومعني ذلك كله أن البحث عن أي أحداث تاريخية في أي مجتمع ما لابد أن يصحبها بحث عن العوامل الاقتصادية التي أدت إليها فوراء كل حدث تاريخي عامل أو جملة عوامل اقتصادية فقط.

ويقول كارل ماركس أن أوضاع الإنتاج وعلاقاته هي تتحكم في جميع العلاقات التي تقوم بين الناس في أي مجتمع ما. ويضرب الماركسيون لذلك مثلا بما يحدث في الصناعة فيقولون أن الصانع الذي يجتهد في صناعته يستطيع جمع أموال كثيرة يمكنه بها التوسع في نطاق صناعته وبالتالي يفرض شروطه علي العامل المفرد الذي يدخل في خدمته ونتيجة لذلك يزداد رأسمال صاحب المصنع ويقل نصيب العامل وبالتالي ينعدم التوازن بين المنتج والمتمتع بثمرة الإنتاج.

وإعادة هذا التوازن في نظر الماركسيين لا يتم إلا بين يديه الذي يجعله مضطرا للتفاهم معه وهو ما نادي به البيان الشيوعي (مانيفيستو الحزب الشيوعى) Manifest des Kommunistichen Partei الذي نشره كل من ماركس وانجلز سنة ١٨٤٨ (يا عمال العالم اتحدوا).

وعلى هذا فإن الظروف المادية هي التي تحرك التاريخ في تقديرهم. فالانقلابات والثورات السياسية سواء كانت عنيفة أو هادئة ترجع أسبابها إلي أوضاع العمل والإنتاج والملكية، أي أن الأوضاع الاقتصادية وأحوال الملكية وصراع الطبقات بعضها مع بعض على التي تدفع عجلة التاريخ.

ولا ينفي ماركس ما للأفكار أثر في توجيه التاريخ ولكنها ليست عوامل مستقلة بذاتها بل هي ناتجة عن الأوضاع المادية. ومن القضايا التي ارتبطت بالنظرية الماركسية القول بأنه لا توجد مصالح مشتركة بين الطبقات المتصارعة وأن لكل نظام طبقة فالنظام الإقطاعي تمثله طبقة الأعراف، والنظام الرأسمالي تمثله طبقة أصحاب الأعمال والمقاولين والنظام الاشتراكي تمثله طبقة العمال. وبما أن هذه الطبقات لا تلتقي حول أيه أهداف أو مصالح فلا يمكنها من وجهة نظر الماركسيين أن تتعايش سويا ولابد أن يد الصراع الطبقي بينهما حتى يسفر هذا الصراع عن موت الطبقة القديمة كما أنه لابد أن يتم القضاء على الخصوم بكافة وسائل العنف حتى يتم فرض ما أسسوه بالحكم المطلق للطبقة العاملة أو دكتاتورية البروليتاريا، وهذا الصراع يظل قائماً في مرحلة التحول من النظام الرأسمالي إلي النظام الشيوعي.

وهنا يوجه البعض نقداً لهذه الأفكار واتهامها بالتناقض، كيف يتم القضاء على الخصوم بالعنف الذي يتنافى مع العدالة في الحقوق التي ينادي بها الماركسيون، خصوصا وأنه ثبت تاريخيا أنه يمكن أن يحدث شكل من أشكال التعايش بين الرأسمالية والشيوعية. ففي

يوغسلافيا حدث نوع من التعايش بين هذين النظامين، وما نسمعه من وفاق بين الاتحاد السوفيتي (سابقا) والولايات المتحدة الأمريكية وهو نوع من التعايش

بالإضافة إلي أن وسائل التقدم العلمي والتكنولوجي التي يستخدمها كلا من المعسكر بين الغربي والشرقي التي أحدثت نوعا من التقارب بينهما حيث توحدت الأفكار، كما أن المشكلات التي يعاني منها المعسكران حتمت عليهما أن يلتقيا تحت شكل من الأشكال لمواجهة مثل هذه المشكلات.

ويوجه البعض نقدا للتفسير المادي للتاريخ من حيث أن هذا التفسير الاقتصادي لا ينطبق إلا على العصر الحديث الذي تقدمت فيه العلوم والتكنولوجيا وأصبح الاقتصاد وأساسه الإنتاج هو الشغل الشاغل للمجتمع، ومن ثم بات من العسير القول مثلاً بأن العامل الاقتصادي كان حاسما في العصور الوسطي لأن رجال الدين والمفكرين والملوك كانوا هم الذين يحركون التاريخ آنذاك ، ثم إن الذين نقلوا أوربا من العصور الوسطي إلي عصر النهضة الحديثة بما واكبها من اكتشافات حديثة وفكر علمي بارز كانوا من المفكرين وأصحاب النظريات لا العمال أو الزراع[1].

خامسًا: التفسير المثالي للتاريخ:

وهي التي تتأسس على الرأي القائل بأن العوامل الأساسية في نمو المجتمعات الإنسانية هي انسياق الفكر، وقد اشتهرت بها فلسفة "هيجل" (١٧٧٠-١٨٣١)؛ الذي يرى أن التاريخ هو تاريخ الفكر، وأنه يجب أن نركز على ما كان القادة يفكرون فيه حين أقدموا على أعمالهم، لا أن نركز على ما قاموا به من أعمال، وأن القوة التي تدفع التاريخ هي قوة العقل، ويعني ذلك أن كل شيء يحدث وفق حرية الإنسان وإرادته، ويتعارض هذا المذهب مع مذهب المادية التاريخية.

سادساً: تفسير النزعة التاريخية:

وهي دراسة الأحداث من حيث ظهورها وتطورها التاريخي، وهي اتجاه يرمي إلى تفسير الأحداث في ضوء تصورها التاريخي؛ أي أننا لا نستطيع أن نحكم على الأفكار والحوادث إلا

(1) حمدنا الله مصطفي: منهج البحث التاريخي، ص٧١-٧٦.

بالنسبة للوسط التاريخي الذي ظهرت فيه، لا بالنظر إلى قيمتها الذاتية لا غير؛ لأننا إذا نظرنا إليها من الناحية الذاتية فقط وجدناها خاطئة أو شاذة، ولكن إذا نسبناها إلى وسطها التاريخي الذي ظهرت فيه وجدناها طبيعية وضروري.

سابعاً: التفسير الجغرافي للتاريخ:

يعتقد أنصار التفسير الجغرافي للتاريخ بأن التاريخ البشري كمجتمعات بشرية تتأثر بالجغرافيا والعوامل الجغرافية لا محالة، وتدخل في الأسباب التي تؤدي أما إلى عظمة الدول وارتقاء مكانتها أو الى ضعفها وانحسار دورها، فضلا عن تأثيرها في وضع الاجناس البشرية التي تصنع التاريخ: فالمناخ يحدد أماكن قيام الحضارات، ومصبات الأنهار هي مهد جميع الحضارات تقريبا، بالرغم من ان الدول العظمى تكاد تكون قد ظهرت في كل مكان على وجه الأرض، بينما الزلازل والاوبئة والجفاف تقف وراء ما قامت بها الشعوب من هجرات عبر العصور التاريخية، وأحد أشهر أنصار التفسير الجغرافي هو المؤرخ والمشرع مونتسكيو (ت١٧٥٥م)، كما يأخذ توبيني أثر العامل الجغرافي عند تقييمه لطبيعة وخصائص المجتمعات البشرية.

لكن أصحاب هذه النظرة يعترفون بأنه ليس في زعمهم تفسير كل شيء من التاريخ بالجغرافيا، بل يحددون ذلك بمردوداتها على بعض الظواهر التاريخية، وفي رأيهم ان المجال يبقى مفتوحا أمام العوامل الاقتصادية لتدخل في سير الحوادث التاريخية، كما يعتقد هؤلاء بأن هذا التحديد للحضارات لابد ان يتذبذب كلما زادت سيطرة الانسان على بيئته وظروفه الطبيعية وهذا يعني ان الجغرافيا لا تدل على أنها توجه التاريخ، وفي ضمن هذا الاطار للتفسير الجغرافي للتاريخ، يمكن اعتبار ما كتبه أبو الحسن المسعودي (ت٣٤٥هجرية/٩٥٧م) عن الجغرافيا بمثابة مقدمة لسرد وشرح تاريخ الدولة العربية الاسلامية.

ثامناً: التفسير القومي للتاريخ

عندما ظهرت القوميات في نهاية العصور الوسطي الأوروبية بدأ الناس يدركون أن هناك شعوباً تختط لنفسها سيرة تاريخية مبنية على القومية أولاً كان لابد أن يفهموا التاريخ على أساس النظرة القومية، فأرخوا الشعوب المعينة واختاروا الأحداث التي تعني هذه الشعوب

وأهملوا ما يتعلق بشعوب أخري، وبلغ بهم التعلق بهذا الشعب أو القومية أن حولوا أحيانا مساوئه إلي حسنات وأهملوا تاريخ شعوب أخري كان لها أثر كبير في تطور الانسانية[١].

وقد تأثر بهذه النظرة القومية المؤرخون المحدثون حتى أصبحت مأخذاً على عدد منهم في دراسة التاريخ التأثر بالنظرة التاريخية القومية، ولذلك انصب الاهتمام على تاريخ البلاد التي انتشرت فيها القوميات وأهمل دراسة تاريخ البلاد التي لم تكن فيها النظرة القومية هي المسيرة للجهد التاريخي. وأن هؤلاء المؤرخين انطلقوا من هذا المنطلق القومي، فاختاروا الوقائع بناء لذلك. وتعد الثورة الفرنسية ثورة الشعور القومي ومنطلق هذا الشعور في بقاع الأرض[٢].

(١) قاسم يزبك : التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠، ص٤٠.

(٢) قاسم يزبك : التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ص٤١.

الفصل الخامس

مناهج البحث العلمي

١- المنهج الاستدلالي أو الرياضي:

٢- المنهج التجريبي:

٣- المنهج الاسترادادي أو المنهج التاريخي:

الفصل الخامس

أنواع المنهج

المنهج: ترجمة للكلمة méthode الفرنسية ونظائرها في اللغات الأوروبية الأخرى. وتعود للأصل اليوناني μέθοδος وهي كلمة كان يستعملها أفلاطون بمعني البحث أو النظر أو المعرفة، وعند أرسطو بمعني " بحث "، والمعني الاشتقاقي الأصلي لها يدل على الطريق أو المنهج المؤدي إلي الغرض المطلوب، خلال المصاعب والعقبات.

أما المعني الحالي للمنهج بأنه " **طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلي الحقيقة في العلم**"، وقد اتخذ هذا المعني منذ عصر النهضة الأوروبية اعتبر علماء المنطق المنهج كجزء من أجزاء المنطق تمثل الطريق المؤدي إلي الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلي نتيجة معلومة(١).

وهناك نوعان من المنهج

أحدهما: تلقائي ويقصد به أن الإنسان في تفكيره قد ينظم أفكاره ويرتبها فيما بينها حتى تصل إلي المطلوب على أيسر وجه وأحسنه، على نحو طبيعي تلقائي ليس فيه تحديد ولا تأمل قواعد معلومة من قبل.

وثانيهما: تأملي عقلي بمعني أننا تأملنا في المنهج الذي سرنا عليه في تحصيلنا لمعارفنا العلمية وحاولنا أن نحدد قواعده ونسن قوانينه، ونبين أوجه الخطأ أو الانحراف من أوجه الصواب والاستقامة ثم نكون من هذا كله طائفة من القواعد العامة الكلية التي تخضع لها في المستقبل طرائق بحثنا . وهذا المنهج هو الذي يمكن أن يكون موضوعا لعلم هذا المنطق لأنه يقوم على التأمل والشعور لا على التلقائية واللاشعور غير الواضح، وهذا هو المعني الشائع اليوم عن نتحدث عن البحث المنهجي أو السير على منهج.

(١) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، ط٣، الكويت،١٩٧٧،ص٤-٥.

وليس هناك اختلاف كبير في مناهج العلوم تبعا لاختلافها، فإن وراء هذه المناهج كلها وحدة العقل الإنساني، فالفصل بين المناهج العلمية غير ممكن في البحث العلمي، ولكن تقسيمها هنا سيكون من أجل دراستها فحسب، فهي كلها خطوات مختلفة في منهج واحد عام.

أنواع المناهج:

يمكن تقسيم مناهج البحث إلي ثلاثة.

١- المنهج الاستدلالي أو الرياضي:

وهو الذي نسير فيه من قضية نسلم بها إلي قضايا أخري تنتج عنها بالضرورة دون اللجوء إلي التجربة، وهذا السير يكون إما عن طريق الحساب أو القول، فالرياضي الذي يجري عمليات حسابيه دون إجراء تجارب يقوم بعملية استدلال[١].

٢- المنهج التجريبي:

وهو المنهج الذي تستخدمه مجموعة من العلوم الطبيعية يهدف الوصول إلي القوانين العامة في محاولة لتفسير ظواهر الطبيعية،ويشمل هذا المنهج الملاحظة والتجربة معا حيث تبدأ فيه من جزئيات أو مبادئ غير يقينية تماما ونسير منها معممين غلي قضايا عامة لاجئين في كل خطوة إلي التجربة لضمان صحة الاستنتاج[٢].

٣-المنهج الاسترادادي أو المنهج التاريخي:

وهو المنهج الذي يقوم من خلاله الباحث باسترداد الماضي تبعا لما تركه من آثار أيا كان نوعها سواء أكانت مكتوبة أو منقوشة أو قائمة على شكل أبنية وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية

فالتاريخ يتكون من وقائع حدثت مرة واحدة وإلي الأبد، بينما يتكون العلم من حقائق قابلة دائما لأن تعود، وما ذلك إلا لأن التاريخ يقوم على الزمان، وأول خاصية من خصائص الزمان عدم قابلية الإعادة، لأن الصفة الرئيسية للزمان هي الاتجاه، والاتجاه يقتضي السير

(١) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، ص٨٣.

(٢) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، ص١٢٨.

قدماً دون تراجع أو تخلف أو تكرار، ومهمة علم التاريخ أو التأريخ أن يقوم بوظيفة مضادة لفعل التاريخ إلا وهي أن يحاول أن يسترد ما كان في الزمان، لا ليتحقق فعلياً في مجري الأحداث فهذا ما لا ليس في وسع أي كائن من كان أن يقوم به وحتى شيئاً كان ألا يكون قد كان.

أما مهمة التأريخ فهي أن يحاول أن يستعيد في الذهن وبطريقة عقلية صرفة ما جرت عليه أحداث التاريخ في مجري الزمان، محاولا أن يتصور مجري هذه الأحداث وكأنه في اطراد موجه.

ومن حيث أن هذا لا يمكن أن يتم إلا بنوع من التجربة الحية التي يحاول المرء فيها أن يعاني في نفسه ما قد كان حسبما كان، فإن التأريخ الحق هو ذلك الذي يستطيع أن يحيا تجارب الماضي كما حدثت في نوع من التخيل. ولكن هذا التخيل ليس تخيلا مبتدعا، إنما يجب أن يقوم على أساس ما خلفته الأحداث الماضية من آثار، ذلك أن ما كان لا يمكن أن يستعاد بحال. إنما يمكن أن يستعاد نظرياً بنوع من التركيب ابتداء مما خلفه من وقائع يعمل الذهن فيها أحياناً والخيال المبتدع أحياناً أخري، على أساس نوع من الوجدان هو ما يسميه التوسم physiognomique ،وقيمة هذا التوسم تتعلق من ناحية بقدرة المؤرخ المتوسم ومقدرته على النفوذ وراء الآثار المتباعدة، وهذه مسألة لا تتعلق بالعلم في شيء إنما هي نوع من الهبة الطبيعية التي لا تتوافر إلا للممتازين، فليس لنا إذن أن نبحث فيها، ولكن هذه الهبة لا تستطيع أن تأتي بنتائج صحيحة إلا بالاعتماد على الآثار المتخلفة من الأحداث التاريخية ومن هنا كان لهذا الآثار أو الوثائق أكبر قيمة في الدراسات التاريخية، فلا تاريخ بغير وثائق.

"هذه الوثائق التي يعتمد عليها المؤرخ يجب أن تكون نقطة البداية لكي يصل في النهاية إلى الواقعة التاريخية التي تُعدُّ الغاية الأخيرة. ولكن بين الوثيقة وبين الواقعة التاريخية المُستردَّة طريقًا شاقًا طويلًا يقوم كله على أساس أنواع من الاستدلال: فمنها ما هو استدلال خالص، ومنها ما هو بُرهان بواسطة المُماثلة أو التمثيل أو قياس النظير، ومنها ما يقوم على

الاستقراء. وهذه الخُطوات المُتوسطة بين نقطة البدء ونقطة الانتهاء هي الوصف الحقيقي للمنهج التاريخي"[١].

وقد عرف الدكتور حسن عثمان منهج البحث التاريخي هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية قدر المستطاع ويقدمها إلي المختصين بخاصة والقراء بعامة. أن قيمة التاريخ المكتوب تتحدد بناء على بعض الأسس الجوهرية[٢].

أولاً: ينبغي أن يُفحص نوع المادة التي استقي منها الباحث معلوماته، أهي نقوش أو آثار قديمة معاصرة ثبتت صحتها وصحة معلوماتها، أهي أصول ووثائق ومراسلات مستخرجة من دور الأرشيف التاريخية وثبت أنها غير مزيفة، وأن معلوماتها صحيحة، وأنه لم يسبق نشرها، أو على الأقل لم يسبق استخدامها بدرجة كافية؟ أم أن المادة التي اعتمد عليها الباحث هي مجرد مراجع ثانوية ليست ذات قيمة علمية؟.

ثانيا: تتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على قدرة الباحث على الدرس والبحث، وقدرته على نقد ما تحت يده من الأصول والمصادر والمراجع، وطريقته في استخلاص الحقائق وتنظيمها وتفسيرها وعرضها. ويختلف الباحثون في النقد وفي استخلاص الحقائق بحسب اختلافهم في الفهم والتفسير والاستنباط. وأحيانا يضطر الباحثون في التاريخ إلي وضع افتراضات مختلفة لمحاولة فهم مسألة تاريخية، تواجههم فيها غوامض وفجوات. وأحيانا يختلف الباحثون في تقدير معني الحوادث من ناحية الخلق أو السياسة أو الاقتصاد، وبذلك تأتي كتاباتهم متفاوتة أو مختلفة. على أن ذلك كله يقدم للمؤرخ آراء ووجهات نظر مختلفة متفاوتة عن عصر أو ناحية معينة، ولا يمكن أن يحتكر أحدها صفة الحقيقة، وهي كلها تعطي للتاريخ الحركة والحياة. وتجعل البحث التاريخي مستمراً على الدوام، باحتمال ظهور أدلة جديدة تلقي ضوءاً جديداً على ما قد يكون غامضاً أو مبهماً من أحداث التاريخ. وبالعكس عدم الاختلاف وعدم التفاوت يسببان الجمود والركود في دراسة التاريخ، وفي سائر ألوان العلوم والمعارف، وفي شتي مظاهر الحياة على وجه العموم.

---

(١) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م، ص١٨٦.

(٢) منهج البحث التاريخي، ص ٢١-٢٣.

ثالثاً: تتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناءً على بُعد الباحث عن التحيز والأهواء، ومطابقته للواقع بقدر المستطاع. وأحياناً يتأثر الباحث بروح عصر معين، ثل عصر الحروب الصليبية أو عصر الانقلاب الصناعي أو نمو الديمقراطية أو ظهور الاشتراكية ... فيكتب وهو يحاول إخضاع الموضوع المعين لرأيه وفكره. والكتابة التي يطعن فيها كاتب مسيحي على المسلمين في زمن الحروب الصليبية أو العكس، ولا تُعد في إطلاقها صحيحة. فالكتابة التي يتعمد فيها الكاتب أن يتخذ اتجاهاً معيناً، قد تُعد تاريخياً لنوع من التفكير أو النزعات الإنسانية الجديرة بالدراسة، ولكن لا يمكن أن يُعد ما جاء بها معبراً عن الحقيقة التاريخية، بالنسبة لما تناولته من الموضوعات.

وبمعني آخر يمكننا أن نقول إن قيمة التاريخ المكتوب تتحدد بناءً على ثقافة الباحث، وإلمامه بطريقة البحث التاريخي، وبناءً على استعداده الشخصي وملكاته. وأن كثير من كتب التاريخ تُعد من أمتع ثمرات العقول لنضج عقلية المؤرخ، وثقافته الواسعة وخبراته الوطيدة وتبصره ونجاحه في إعطاء وحدة واضحة جامعة، كما أن كثير من الكتب التي تُنسب للتاريخ ظلماً وافتئاتاً، والتي يكتبها من لا يفهم التاريخ، ومن لا يملك النقد، ومن لا يتصف بالصبر والجلد والصدق، ومن لا يطلب سوي المنفعة. ولن تزيد مثل هذه الكتابة عن مجرد معلومات موضوعة بين دفتي كتاب. وتصبح مثل هذه الكتب غير جديرة بأسمائها، وقد لا تساوي الورق الذي طُبعت عليه[1].

(1) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٢٣.

الفصل السادس

مراحل كتابة البحث التاريخي

١- اختيار موضوع البحث
٢- وضع خطة البحث
٣- جمع المادة العلمية
- طريقة البطاقات
- طريقة الدوسيه المقسم

٤- ترتيب المادة العلمية:
٥- نقد المادة العلمية:
- النقد الظاهري أو النقد الخارجي
- النقد الباطني أو النقد الداخلي

٦- كتابة البحث
مسودات البحث

الفصل السادس

مراحل كتابة البحث التاريخي

فبعد أن يتم إعداد المؤرخ نفسه بالعلوم المساعدة التي ينبغي أن يتزود بها قبل أن يشرع في إعداد بحثه،فإنه يمر بالخطوات أو المراحل التالية:

١- اختيار موضوع البحث:

أول خطوات البحث التاريخي هي مسألة اختيار موضوع البحث الذي يكتب فيه، وهي مسألة متصلة بميول الباحث ومدي إلمامه بأدوات البحث التاريخي والعلوم التي تساعد على السير في طريق البحث التاريخي، وهو نصف المعركة، والمقصود بالمعركة هنا معركة البحث العلمي.

وعند اختيار الموضوع علي الباحث أن يتوخي عدة أشياء منها:

أولا: التأكد من وجود المصادر الكافية لجمع المادة العلمية اللازمة للبحث، وأن هذه المصادر في متناول يد الباحث فلا فائدة من بحث طريف لا يستطيع الباحث الحصول على مصادره، لأن النتيجة الطبيعية وأن يتوقف الباحث عن عمله، ولا يستطيع مواصلة البحث فعن طريق المصادر المختلفة يقوم الباحث بجمع مادته العلمية التي تشكل موضوع بحثه وبدونها لا يستطيع الباحث العمل.

كما على الباحث أن يتأكد من تنوع مصادر بحثه حتى يحصل على مادة علمية غزيرة ومتنوعة، وأن تجمع لديه وجهات نظر مختلفة يستطيع أن يتوصل عن طريق نقدها ومفارقتها إلي الحقيقة التي هي هدفها النهائي.

ثانيا: أن يكون موضوع البحث ولغة مصادره في مقدرة الباحث وملائم لطاقته ومقدرته اللغوية. وهناك موضوعات تاريخية تستلزم الاطلاع على مؤلفات ووثائق بلغات مختلفة. مثال ذلك دارس المشرق الإسلامي عليه الاطلاع على كل ما كتب باللغة الفارسية. وعلى هذا النحو يجب على الباحث عند اختيار موضوع بحثه أن يلاءم بين مقدرته اللغوية، وبين ما يتطلبه البحث من قراءة نصوص ووثائق بلغات مختلفة وذلك حتى يمكنه الاستفادة من المصادرة الأساسية التي يتكون منها موضوع بحثه.

ثالثا: على الباحث أن يتوخى عدم التكرار بحيث يكون موضوع البحث موضوعا جديدا لم تسبق دراسته أو الكتابة فيه بطريقة تؤدي إلي عدم تقديمه شيء جديد. فالمقصود من البحث هو أن يقدم الباحث جديدا فإن كان الموضوع الذي وقع علي الاختيار قتل بحثا، فإنه لن يقدم في هذه الحالة أي جديد. لذلك على الباحث في هذه الحالة أن يقوم بحصر شامل لما تم تسجيله من موضوعات في مختلف الجامعات ومعاهد العلم واستبعاد الموضوعات التي تم بحثها ودراستها، وذلك حتى يكون أمام الباحث فرصة طيبة لأن يقدم جديد[١].

لذا يوصي كثيرون ممن تعرضوا للكتابة في مجال البحث التاريخي بالتريث كثيرا في هذه الخطوة فقد يغري أحد الموضوعات لأول وهلة بإمكان الباحث السير فيه إلا بعد برهة من السير فيه بندرة المادة العلمية فيضطر لتركه والبحث عن غيره من الموضوعات مضيعا الوقت والجهد.

ويختلف اختيار موضوع البحث من باحث لآخر تبعا لاختلاف المستوي العلمي وحصيلة الثقافة، فالطالب المبتدئ في المرحلة الجامعية الأولي يكون أقل وعيا عند اختياره لموضوع بحثه عن طالب الماجستير أو الدكتوراه. وهذا الأخير يختلف عن الباحث المحترف الذي أصبحت كتابة التاريخ صناعته ومهنته بعد مجهود شاق من البحث والدراسة والتدقيق.

اختيار موضوع البحث للطالب الجامعي:

فالطالب المبتدئ في التعليم الجامعي لا ينتظر منه في الغالب أن يقوم ببحث علمي مبتكر أصيل بالمعني الاصطلاحي بحيث يستخلص فيه حقائق تاريخية مجهولة،أو يكشف عن مجموعة من الوثائق لم تكن معروفة من قبل.أو يستخدم نظرية من نظريات تفسير وقائع التاريخ ، ولكن يكفيه أن يتوفر على تحصيل وسائل الإعداد والتدريب التي تؤهله للعمل العلمي في المستقبل[٢].

فبالنسبة لطالب الجامعة يمكن بمشورة أستاذه في اختيار احدي الموضوعات المدروسة، لا لكي يأتي فيها بجديد، بل للتمرين والتدريب والاقتباس وهو يشبه دارس الكيمياء أو الطبيعة أو التشريح، الذي يقوم بأداء التجارب المعروفة والتي ثبتت صحتها نهائيا لكي يتدرب ويعرف

---

(١) حامد زيان: منهج البحث التاريخي، ص٨١-٨٢.

(٢) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٥٣.

ما عرفه غيره. وغالبا ما يكون الموضوع الذي يختاره الطالب في هذه المرحلة من كتابة البحوث موضوعاً عاماً شاملاً، ثم يتدرج بعد ذلك تحت إشراف أستاذه إلي اختيار الموضوعات العامة مثل كتابة ملخص عن تاريخ مصر في عصر محمد علي معتد على القليل من المراجع الأساسية عن الموضوع، ثم يكتب عن الحياة الاقتصادية في مصر في عصر محمد علي، يختار موضوع أكثر تحديدا " الزراعة في مصر عصر محمد علي"

كما يبدأ الطالب الجامعي بالتدريب علي التلخيص، وفيه يختار الطالب بمشورة أستاذه كتابا في موضوع معين يقوم بتلخيصه إلي الثلث أولا، ثم يلخص الثلث إلي النصف، ثم يلخص النصف إلي النصف. وهذا الأسلوب يعلم الطالب القدرة على الاستيعاب والتركيز فضلا عن المعلومات والحصيلة اللغوية والفكرية. ثم يقوم الطالب بنفس مراحل التلخيص لكتاب آخر في نفس موضوع الكتاب الأول لمؤلف آخر وبعد ذلك يقوم بمزج التلخيصين معا في ورقة واحدة[١].

وفي هذه المرحلة يختار الطالب بإرشاد أستاذه بعض الموضوعات المدروسة وذلك للتمرين على الاقتباس وكتابة ملخص عام عن تاريخ شخصية من شخصيات التاريخ في أي فترة من الفترات، مثل صلاح الدين الأيوبي، أو نابليون بونابرت، أو الإسكندر الأكبر، أو محمد على أو موضوع عام في فترة معينة.

ويعتمد الطالب في إعداد هذا الملخص على بعض لمراجع الأساسية التي يشير عليه بها أستاذه أو التي يستخرجها بنفسه من قوائم المراجع. ويدون الطالب اقتباساته في وريقات على شكل بطاقات مثبتا أرقام صفحات الكتاب الذي اخذ ينقل عنه.

وفي أثناء الاقتباس يراعي توزيع المعلومات على نقاط جزئية محددة بمراحل الشخصية التي يكتب عنها أو الموضوع العام والتي يقسم إليها "بحث التلخيص" وعند الكتابة عليه أن يقارن وأن يمزج بين المعلومات المتعلقة بكل جزئية من جزئيات الموضوع، ثم يعرض تاريخ الشخصية أو الموضوع الذي اختاره.

وبعد ذلك يتدرج الطالب المبتدئ بعد ذلك في الاختيار، فيختار جزء محددا من الموضوع العام السابق. ففي هذه المرحلة يجب أن يكون اختيار للموضوعات يختلف عما سبق حيث

(١) عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ، ص٧٤.

يكون الباحث قد قوي عوده وأصبح قادراً في الاعتماد على نفسه بشكل كبير لأمر الذي يتيح له الفرصة كي يختار بنفسه موضوع البحث الذي يروق له ، وعلى الأستاذ أن يتحقق من أنه يفعل ذلك

وسيجد الطالب أنه قد أفاد فائدة طيبة، وتعلم القدرة على الاستيعاب والتركيز، فضلاً عما يكسبه من المعلومات التاريخية والحصيلة اللغوية والفكرية، والتدريب على الإيجاز.

اختيار موضوع البحث لطالب الدراسات العليا:

وبعد أن يحصل الطالب على درجة جامعية وينوي مواصلة دراسته للتاريخ وهي التي تبدأ بما يسمي السنة التمهيدية للماجستير يبدأ الطالب التخصص في فترة زمنية محددة مثل: تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، أو التاريخ اليوناني والروماني، أو العصور الوسطي الأوروبية، أو التاريخ الإسلامي، أو التاريخ الحديث والمعاصر.

إن اختيار التخصص يرجع إلي ميول الطالب ومدي إعداده العلمي وإلمامه بالعلوم المساعدة الخاصة بفترة الدراسة، وعليه قبل الإقدام على تحديد الموضوع المراد دراسته أن يتبع الخطوات التالية. القراءة المسح الشامل للعصر أو المكان الذي يريد التخصص فيه، لأنه أمر ضروري وأساسي للباحث، فتغطية الحقل العام واستطلاعه شرط أساسي قبل أن يقدم الباحث على السير في ممر ضيق، ويري بعض الأساتذة أن على الطالب قضاء عام دراسي على الأقل يغطي فيه معالم العصر أو المكان تغطية شاملة، حيث تبرز قضايا غامضة خلال القراءة عليه أن يسجلها فلعلها احداها تكون موضوع بحثه[1].

كما يجب على الطالب الرجوع الانسيكولوبيديات (الموسوعات)، وكتب البيلوجرافيا، والمجلات العلمية المتخصصة من خلال قراءاته الاستكشافية، والمراجع الأساسية التي يتردد ذكرها خلال قراءاته. وتسجيل أسماءها على كارتات، مسجلا اسم المجلة أو الدورية، ومكان صدورها والعدد واسم المقال أو البحث الذي أشير إليه، ويمكن له الرجوع إلي أعداد هذه الدوريات عددا عددا، والبحث عن أهم المقالات التي تخص موضوعه، فلعل احدي هذه المقالات يساعد الطالب على تحديد نقاط وجوانب البحث.

(1) سيد الناصري: فن كتابة التاريخ، ص١٨١.

وبعد هذه المرحلة يكون الطالب قد وصل إلي الموضوع الذي ينوي بحثه، ويستحسن أن يختار أكثر من موضوع، على احتمال أن يكون أحداها قد درس أو أن المادة العلمية لا تكفي لتغطية ذلك الموضوع، ويراعي أن يكون الموضوع جديد ومبتكر، ولم يسبق دراسته أو على الأقل سبق دراسته دراسة غير كاملة، أو ظهرت وثائق جديدة تغير من مفهوم الدراسات السابقة.

ويتواصل الطالب بالأستاذ المشرف على بحثه لمساعدته عما إذا كان إحدى الموضوعات التي اختارها قد درس، أو هل المادة المتاحة تكفي لدراسة ذلك الموضوع. كما أن بعض الدوريات العلمية، تنشر من حين لآخر بيانا بالموضوعات المسجلة في الجامعات الأخرى، أو التي نوقشت وبذلك يتفادى الطالب اختيار موضوع لبحثه سبقت دراسته، ويفضل ألا نختار موضوعا طويلا زمنيا حتى يتناسب مع الوقت، وأن يكون الموضوع جزءا من موضوع عام، مترابط البناء لكي يتسع البحث لمواصلة دراسته في المستقبل.

وليس من المستحب أن يطلب الطالب من أستاذه اختيار موضوع لبحثه، كذلك يجب علي الأستاذ إلا يفرض على الباحث موضوع من الموضوعات، لأن خطورة هذا التدخل قد يكون مقبولا وسهلا من لديه ميلا تجاهه. ولا يكون مقبولا في نفس الباحث مما يجعله يتعثر في المضي قدما في الموضوع فيضطر إلي تغييره، لذا فمن المفيد أن تكون هناك علاقة حب وقناعة بالموضوع الذي يختاره الباحث حتى يمضي فيه بروح عالية.

كذلك على الباحث أن يسأل نفسه عما إذا كان هذا الموضوع الذي اختاره يستحق أن يمضي فيه سنوات طوال، وهل يستطيع أن يأتي فيه بجديد؟ وهل سبقه أحد إلي دراسته؟.

ومن المسائل التي يجب مراعاتها عند اختيار موضوع البحث اختيار نقطة صغيرة ليدرسها بعمق، وبالتالي يمكنه أن يأتي بجديد، ولا ينسي أن يحدد هذه الفترة زمنياً من حيث نقطة البداية ونقطة النهاية، بحيث لا تكون هذه السنوات عشوائية، بل ينبغي أن تكون لها دلالات معينة بالنسبة للموضوع كأن تكون مثلا تاريخ الميلاد والوفاة، أو تاريخ تولي الحكم وذلك بالنسبة للشخصيات الحاكمة أو غيرها من التراجم، أو تكون تواريخ ذات دلالات اقتصادية أو

اجتماعية أو سياسية حدثت فيها تحولات عظيمة بحيث يمكن أن نؤرخ ببداية هذه التحولات وتقف عند انتهائها أو عند بداية مرحلة جديدة وهكذا.

ويجب على الباحث أن يتجنب اختيار الموضوعات ذات العناوين العامة كأن يختار موضوعا تحت عنوان نظرات في التاريخ العثماني أو ملامح من التاريخ الانجليزي فهذه العناوين لا تصلح لأبحاث علمية أكاديمية نظرا لما تتسم به من العمومية والسطحية بحيث لا تدع للباحث أن يأتي فيها بجديد، ولكن ينبغي أن يكون الموضوع مبتكرا وأصيلا Original وهذا الموضوع الأصيل المبتكر يكون حين يختار الباحث نقطة صغيرة ويتعمق فيها.

ومن الأفضل عند اختيار الموضوع أن يكون هناك فاصل زمني بين الزمن الذي يكتب خلاله البحث وبين الزمن الذي وقعت فيه أحداث الموضوع الذي يعرض به، وقد حددها البعض بثلاثين عاما حتى يمكن الباحث أن يدلي بآرائه في كافة جوانبه بحرية مطلقة دونما أي تأثير من عوامل خارجية، وحتى تكون الحوادث قد هدأت، الأمر الذي يتيح له الاطلاع على كافة الوثائق المتعلقة بموضوع بحثه، لأن بعض الدول تضع حظرا في الاطلاع على وثائقها تصل إلي خمسين عاما.

وإذ تبين لطالب البحث خلال إعداده لبحثه أن المرحلة التاريخية التي يتناولها طويلة، أو أن المادة التي جمعها مركزة في أحد جوانب الموضوع السياسية أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، فمن الضروري للطالب أن يعدل موضوع بحثه أو يحدد بشكل أدق المرحلة التاريخية التي يود معالجتها.

٢- وضع خطة البحث:

بعد أن يختار الباحث موضوعه والتأكد من جديته والجديد الذي سوف يعالجه الباحث، وعلى ضوء الفكرة التي اقتنع بها، واستنار بآراء أساتذته بشأنها، وبعد اطلاعه على الكتابات التي عالجت موضوعات مشابهة أو مست موضوعه مسا بسيطا، تأتي الخطوة التالية وهي إعداد خطة أولية لبحثه يتناول فيها المشكلات أو القضايا التي سيتناولها خلاله، الرئيسية ثم الجزئية، فيضع أبواب وفصول بحثه، ويرتبها زمنيا أو موضوعيا، أو يجمع بين الترتيب الزمني والموضوعي معا.

ويلاحظ أن هذه الخطة ليست نهائية فهي قابلة للتغيير والتعديل والتصويب والحذف والإضافة وفقا للمادة التاريخية التي أتيحت له، أو لآراء جديدة ناقشها مع أساتذته أو قناعات توصل إليها ودرسها دراسة علمية. مع ملاحظة أن هذا التغيير في الخطة لا يمس عنوان البحث بشكل رئيسي.

كما تشمل الخطة الأولية عدة جوانب ينبغي أن يوضحها مثل نوع الموضوع، والأسباب التي دعته لأن يختار هذا الموضوع كأن يكون مثلا موضوعا بكرا لم يتطرق إليه أحد إلي دراسته، أو ندرة الكتابة حوله، أو أن الكتابات التي تناولته لم تكن قد تحرت الدقة جاءت مبتورة غير مكتملة الدراسة وهكذا.... ثم يبدأ الباحث في عمل فصول لبحثها أو عمل أبواب تنقسم إلي عدة فصول.

٣- جمع المادة من مصادرها:

ثم تأتي المرحلة التالية والتي تتمثل في جمع المادة العلمية من خلال الوثائق والمصادر والمراجع. وينصح البعض بضرورة الاطلاع على كتب المراجع الببلوجرافيات Bibliographies فهذه الكتب تحتوي على قوائم عديدة للكتب في كل فرع من الفروع، وتتمثل قيمتها في أنها تطلع الباحث على آخر ما كتبه السابقون حول موضوع الدراسة بحيث تجعله يبدأ من حيث انتهوا حتى يضفي على بحثه نوعا من الجديد وينأي عن التكرار وإلا فما قيمته هذا البحث إذا حاول تكرار ما كتبه السابقون[١].

وتتنوع المادة التاريخية التي يقوم الباحث بجمعها تتنوع إلي المصادر الأصلية Sources والتي تضم الوثائق Documents سواء ما نشر منها ما لم ينشر، والأصول المخطوطة والمطبوعة، والمذكرات الشخصية والذكريات واليوميات والأوراق الخاصة، وحصر المخلفات والآثار التي تتعلق بالموضوع، والمراجع العامة References ودوائر المعارف العامة المتعلقة بموضوع البحث[٢].

الفرق بين المصادر والمراجع

ممكن لنا أن نفرق بين مصطلحين في التاريخ هما المصدر والمرجع

المصدر Soirce:

يعد المرجع الأصلي الأولي، وتعني كلمة أصلي Original أقدم مرجع حصل عليه الباحث واعتمد عليه في كتاباته التاريخية. ويقصد بكلمة أقدم مرجع هي الكتابات التي سطرها المعاصرون للأحداث أو كتبها مؤلفون عاشا قريبا من العصر الذي يؤرخون له، أو تكون كتاباتهم هي أقدم ما كتب من العصر موضوع الدراسة بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى.

---

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٦٧.

(٢) أسد رستم: مصطلح التاريخ، ص١٤.

أما المرجع Reference:

فيعتبر المرجع الثانوي الفرعي الحديث الذي كتبه مؤرخون جاءوا بعد العصر الذي تصدوا للكتابة عنه بزمن طويل، ومن هذا النوع الكتابات التاريخية الحديثة عن التاريخ الإسلامي أو الدولة الفاطمية أو دولة المماليك... الخ.

ويعد كل مصدر مرجعاً، وليس كل مرجع مصدراً، وهناك تداخل أحيانا اعتباراً في المرجع الواحد الذي يعد مصدراً ومرجعاً في آن واحد، فالمؤرخ أحمد بن علي المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م مثلاً وهو يتحدث ويؤرخ عن الفتح الإسلامي لمصر ودخول القبائل العربية إلي مصر فهو يعد مرجعا نقل مادته العلمية عن مؤرخين سابقين له ومعاصرين لتلك الأحداث من أمثال المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الحكم، وأبو عمر الكندي وابن زولاق وغيرهم. أما عندما يتحدث عن الوقائع أو الأحداث التي وقعت في عصره والعصر القريب عن عصره فإنه يعد مصدراً لا جدال في ذلك[١].

بالإضافة إلي الدوريات العلمية التي تصدرها الهيئات والمؤسسات العلمية والبحثية بما تحمله من دراسات ونتائج علمية جيدة مثل:

- **المجلة التاريخية المصرية:** التي تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وهي تصدر سنويا.
- **مجلة المؤرخ العربي:** التي يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة وهي تصدر سنويا.
- **مجلة المؤرخ المصري:** التي يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة وهي تصدر نصف سنوية في شهر يناير وشهر يوليو.
- **مجلة التاريخ والمستقبل:** التي يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة المنيا وهي تصدر نصف سنوية في شهر يناير وشهر يوليو..

(١) سعد بدير الحلواني: تأريخ التاريخ مدخل إلي علم التاريخ ومناهج البحث فيه، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤١-١٤٢.

- **مجلــة وقــائع تاريخيــة:** التــي يصــدرها مركــز الدراســات والبحــوث التاريخية بكلية الآداب جامعة القاهرة. وهي تصدر نصف سنوية في شهر يناير وشهر يوليو....الخ.

ومن الأفضل أن تكون لدي الباحث قائمة مصادر يكتب فيها اسم المؤلف واسم الكتاب أو المجموعة الوثائقية أو المخطوط، ومكان وتاريخ حفظها ورقمها حتى يمكن الرجوع إليها وقتما يشاء بسهولة ويسر، وأن تكون القائمة مرتبة أبجديا بحيث يسهل عليه الوصول إلي ما يريد بسرعة.

وينبغي أن يفهم الباحث أن البحث عن مصادر مادته هو نوع من المغامرة لمحاولة الكشف عن المجهول بما تحتاجه من جهد وجلد.

ومن الضروري أن يفهم الباحث محتويات ما ينقله من الوثائق والأصول والمراجع ويستوعبها ويفهمها أولاً بأول حتى لا تتراكم الأوراق أمامه.

كما على الباحث أن يلخص مضمونها في هوامش الصفحات حتى يسهل عليه تناولها ومراجعتها[1].

أما فيما يتعلق بالمادة العلمية التي يجمعها الباحث في التاريخ، فهناك طريقتين لجمعها:

الأولي: طريقة البطاقات:

وتصنع البطاقات أو الجذاذات أو الفيش Fiches من الورق المقوي، وليس هناك حجم ثابت لهذه البطاقات. ولكن المتفق علية أن تكون أحجام البطاقات التي يستخدمها الباحث ذات حجم واحد، والشائع أن حجم البطاقة هو ١٠ × ١٤سم تقريبا، ويمكن للباحث أن يصنعها بنفسه من الورق. ويراعي أن تدون المادة التاريخية على وجه واحد فقط، وأن يكتب في أعلاها اسم المؤلف واسم لكتاب ورقم الجزء والطبعة ومكان وتاريخ النشر، ويوضع عنوان لكل اقتباس، ليدل على ما ورد في البطاقة من مادة علمية. وتكون الكتابة بالحبر وبخط واضح يمكن قراءته، ويمكن أن تكتب بيانات المصدر أو المرجع وعنوان الاقتباس بحبر يختلف لونه

(1) أحمد زكريا الشلق: منهج البحث التاريخي (الحديث والمعاصر)، ص٢٥.

عن الحبر الذي تكتب به المادة التاريخية. ولا يكتب في كل بطاقة إلا اقتباس واحد أي نقطة واحدة أو فكرة واحدة، وقد تأخذ الفكرة الواحدة عدة بطاقات.

ويمكن للباحث أن يكتب تعليقا في أسفل البطاقة ويكون أيضا بلون حبر مختلف ليسهل التفريق بين المادة العلمية التي اقتبسها على أن يسبق ذلك بكلمه تعليق. وينبغي على الباحث أن يقوم بجمع كل ما يتصل موضوعه فربما يحتاج إليها في وقت لا يسهل الرجوع إليها[١].

ويضع الباحث البطاقات المتماثلة التي تتناول موضوعا واحداً أو متشابها في مكان خاص(مظروف أو حافظة) يكتب عليه عنوان الفصل وفقا لتقسيم وخطة بحثه بحيث يسهل الإفادة منها[٢].

الثانية: طريقة الدوسية المقسم Loose leaf book :

هو عبارة عن غلاف من الكرتون المقوي مع كعب يتفاوت عرضه بتفاوت حجم الدوسيه،وبهذا الكعب حلقتان يمكن فتحها وإقفالها. ومن الممكن أن يضاف ما قد يلزم من أوراق في أي وقت وفي أي مكان من الدوسيه. ويقسم الباحث الدوسيه أقساما، ويكون القسم الأول منها للمقدمة ثم فصول الدراسة والقسم الأخير لقائمة المصادر والمراجع[٣].

غير أن طريقة البطاقات فهي أفضل الأساليب لجمع المادة التاريخية، لأنها أسهل بكثير في الاستخدام من طريقة الدوسيه المقسم، وذلك لسهولة نقل البطاقة من مكان إلي آخر أي من فصل إلي فصل، حيث إن بعض البطاقات تخدم أكثر من نقطة داخل البحث الواحد. وهذه الطريقة هي الأكثر شيوعاً بين الباحثين[٤].

وينبغي الإشارة إلي عدم اللجوء مطلقا إلي الاقتباس في كراسات وكشاكيل أو غيرها لاستحالة استخدامها بسهولة وخاصة في رسائل الماجستير والدكتوراه [٥].

---

(١) حمدنا الله مصطفي: منهج البحث التاريخي، ص٣٠-٣١.

(٢) عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ، ص٨٥.

(٣) أحمد شلبي: كيف تكتب بحثا أو رسالة، ص٦٤-٦٦.

(٤) الحويري: منهج البحث، ص٢٥٦.

(٥) عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ، ص٦٥-٦٦.

٤- ترتيب المادة العلمية:

بعد إتقان عملية جمع المادة العلمية على ورق متساو وبخط واضح بالحبر مع وضع كل عنوان جديد في صفحة مستقلة يدون عليها اسم المصدر، وبعد استيعاب كل المصادر المطلوب استيعابها سواء كانت مصادر ثانوية أو مطبوعة قديمة أو حديثة أو مخطوطة نبدأ في ترتيب هذه المادة بالاستعانة بمشروع البحث أو التبويب أو الخطة.

ويراعي في ترتيب المادة العلمية:

أن يبدأ الباحث بوضع المادة التي جمعت عن موضوع معين مع بعضها لكي يمكن بسهولة مقارنة ما كتبة أحد المؤرخين بما كتبه الآخرون ولا تتكرر حقيقة في أمر واحد من موضوع البحث وهنا تظهر فائدة تدوين اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة على كل ورقة وتظهر أيضا فائدة تساوي حجم الورق وعدم الكتابة في كراسات.

كما على الباحث أن يقوم بوضع مادة كل موضوع مع بعضها بمنتهي الحذر والدقة ونضع الورق الذي جمع من مصادر أكثر أهمية وأكثر وفاء للمادة من أعلا وتليها الأقل أهمية وهكذا.

يأتي الباحث بعدد من أفراخ الورق ويكتب على كل منها عنوان جزء من البحث ونضع داخله الأوراق الخاصة بهذا الجزء، ثم يجهز عدد من المظاريف تضع داخلها هذه الأفراخ التي تحتوي على جزئيات موضوع من موضوعات البحث أو عنصر من عناصره ليكون لكل باب أو فصل جزء مستقل مع بعضها.

٥- نقد المادة التاريخية:

عندما ينتهي الباحث من جمع المعلومات المتعلقة بموضوع بحثه، يدخل في عملية رئيسية وأساسية قبل الشروع في كتابة البحث في شكله النهائي، وهي عملية تحليل هذه المعلومات وفرزها والتثبت من صحتها، وتوزيعها على فصل الخطة. وهذه العملية احدي عمليات المنهج الأساسية، وتعرف بنقد الأصول. وممارسة النقد تعني في أبسط الأمور عدم التقديس الأعمى للمعلومات المستمدة من النصوص، وخاصة من الوثيقة الرسمية، إلا بعد إخضاعها لعملية النقد المنهجي، فلا يصح للباحث أن يقترب من الوثيقة وهو منخفض الرأس،

ويتحدث عنها بإجلال واحترام، فالوثائق أساسية بالنسبة للباحث، ولكن على الباحث أن لا يجعلها معبوداً، فهي لا تشكل التاريخ بحد ذاتها[1]

إن المادة التاريخية واحدة، ولكن طريقة معالجتها هي التي تتفاوت حسب جودة المؤرخ، ومن ثم فقبل الشروع في الأبحار إلي مجاهل البحث التاريخي لابد من التجهيز والأعداد الأكاديمي، فضلا عن توفر الموهبة والاستعداد الطبيعي لدي الباحث، ثم اتباع المنهج العلمي السليم. ان المعرفة الواعية بمناهج البحث،، ومدارس الفكر التاريخي في العصر الحديث، سوف تمكن الباحث من تخطي عقبات كثيرة، وتلافي السقوط في أخطاء كبيرة، وتجنب الضياع في متاهات البحث المتشعبة، حتى يصل كالربان الذكي، المسلح بالشجاعة والمعرفة والعلم إلي بر الأمان.

وينقسم النقد إلي مرحلتين:

١-النقد الخارجي أو الظاهري:External Criticism

وفيه نتساءل هل الوثيقة صحيحة أي إثبات صحة الأصل التاريخي، ونوع الخط ونوع الورق، وتعيين شخصية المؤلف وزمان التدوين ومكانه

وينقسم إلي قسمين:

القسم الأول: نقد الاستعادة أو التصحيح:

وفيه يتم التحقق من صحة الوثيقة أو الوثائق التي في حوزتنا عن الواقعة أو الوقائع التاريخية، فعلينا أن نعرف هل الوثيقة صحيحة؟ أي أنها هي الوثيقة الحقيقية التي كتبها صاحبها وليس بها حشو أو إضافة.

وغالبا ما تكون لدينا أحوال ثلاث للوثيقة:-

الأولي: وثيقة بخط المؤلف:

وهنا نقوم فقط بنسخ الوثيقة كما هي دون زيادة حرف أو نقصان، فمهمتنا هنا مهمة فوتوغرافية أن جاز التعبير لأن هدفنا هو تقديم وثيقة المؤلف الأصلية بالضبط.

---

(١) كولنجوود: فكرة التاريخ، ص٨٧.

الثانية: وثيقة ليست بخط المؤلف بل نسخة وحيدة مليئة بالأخطاء

ولكي نقوم بإصلاح النص يجب أن تتوفر شروط في الشخص الذي يقوم بذلك من حيث إحاطته باللغة التي كتب بها النص، وأن يكون عالما بالخطوط التي كتبت بها النصوص التي يشتغل فيها وبكل الخطوط التي مرت بلغة من اللغات إذا كان يتناول عصورا متطاولة، كما يجب عليه أن يكون عالما بالأخطاء الشائعة.

الثالثة: أكثر من وثيقة:

وهنا يكون عملنا ميسرا، ولكنه في ذات الوقت طويلا حيث ينبغي علينا أن ننظر في كل هذه الوثائق أو المخطوطات كي تتبين ما ينتسب منها إلي أصل واحد، ومن ذلك كله نهدف إلي الوصول إلي صورة أقرب ما تكون إلي النص الأصلي للوثيقة.

وأول مرحلة من مراحل نقد الأصول التاريخية هي إثبات صحة أو بطلان تلك الأصول. فإذا كان المصدر أو الأصل كله أو جزء منه مزيفاً أو منتحلاً فإنه لا يمكن الاعتماد عليه. وصحيح أن تزييف الأصول والوثائق اليوم أصعب منه في الزمن الماضي، ولكن دوافع التزييف والدس لا تزال قائمة كالمطامع والأهواء والكسب وحب الشهرة. والانتحال والتزييف يوجدان في كل أنواع الأصول والمصادر.

الصحة الدبلوماتية والصحة التاريخية للوثيقة

أولًا: الصحة الدبلوماتية

يُقصد بها الصحة الشكلية للوثيقة والتي تتناول الخصائص الخارجية وتعيين التاريخ الزماني والمكاني ومُنشئ الوثيقة. وتتحقق هذه الصحة عندما تصدر الوثيقة فعلًا عن الجهة التي تقول إنها صادرة عنها طبقًا لقواعد الإنشاء المرعية هناك بما يضمن لها قيمتها الشرعية.

ثانيًا: الصحة التاريخية

يُقصد بها الصحة الموضوعية للوثيقة أو صحة المعلومات الواردة بها. وتتحقق هذه الصحة عندما تكون المعلومات الواردة في الوثيقة مطابقة للواقع. ويُستفاد من الصحة التاريخية في الحكم على الصحة الدبلوماتية وكذلك في تقويم الوثيقة باعتبارها شاهدًا من شواهد التاريخ[1].

([1]) حسن الحلوة. الدبلوماتيقا، مقال بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مج٢٧، ج١، ٢ (مايو– ديسمبر ١٩٦٥م)، ص١٩٩– ٢١١.

ومن الأمثلة على نقد الوثائق ما ذكره الدكتور أسد رستم وقام بدراسته. فإنه عندما ثارت مشكلة البراق بين المسلمين واليهود سنة ١٩٣٦م، وقدمت اللجنة الدولية لدرسها، ظهرت وثيقة في مصلحة المسلمين قدمها السيد أمين الحسيني. ولكن اليهود عارضوا في صحة هذه الوثيقة، فعرضت على الدكتور رستم لفحصها من الوجهة الفنية التاريخية، فوجدها أنها عبارة عن رسالة صادرة من محمد شريف باشا حكمدار بر الشام في عهد الحكومة المصرية إلى السيد أحمد أغا دزدار متسلم القدس بتاريخ ٢٤ ربيع أول ١٢٥٦هـ (٢٧ أيار ١٨٤٠) يخبره فيها بصدور إرادة شريفة خديوية من محمد على باشا بمنع اليهود من تبليط البراق مع إعطائهم حق الزيارة (على الوجه القديم)[١].

وقام الدكتور أسد رستم بفحص هذه الوثيقة بوسائل النقد الظاهري والباطني، فوجد أن الوثيقة مكتوبة على ورق صكوكي قديم تركيبه الكيماوي وأليافه من نوع أوراق الحكومة المصرية في مصر والشام في ذلك العهد؛ والمداد الذي دونت به هو مداد استانبولي. وأثبت التحليل الكيماوي والفحص بالمجهر أنه مزيج من الكاربون التجاري والصمغ والماء؛ وأثبت المجهر أيضاً من أثر القلم على الورق أنها كتبت بقلم قصبي مما كان شائع الاستعمال في ذلك العصر[٢].

وكان الخط هو السائد في دواوين مصر والشام. وفاتحة الرسالة: (افتخار الاماجد الكرام ذوي الاحترام. . .) وخاتمتها: (لكي بوصوله تبادروا الإجراء العمل بمقتضاها. . .) تتفق مع أسلوب عهد محمد علي. ثم عدم مراعاة قواعد اللغة العربية ووجود ألفاظ أعجمية الشيء الذي كان منتشراً في مصر والشام في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ثم تذرع الدكتور رستم بأدلة أخرى، فتأكد من محفوظات عابدين أن شريف باشا كان حاكما عاماً على الشام من أوائل ١٢٤٨هـ إلى أواخر ١٢٥٦هـ. وعرف من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس أن أحمد أغا دزدار كان قائماً بأعمال المتسلمية في القدس في ربيع الأول سنة ١٢٥٦هـ. وتثبت أيضاً من أن محمد باشا كان يسيطر على جميع حكام مقاطعات الشام ومن بينهم متسلم القدس أحمد أغا دزدار، ومن أنه كان يتلقى الأوامر من محمد علي باشا وإبراهيم باشا لكي يبلغها

---

(١) أسد رستم: مصطلح التاريخ، ص١٣.

(٢) أسد رستم: مصطلح التاريخ، ص١٤.

للجهات المختصة. ووجد الدكتور رستم أيضاً أن محتويات هذه الوثيقة تتفق مع المعلومات المعروفة عن علاقة اليهود بالبراق وموقف المسلمين منهم من ناحية إباحة اليهود زيارته وتساهل حكومة محمد علي الذي جعلهم يتطلعون للحصول على الإذن بتبليط البراق. وانتهى بحث الدكتور أسد رستم بإثبات صحة هذه الوثيقة من الوجهة الفنية التاريخية سواء من ناحية الورق والحبر والقلم وعادات المراسلة واللغة والأسلوب، أو من ناحية شخص المرسل والمرسل إليه، أو من ناحية مطابقة واتفاق معلوماتها مع الظروف التاريخية[1].

وهذه أمثلة عملية تبين أهمية وطريقة نقد الأصول التاريخية من ناحية إثبات صحتها وأصالتها وخلوها من الدس والتزوير والانتحال؛ وبغير ذلك لا يستطيع المؤرخ أن يعمل لأنه إذا بنى أبحاثه

القسم الثاني: نقد المصدر:

وهو القسم الثاني من النقد الخارجي والذي يعني ببيان ومعرفة مصدر الوثيقة، ومن هو مؤلفها ؟ وما تاريخها ؟ كما يجب علينا ألا نثق مطلقا في التأكيد على أن فلان هو مؤلف الوثيقة، فهناك دوافع متعددة للتزوير، كأن تكون الوثيقة عظيمة القيمة أو قليلة الأثر أيضا أو للدفاع عن مذهب معين.

وهناك عدة وسائل للكشف عن المؤلف الحقيقي وتبيان التزييف، فكلما كانت المؤلفات بعيدة في الزمن كلما كان الوصول إلي حقيقة مؤلفها صعبا والعكس صحيح وهناك أيضا خطوات لمعرفة المؤلف الحقيقي وهي:

الخطوة الأولي: القيام بعملية تحليل باطني بمعني النظر في الوثيقة من حيث الخط فالخطوط تختلف من عصر إلي عصر.

الخطوة الثانية: النظر في اللغة التي كتبت بها الوثيقة، فالصور اللغوية وأنواع العبارات والمجازات والتعبيرات تختلف من عصر إلي عصر.

(1) أسد رستم: مصطلح التاريخ، ص١٣-٢٠.

الخطوة الثالثة: النظر في الوقائع أو الأحداث التي وردت في الوثيقة من حيث إمكان حدوثها في الزمان والمكان المنسوبين إليه والنظر في كتب المعاصرين عن وجود إشارات إلي هذه الوقائع.

٢- النقد الباطني :Internal Criticsm :

فيبحث في الحالات العقلية التي مر خلالها كاتب الأصل التاريخي، ويحاول أن يتبين قصد الكاتب بما كتب وهل كان يعتقد صحة ما كتبه، وهل توفرت المبررات التي جعلته يعتقد صحة ذلك[١].

وينقسم إلي قسمين:

أ- النقد الباطني الإيجابي

فالنقد الباطني الإيجابي Hermeneutic عبارة عن تحليل الأصل التاريخي بقصد تفسيره وإدراك معناه.

ويمر ذلك في دورين:

أولا: تفسير ظاهر النص وتحديد المعني الحرفي له.

ثانياً: إدراك المعني الحقيقي للنص ومعرفة غرض المؤلف مما كتبه.

وهو عبارة عن عملية لغوية الهدف منها تفسير نص الوثيقة وفهم معناها وهذه العملية قد تكون عسيرة وشاقة كلما كانت اللغة قديمة. فاللغات كائنات حية تتغير معانيها وألفاظها بتغير الأزمان والأمكنة. فعلينا إذن أن نعرف اللغة التي كتبت بها الوثيقة كما كانت في العصر الذي كتبت فيه.

كذلك ينبغي علينا أن نفهم الكلمات وفقا للسياق الذي توجد به. ويجب أن نلاحظ أيضا أن استخدام التشبيهات والاستعارات وأنواع المبالغات والمجازات والكنايات قد يؤدي إلي أن يتبدي من ظاهر النص غير ما يقصد إليه المؤلف، ولهذا لا يجب أن تأخذ النصوص بظاهرها.

---

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٨٣.

ب-النقد الباطني السلبي:

وهذه العملية ترمي إلي معرفة نزاهة المؤلف ودقته. وفيها يجب أن نبحث في صحة مشاهدة مؤلف الوثيقة للحادث وهل أصاب في وصفه أم أخطأ؟ وهل خدع في بعض ما شاهدة وهل لم تكن لديه دوافع خاصة تجعله يشوه تصوير الحدث.

ولا يمكن أن نثق في أية رواية بل لابد أن نبدأ بالشك في صحتها.. فالوثائق ابتداء كلها مزيفة وعلى المؤرخ أن يبدأ بالشك في صحتها وأن يفترض الخيانة في كل راو وعليه أن يتحقق من أمانته.

وبناء على ما تقدم يجب أن نتبع قاعدتين:

الأولي: ألا نثق في رواية لمجرد أن صاحبها شاهد عيان. فالإثبات العلمي لأية حقيقة تاريخية، لا يمكن أن يتم عن طريق شهود العيان فقط، بل ينبغي أن تتوافر لدي الباحث في التاريخ الأدلة التي تثبت صحة تلك الحقيقة. وفي بعض الأحوال تُعد أقوال مؤلف بعينه أقوالا صحيحة، ولكن لا يمكن أن يتخذ ذلك كقاعدة عامة.

الثانية: ألا نأخذ الوثيقة ككل بل يجب تحليلها إلي جزئيات صغيرة. لا يجوز أن ينقد الأصل التاريخي في هذه المرحلة كوحدة عامة، بل ينبغي أن تنقد جزئياته وتفصيلاته وحوادثه المفردة واحدة بعد أخري[١].

٦- إثبات الحقائق التاريخية

لا يوصل النقد وحده على الرغم من أهميته إلي الحقيقة التاريخية، ولا يثبتها بل هو مرحلة مهمة في الطريق إليها، وعلى الباحث أن يقوم بجهد آخر لإثبات الحقيقة التاريخية، ولن يتسنى له القيام بهذه المهمة إلا إذا قام بعدد من العمليات التاريخية[٢]:

- تصنيف المادة التاريخية التي قام بنقدها وتأكد من صحتها بتقسيمها إلي مجموعات يكون كل منها شاملاً لاحد موضوعات البحث.

---

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص١٢٠.

(٢) عادل غنيم: في منهج البحث التاريخي، ص ٥٤-٥٦.

- عقد المقارنة بين المعلومات والآراء المختلفة الخاصة بكل نقطة أو موضوع على حده، بهدف التوصل إلي بعض الحقائق التاريخية المحددة.
- في حالة تعارض عدد من الروايات التاريخية بشأن واقعة معينة فإنه ينبغي المقارنة بينها لتحديد المؤكد منها أو أكثرها تأكيدا.
- في حالة وجود روايات متعارضة معظمها يأخذ موقفا معينا ويأخذ أحدها أو بعضها موقفا آخر، فإن الكثرة أو القلة هنا لا تعني تغليب رواية الكثرة على رواية القلة، لأن العبرة في النهاية هي بما يثبت صحته سواء كان في هذا الجانب أو ذاك.
- لا ينبغي الاعتماد تماما على أية رواية يكون لها مصدر تاريخي واحد، بل يجب البحث عن مصادر أخري أو الإشارة إلي تعذر العثور على تلك المصادر
- في حالة اتفاق كل المصادر على رواية معينة فإن ذلك لا يعني صحتها دائما، بل قد يتضح من المقارنة والبحث أن اجماع المصادر السابقة لم يكن قائما على أساس صحيح، أو أن المصادر المختلفة قد أخذت جميعها من مصدر واحد
- بعد إجراء المقارنات حول حادثة معينة قد يتبين أن المصادر المختلفة لم تصل جميعها إلي نتيجة محددة بشأن تلك الحادثة، فعلي الباحث في تلك الحالة أن يحاول الوصول إلي تلك النتيجة.
- إذا تبين للباحث أن المصادر المختلفة قد أغفلت جميعها لسبب أو أخر الإشارة إلي واقعة تاريخية محددة، فعلية أن يهتم بالبحث عن أصول تلك الواقعة وإثباتها.

٧- البناء التاريخي للمادة:

بعد أن ينتهي الباحث من اثبات الحقائق التاريخية، فإن الخطوة التالية هي عملية البناء أو التركيب التاريخي Historical Construction للمادة التي جمعها، ويقصد بالبناء التاريخي الربط بين العناصر المختلفة للمادة وإقامة وحدة بين تلك العناصر، بحيث لا يبدو أي منها وكأنه عنصر مستقل بذاته، أو يظهر البحث وكأنه عدة موضوعات مختلفة ليس بينها وحدة أو رابطة. وكي تتم عملية البناء التاريخي بطريقة سليمة ينبغي أتباع الأسس التالية:

- تصنيف الحقائق التاريخية التي أمكن التوصل إليها بحيث تصبح كل مجموعة من تلك الحقائق مرتبطة بمرحلة تاريخية من مراحل البحث.
- عقد المقارنات بين حقائق كل مجموعة على حده، ومحاولة الربط بينها وإبراز مضونها وإيضاح ما أضافته إلي الحقائق المعروفة حتى إعداد البحث، ثم تحقيق نفس الشيء بين حقائق المجموعات المختلفة جميعها.
- سد الثغرات التي تظهر للباحث عند قيامه بعملية البناء التاريخي، فإذا لم يجد الباحث مادة لتحقيق هذا الربط بين نقاط الموضوع فعليه أن يستخدم خياله العلمي لمعالجة تلك الثغرات.
- تحقيق الوحدة المطلوبة للبحث سواء كان تقسيم الخطة زمنيًا أو موضوعياً بالربط بين الظواهر المختلفة للمرحلة التاريخية التي يعالجها البحث سواء كانت تلك الظواهر سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.
- أن تكون الاتجاهات الرئيسية للموضوع واضحة أمام المؤرخ خلال قيامه بعملية البناء التاريخي، وأن يكون قادراً على وضع المادة التاريخية في خدمة تلك الاتجاهات وليس إغراق نفسه وموضوعه في خضم المادة التي جمعها.

تلك هي عناصر البحث التاريخي الأساسية التي ينبغي على الباحث أتباعها حتى يمكنه خدمة موضوعه وأتباع أفضل الأساليب لتقديم بحث جديد أو مبتكر، وتجنب الأخطاء العديدة

التي يقع فيها الكثيرون بسبب عدم أتباعهم تلك الخطوات المنهجية عند إعدادهم لبحوثهم أو رسائلهم.

٨- كتابة البحث:

وهو ما سوف نتناوله بالتفصيل في الفصل التالي

الفصل السابع

قواعد كتابة البحث التاريخي

١- عنوان البحث
٢- مقدمة البحث
٣- التمهيد
٤- متن البحث
٥- الهوامش
٦- خاتمة البحث
٧- ملاحق البحث
٨- الصور والجداول والخرائط
٩- ثبت المصادر والمراجع
١٠- الفهرس

الفصل السابع

قواعد كتابة البحث التاريخي

يوجد العديد من القواعد الفنية يحسن مراعاتها عند اعداد البحوث، سواء بالنسبة لأسلوب البحث أو مصطلحاته أو طريقة الاقتباس أو الاختصار و تنظيم المصادر والمراجع، إلي غير ذلك من النواحي الفنية، والتي يلزم فهمها وتدريب الطلاب عليها حتى يتمكنوا في النهاية من استيعاب كل عناصر البحث التاريخي وتفصيلاته، وهو ما سيؤدي بطبيعة الحال إلي الارتقاء بمستوي البحث التاريخي[1].

يتكون البحث التاريخي من عدة عناصر رئيسية يجب مراعاتها عند كتابته وهي:

١- عنوان البحث:

يعد عنوان البحث هو أول نقطة في بناء أي بحث فهو عبارة عن سؤال مطلوب الإجابة عليه، وعنوان البحث التاريخي يجب أن يرتبط بثلاثة عناصر:-

١- الحادثة التاريخية المراد دراستها

٢- الحيز الجغرافي الذي سيتم دراسة الحادثة التاريخية عليها

٣- الإطار الزمني أو الفترة الزمنية المراد دراسة الحادثة خلالها، يجب أن يحدد الباحث تاريخ بداية ونهاية وأن يكون له دلالة كبداية دولة ونهاية دولة حادثة هامة

مثال:

" الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الفاطمي(٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)"

ويجب ألا توضع نتيجة أو إصدار حكم في عنوان البحث لأن ذلك يفقد حيادية الباحث وعليه يترك الحكم إلي الدراسة وما تتوصل إليه من نتائج

---

(١) عادل غنيم: في منهج البحث التاريخي، ص٥٧.

مثل "هزيمة حرب ١٩٦٧م " أو " انتصار حرب أكتوبر ١٩٧٣م" أو " بدعة أريوس"

كما يشمل العنوان اسم الجهة المقدم لها الباحث أو الرسالة كما يشمل اسم الباحث واسم المشرف والعام الدراسي

٢- مقدمة البحث:

ينبغي أن يبدأ البحث بكتابة مقدمة يوضح فيها الباحث أسباب اختياره للموضوع، والدراسات السابقة في الموضوع، والمصادر الأساسية للبحث، والصعوبات التي واجهت الباحث عند قيامه بجمع المادة العلمية أو كتابة البحث

وعلى الرغم من أن المقدمة توضع في بداية البحث فإنها لا تكتب إلا بعد الانتهاء من الصياغة الكاملة من أبواب وفصول وكتابة مسودة البحث والاستعراض التام له واستيفاء الكتابة في جزئياته وكلياته وتتضح صورة البحث تماماً ويكتمل بناءه العلمي، عندئذ يكون من السهل تحديد النقاط، وحصر المعلومات التي يرغب في تدوينها في المقدمة، فمقدمة البحث يقدم فيها الباحث موضوعه للقارئ، لذا يجب أن تبدأ قوية متسلسلة الأفكار، واضحة الأسلوب متماسكة المعاني، ويفضل أن تكون المقدمة بأسلوب سهل شيق بلا تكلف ولا تعقيد لأنها مرآة شخصية الباحث[١].

وتتألف المقدمة من التعريف بموضوع البحث وأهميته، إذ يشرح فيها الباحث دوافع اختياره لموضوع البحث، ولماذا شعر أن هذا الموضوع جدير بالبحث، أو بجانب من جوانبه، وأن يحدد الدراسات السابقة التي تمس الموضوع إن وجدت مع نقدها مما يعطي المبرر لدراسة الموضوع.

كما تشمل المقدمة على الصعاب التي واجهها الباحث والنقاط التي لم يجد في المصادر ما يشفي الغليل عنها، وكيف تغلب عليها خلال مراحل بحثه، وفي هذه الحالة يجب التعبير عن الواقع دون مبالغات حتى تعين القارئ أو المقدم على عمل تاريخي في الاقتداء بالباحث في الإصرار على استمرار العمل وعدم الاستسلام مهما تكلف الباحث من الجهد والعرق والمال، حيث إن النجاح في الأمر يشعر الإنسان بقدراته العقلية واحترامه لنفسه وأفكاره وأهمية وجوده في الحياة.

---

(١) محمود عرفة محمود: البحث التاريخي، ص١٦٩.

فضلاً عن ذلك قد تشمل المقدمة على دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث، ومدي استفادة الباحث من هذه المصادر في كتابة بحثه، وبعض كلمات الشكر للقائمين على المتاحف ودور المحفوظات ودور الكتب الذين لقي منهم تعاونا ايجابيا، ولبعض من ساعدوه في إنجاز العمل وعلى رأسهم أستاذه المشرف. وتكتب المقدمة بعد كتابة مسودة البحث.

٣ – التمهيد:

تحتاج بعض الموضوعات إلي فصل تمهيد يعد مدخلاً علميا للموضوع، وهو جزء من البحث

٣–متن البحث

الصياغة والأسلوب:

ليس من المعقول أن يكتب باحث في التاريخ بحثا باللغة العربية ولا يجيد هذه اللغة قراءة وكتابة وتعبيرا، ويخطئ في قواعد اللغة وطريقة كتابتها أي قواعد الإملاء، فذلك أمر سيء جدا، لأن اللغة هي وسيلة للتعبير عن أفكار الباحث المؤرخ.

لذا يجب على الباحث في التاريخ أن يحسن اللغة التي يكتب بها، ويحسن التعبير بها، وأن يكتب بلغة سهلة واضحة تلاءم الموضوع الذي يتناوله، وعليه أن يكتب بأسلوبه الخاص الذي تتضح فيه شخصيته، فلا يقلد غيره من الباحثين، فلكل كاتب طريقته الخاصة في التعبير عن آرائه.

وينبغي على الباحث أن يتجنب الكتابة بأسلوب أدبي صرف حتى لا يؤثر ذلك على واقعية الأحداث، وليس المطلوب من المؤرخ إجادة استعمال التورية والسجع والجناس والتشبية وما إلي ذلك. وإنما يكون أسلوبه بسيطا وممتعا، خاليا من الأخطاء اللغوية، في دقة وإيجاز، فالمؤرخ غير الأديب أو الشاعر، ويا حبذا لو يجمع المؤرخ بين البساطة والدقة وروح الفن، لأن غياب الخيال نهائيا يؤدي إلي ركاكة الأسلوب.

وقد يلجأ بعض الباحثين إلي أحد المتخصصين في اللغة العربية لتصحيح بحثه ومراجعته، وإن كان هذا الأمر ليس طيبا على كل حال فالمفروض أن يجيد الباحث لغة قومه وأن يراجع نفسه وأن يصحح وأن يكون قادرا على الارتجال بها لتلخيص أو عرض أبحاثه، ولا

يغتفر للمؤرخ أن يبرر ضعفه بضعف المستوي العام في اللغة، ذلك أن المؤرخ كاتب وباحث وعالم في تخصصه، فهو بهذا المقياس من صفوة المثقفين، وفي مجال المسئولية العامة[1].

وعلى الباحث في التاريخ أن يكون وجوده باستمرار في البحث، وأن يعلق على الحوادث بين حين وآخر، حتى لا يكون ما يكتبه مجرد سرد لأقوال الآخرين.

وعلى الباحث أن يراعي في كتابة بحثه أن تكون فصول هذا البحث متساوية في حجمها قدر الإمكان، حتى يحدث التوازن المطلوب في البحث، فلا يكون هناك فصل عدد صفحاته ١٥ صفحة مثلاً وآخر ٦٠صفحة.

وأن يتجنب الباحث استخدام ضمير المتكلم بكل أنواعه، سواء في ذلك ضمائر الرفع وضمائر النصب والجر منفصلة أو متصلة بارزة أو مستترة. وعلى هذا فلا يقول: أنا ، ونحن، وأري ، ونري، وقد انتهيت في هذا الموضوع إلي، ورأي، ونحن ذلك، كمثل ضمير المتكلم ضمير المخاطب.

وألا يكثر الباحث من استخدام الأساليب الآتية: ويري الكاتب، والمؤلف لا يوافق، والباحث يميل.

أما التعبيرات التي يجب أن تغلب على الأسلوب فهي مثل ويبدو أنه، ويظهر مما سبق ذكره، ويتضح من ذلك، والمادة المعروفة عن هذا الموضوع تبرز..الخ. وعلى هذا يُنصح الذين يكتبون بحوثهم ألا يكثروا من استعمال ضميري المتكلم والمخاطب، وأن يلاحظوا إذا استعملوا ضميري المتكلم والمخاطب مراعاة التواضع والأدب الجم، فالحديث عن النفس غير محبب غالباً للقارئ والسامع.

وينبغي على الباحث في التاريخ أن يحترم آراء المؤرخين الآخرين، ويقدر وجهات نظرهم، على ألا يصدق كل ما يقولونه. ولكن يجب أن يكون تفنيده لما ذهبوا إليه مما لا يتفق وآراءه برفق حين يكتب، كأن يقول: ذهب المؤرخ فلان إلي القول بأن.. ولكن ما أجمع عليه المؤرخين يدلنا على أن.. دون أن تذكر عبارات مثل: ترينا الحادثة الآتية كذب المؤرخ فلان أو دحض كلامه، لأن ذلك فيه تحقير للمؤرخين دون موجب، مما ينافي جانب الوفاء والتقدير لأمثالهم.

---

(1) أحمد زكريا الشلق: منهج البحث، ص٣٤.

كما يجب على الباحث ألا يستخدم مصطلحات معاصرة في دراسة التاريخ القديم أو التاريخ الإسلامي مثل ليبرالية، واشتراكية، انتهازية، وشيوعية، ويمين ويسار، إذ لا يجوز تطبيقها على واقع البيئة الإسلامية وعصرها.

الفقرات:

كما يلاحظ أن الفقرة وحدة قائمة بذاتها لا تحتاج إلي عنوان، وهي مجموعة من الجمل بينها اتصال وثيق لإبراز معني واحد أو شرح حقيقة واحدة، ولها استقلالها الكامل، حتى أنه يطلق عليها" بحث قصير" أو " بحث داخل بحث" وللفقرة طول متوسط فلا ينبغي أن تكون طويلة جداً ولا قصيرة جداً، وإن كان قصرها مقبولا عن طولها.

وينبغي أن يكون ترتيب الفقرات متسلسلاً ومنطقيا بحيث تبني كل جملة على ما سبقتها وتمهد لما بعدها. وكذلك فإنه يجب أن تكتب كل فقرة مستقلة بذاتها على الورقة حيث يبدأ الكاتب سطرا جديدا لكل فقرة بعد ترك مسافة قصيرة في أول السطر، ويختتم الفقرة بنقطة، كما ينبغي أن تترك مسافة واضحة بين كل فقرة وأخري.

الاقتباس Quotation:

يفضل أن يقلل الباحث من عملية الاقتباس، وإذا كان لابد منها فليكن ذلك من الاقتباسات المهمة وذات الدلالة التاريخية الخاصة، من بعض الوثائق والمصادر والمراجع، وعليه في هذه الحالات أن يدرسها بعناية واهتمام، ويدرس كل ما يحيط بها من ظروف، فعليه أن يتبع الدقة التامة في النقل، ويتم هذا من خلال نقل الكلام حرفيا وبالشكل والكيفية التي ورد بها في المصدر حتى ينقل الكلام الخطأ ويصحح بين قوسين (.....) وأن يضع ما يقتبس بين شولات" ..... "، إذا كان الاقتباس قصير.

أما إذا كان الاقتباس طويل ينبغي أن يكتب بخط مميز تضيق المسافة بين السطور ويكون الهامش عن يمين الاقتباس وشماله أكثر اتساعا من الهامش المتبع في البحث، كما أن بنط الحرف الذي يكتب به الاقتباس يكون صغيرا عن بنط الكتاب أو البحث. فإذا اقتبس الباحث جزءا من فقرة ولم يكمها فيجب أن يضع في نهايتها ثلاث نقاط ... إشارة إلي أن الفقرة التي اقتبسها لم تنقل كاملة.

كذلك إذا كثر الاقتباس عن صفحة فيجب على الباحث أن يصوغ المعني في أسلوب خاص ويشير إلي ذلك في الهامش إلي المرجع الذي اقتبس منه. لأن ذلك سيؤثر على وحدة الموضوع.

وفي جميع حالات الاقتباس ينبغي الإشارة في هامش البحث إلي المصدر الذي اقتبس منه – سواء كان وثيقة أو مخطوطا أو كتابا أو دورية أو غيرها – والجزء أو المجلد والصفحات التي رجع إليها، ويجب أن تكون الاقتباسات مأخوذة من مصادر أصيلة لا من مراجع ثانوية.

كما يجب ألا تختفي شخصية الباحث بين ثنايا كثرة الاقتباسات، وألا يكون البحث سلسلة اقتباسات متتالية، كما يجب أن تنسق الاقتباسات تنسيقا بديع

الألقاب:

وإذا أشار الباحث في بحثه إلي شخص ما، فالقاعدة العامة أن يذكر اسمه مجردا دون ذكر لقبه أو الوظيفة التي يشغلها. فلا يقال مثلا صاحب المعالي أو صاحب المقام الرفيع أو فلان بك أو باشا، وهي ألقاب كانت مستخدمة وشائعة في مصر قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وإنما يمكن إذا تكلمنا عن أيمن تلك الشخصيات أن نشير إليها بشكل مجرد فنقول: سعد زغلول أو مصطفي النحاس أو إسماعيل صدقي. وإذا كانت الإشارة إلي أحد الملوك فلا يجب أن نقول فنقول جلالة الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان وإنما نقول فاروق الأول، وإذا كانت الإشارة إلي كاتب أو أوديب فلا يجب أن نقول عميد الأدب العربي طه حسين أو الروائي الكبير نجيب محفوظ، وإنما نقول طه حسين ونجيب محفوظ أو مثلاً: ويري شفيق غربال، أو ويشرح طه حسين، وصرح محمد نجيب وهكذا.

أما كتابة الألقاب مثل: دكتور، عميد، وزير، رئيس وغيرها فليست من الأسلوب العلمي في شيء وغير محببة. أما إذا كان اللقب متصلا بفكرة يتحدث عنها الباحث فلا بأس من ذكرها دون أن يكون المقصود بها التكريم بل الإيضاح. ولا يفهم من ذلك أن التغاضي عن ذكر الألقاب في صلب البحث فيه مهانة وحط من تقدير الشخص.

وهناك عدة أمور ينبغي ذكر الألقاب والوظائف منها:

١– أثناء ذكر مصادر الرسالة في نهاية البحث.

٢- في حالة الإشارة إلي الاعتراف بالجميل أثناء المساعدة.

كما يتجنب الباحث قدر الطاقة ذكر أسماء الباحثين في متن الدراسة إذا كان يعالج قضية خلافية، إنما ينبغي أن يستخدم عبارات من طراز: ثمة رأي آخر يقول.. وهناك من يذكر.. ويتفق هذا مع رأي أخر مؤداه.. ويتفق أكثر من رأي على كذا..ثم يذكر أصحاب هذه الآراء والإضافات في هوامشه وبدقة متناهية، فلا يشير إلي آراء في المتن ولا يذكر في الهوامش، كما لا يلقي الكلام على عواهنة ويتحدث عن إجماع الآراء أو يشير إلي الاتفاق أو الاختلاف في الروايات التاريخية أو الآراء دون ذكر أصحابها.

علامات الترقيم:

وعلامات الترقيم هامة للغاية في كتابة البحث، ويتوقف الفهم عليها أحيانا،وهي دائما تعين مواقع الفصل والوصل، وتسهيل الفهم والإدراك عند سماع الكلمات ملفظا، أو قراءته مكتوبا وهذه العلامات هي:-

١- **النقطة(.)** وتوضع في نهاية الجملة التامة المعني، وعند انتهاء الكلام وانقضائه.

٢- **الفصلة (،)** وتوضع بعد لفظ المنادي مثل: يا محمد، أكتب الدرس. وتوضع بين الجملتين المرتبطتين في المعني والإعراب. كما توضع بين الشرط والجزاء وبين القسم والجواب. وتستخدم الفصلة بين المفردات المعطوفة.

٣- **الفصلة المنقوطة(؛)** وتوضع بعد جملة، ما بعدها سبب فيها، مثل: أحمد من خيرة الطلاب في فريقه، لأنه حسن الصلة بأساتذته وزملائه. وتوضع أيضا بين الجملتين المرتبطتين في المعني دون الإعراب.

٤- **النقطتان(:)** وتوضعان بين القول والكلام المقول: مثل: روي، حكي:،قال:، أجاب: وتوضعان أيضا بين الشيء وأقسامه وأنواعه، مثل: اثنان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال.

٥- **علامة الانفعال (!)** وتوضع في آخر جملة يعبر بها عن فرح أو حزن أو تعجب أو استغاثة أو دعاء أو تأسف.

٦- **الشرطة(-)** وتوضع من أول السطر في حال المحاورة بين أثنين إذا استغني عن تكرار اسميهما. وتوضع الشرطة أيضا بين العدد والمعدود إذا وقعا عنوانا في أول السطر مثل أولا- ...أو ١- ...

٧- **الشرطتان** (- -) وتوضع الشرطتان ليفصلا جملة أو كلمة معترضة فيتصل ما قبلها بما بعدها.

٨- **الشولتان المزدوجان** " ..... " وتستعملان للدلالة على أن ما بينهما هو من كلام الغير.

٩- **القوسان** ( ) ويوضع بينهما عبارات التفسير والدعاء القصير.

١٠- علامة الحذف وهي نقطة أفقية أقلها ثلاثة مثل(...) وتستعمل تبين بأن كلمات وردت في المصدر قد حذفها الباحث عن عمد.

١١- إرشادات هامة لمن يعمل بمجال البحث العلمي:

أغلب علامات الترقيم، تُلصق بالكلمة التي قبلها، مثل الفاصلة (،) / الفاصلة 1.
المنقوطة (؛) / النقطة (.) / علامة الاستفهام (؟) / علامة التعجب (!) / نقطتا القول

الاختصارات والمصطلحات:

تعارف المؤرخون على بعض الاختصارات العامة المشهورة تغني عن كتابتها كاملة بخاصة إذا تكررت أكثر من مرة في البحث، وأصبح تقليدا أن يورد الباحث ثبتا بالاختصارات التي استخدمها في دراسته.

من أمثلة الاختصارات الشائعة:

ج. م. ع : جمهورية مصر العربية

(U.S.A.): الولايات المتحدة الأمريكية

(U. N.) : الأمم المتحدة

(F.O.) : وزارة الخارجية Foheign Office

(P.R.O.): دار المحفوظات العمومية البريطانية Public Record Office

(ق.م.) : قبل الميلاد.

(م.) : التاريخ الميلادي.

(هـ) : التاريخ الهجري.

الهوامش Footnotes:

لا يقتصر البحث على كتابة المتن بل يكمله هوامشه، فالمتن والهامش توأمان فلا متن بدون هامش، ولا هامش بدون متن، والاهتمام بالمتن يجب إلا يكون على حساب الهامش، التي تحتاج كتابتها إلي معرفة وخبرة، وتقدر مهارة الباحث بمدي دقته في ترتيب وتنظيم هوامش البحث، وهي أداة الحكم على أصالة هذه الكتابة وجدواها، ولهذا يعد الباحث الذي يمهلها أو يتخلي عنها.

أهمية الهوامش

الإشارة إلي المراجع الذي استقي منه الباحث معلوماته اعترافاً بالفضل لهؤلاء الذين انتفع بجهودهم واقتبس منهم.

١- ذكر إيضاحات تورد أحيانا لتفصيل مسألة وردت في صلب الرسالة أو لتحقيق موضع أو نحو ذلك، ولا يمكن إثبات هذه الإيضاحات في صلب البحث لأنها غير أساسية فيها،فلو أوردت لقطعت اتساق البحث وتسلسله.

٢- إحالة القارئ إلي مكان آخر من البحث مثل الملاحق أو الأشكال والخرائط أو إلي مراجع أخري لمناقشة نقطة ما يتعرض لها الباحث

٣- توجيه القارئ إلي مصادر أو مراجع إضافية تخدم نقطة فرعية أو ثانوية بغرض التعرف على مزيد من المعرفة.

٤- نقد النصوص والأدلة التاريخية، أو وضع نصوص بلغة أجنبية دون ترجمة.

٥- نقد أو مناقشة رأي لمؤلف آخر حول موضوع ورد في المتن.

٦-التعريف بالأعلام وأماكن البلدان والمصطلحات الوارد ذكرها في المتن[١].

(١) عادل غنيم وجمال حجر: في منهج البحث التاريخي، ص٧٣-٧٤.

وهناك **ثلاث طرق للترقيم بالهامش:**

١- أن تكتب أرقام مستقلة لكل صفحة من البحث على حدة في أسفل الصفحة وهي أسهل الطرق وأكثرها شيوعا، وسهولة هذه الطريقة واضحة، فكل صفحة بأرقامها ومراجعها وكل ما يتصل بها.

٢- أن تكتب هوامش كل فصل من فصول البحث في نهايته.

٣- أن تكتب هوامش البحث كلها في نهايته سواء بترقيم واحد للبحث، أو ترقيم هوامش كل فصل على حدا[١].

أما **طريقة كتابة الهوامش:**

هناك خط أفقي صغير يفصل بين الهوامش وبين صلب البحث. وتأخذ الهوامش عند ذكر المصادر والمراجع أرقاماً مسلسلة توضع أسفل بعضها بانتظام، ويتم كتابة المصادر كالتالي:

- إذا ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة تتم كتابته كما يلي: اسم مؤلف الكتاب أو البحث أو أصل المصدر، عنوان الكتاب أو البحث، واسم محقق المصدر أن وجد، واسم المترجم أن كان مترجما من لغة أجنبية إلي اللغة العربية ، ثم الجزء إذا كان الكتاب من عدة أجزاء وإذا لم يكن من جزء واحد فلا يشار إلي ذلك، ثم مكان الطبع.

ويراعي دائماً أن آخر طبعة هي أفضلها، وهي الأجدر بالرجوع إليها، لأن المؤلف دائما يصحح نفسه ويضيف إلي مؤلفه في الطبعة الجديدة

مثال كتابة بيانات مصدر لأول مرة:

- الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة،١٩٦١، ص١٠.
- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠١، ج٤، ص٥٥.
- **وفي حالة كتابة كتاب مترجم من لغة أجنبية يكتب اسم المترجم بعد اسم الكتاب.**

(١) أحمد شلبي: كيف تكتب بحثا أو رسالة، ص١٠١-١٠٣.

مثال:

- طافور: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة وتقديم حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص٧٠.

مثال مرجع عربي يكتب لأول مرة:

ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩٦، ص٥٢-٥٣.

- **وعند كتابة مقالة أو بحث منشورة في مجلة علمية في الهامش لأول مرة تكتب بياناته كاملة يذكر أسم المؤلف ثم نقطتين فوق بعضهما، ثم وضع المقال بين شولتين، ثم أسم المجلة أو المؤتمر أو الندوة، ثم مكان المجلة، ورقم المجلد، ورقم الجزء منه إذا كان هذا العدد من المجلد قد صدر على مراحل، وتاريخه، ورقم الصفحة.**

مثال ذلك:

سعد زغلول عبد الحميد: " ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين ٦ ، ٧هـ/١٢-١٣م "، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، المجلد الثامن، ١٩٥٤، ص٩٥.

مثال أخر بحث في منشورة في مؤتمر:

سيد محمود عبد العال : " مدارس الإسكندرية في العصر الفاطمي ودورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية، ندوة التاريخ الثقافي للوطن العربي اتحاد المؤرخين العرب – أكتوبر ٢٠٠٨م ، ص٤٧-٩٠.

- **وإذا تكرر اسم المقال يكتفي بذكر اسم المؤلف واسم المقال مختصرا، ثم رقم الصفحة**

مثال: سيد محمود عبد العال: " مدارس الإسكندرية في العصر الفاطمي ، ص٥٠

- **وإذا استعان الباحث برسالة علمية ماجستير أو دكتوراه أن يكتب اسم الباحث وعنوان الرسالة، ودرجة الرسالة، واسم الكلية واسم الجامعة، وتاريخ المنح، ثم رقم الصفحة.**

مثال ذلك:

سيد محمود عبد العال: الحياة الاقتصادية في الريف المصري عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ -٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م)"، قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة عين شمس ٢٠٠١م، ص٦٠.

– وفي حالة تكرار نفس المصدر أو المرجع توجد طريقة تذكر اسم المؤلف ثم المصدر السابق أو المرجع السابق ثم رقم الجزء ورقم الصفحة.

مثال:

الجبرتي: المصدر السابق،ج١، ص١٥٦.

ولكن هذه الطريقة تشتت القارئ في حالة وجود أكثر من كتاب لمؤلف واحد لذا فقد وجدت طريقة أسهل وهي ذكر اسم المؤلف ثم عنوان مختصر للكتاب ثم رقم الجزء إن وجد واسم الصفحة.

مثال:

الجبرتي: عجائب الأخبار، ج١، ص١٥٦.

– وفي حالة الاعتماد علي أكثر من كتاب لمؤلف واحد في نفس الهامش يرتب من الأقدم في النشر.

مثال:

سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٦٢، ص١٣٢؛ العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٠، ص١٢٣.

– وفي حالة الاستعانة بأكثر من مصدر أو مرجع واحد في هامش واحد يقدم الأقدم من حيث تاريخ الوفاة بالنسبة للمصادر والأقدم نشرا بالنسبة للمرجع

مثال:

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٣٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢.

- وفي حالة الاستعانة بمصدر ومرجع في هامش واحد يُقدم المصدر على المرجع

مثال:

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٣٤؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص٢٣.

ونلاحظ عدة مختصرات تستخدم في الهامش مثل

جـ : جزء

مج: مجلد

ص : صفحة

د.ت: بدون تاريخ

أما المرجع الأجنبية فكتبت بياناتها في أول مرة كاملة مثل المراجع العربية ولكن نبدأ باسم العائلة ثم الاسم الأول للمؤلف ثم اسم الكتاب، واسم بلد الناشر وتاريخه ورقم الصفحة.

وفي المراجع الأجنبية يشار إلي المجلد أو الجزء بـ .Vol اختصار كلمة Volume، وإلي الصفحة بـ .P اختصار كلمة Page، وإذا تعددت الصفحات تذكر .pp أما إذا كانت المعلومات التي اعتمد عليها الباحث موزعة في كل صفحات الكتاب بحيث لا يمكن تحديد صفحة معينة، فيضع الرمز Passim وهي كلمة لاتينية معناها في كل مكان، أي هنا وهناك.

مثال:

Peter Thorau, The Lion of Egypt Sultan Baybars I and the Near East in the Thirteenth Century , London,1987, p.13.

أو عدة صفحات متتالية pp.23-34

Poliak (A.N.), " Les révoltes populaires en Egypte à l' époque des mamelouke ", Revue des Et.Islam, 1934, pp. 251-273.

Ayalon , "Studies on the transfer of the Abbasid caliphate form Bagdad to Cairo" , in Arabica, vol. XII , 1960 .

ومن طرق التوثيق التوثيق في متن الدراسة وأهم الطرق المستخدمة للتوثيق في المتن

١- استخدام نظام هارفارد

ويعتمد نظام هارفارد على التوثيق مباشرة داخل النص بعد انتهاء النص المقتبس وذلك بوضع عائلة المؤلف متبوع بالسنة بين قوسين بدون فاصله، ثم يعاد ترتيب المراجع المستخدمة هجائيا في قائمة المراجع في نهاية البحث.

مثال: (الرافعي ٢٠١٠)

٢- طريقة الجمعية النفسية الأمريكية

وفي هذه الطريقة يتم الاشارة الي المصدر في نهاية الاقتباس بوضع عائلة المؤلف والسنة والصفحة بين قوسين بينهم فاصلة ثم يعاد ترتيب جميع المراجع هجائيا في قائمة المراجع في نهاية البحث

مثال: (الرافعي، ٢٠١٠، ٣٠)

٤-خاتمة البحث:

بعد أن ينتهي الباحث من كتابة بحثه يشرع في كتابة خاتمة البحث، ويلزم عند كتابتها قراءة المباحث والفصول كاملة حتى نهايتها، وتوضع أفكار كل فصل في أوراق منفصلة برؤية شمولية، وبعد ترتيبها تكتب في مسودة، ويعاد النظر فيها مرارا حتى يتم تنقيحها لأنها تعد زُبد البحث، وينبغي أن تكون الخاتمة قصيرة مركزة وتتضمن الأفكار والحقائق الجديدة التي توصل إليها الباحث، ولا يجب بحال ما أن يناقش الباحث في الخاتمة قضية جديدة فمجال مثل هذه القضايا والمشاكل البحث نفسه بفصوله المتعددة وليس الخاتمة.

وقد يشير في الخاتمة إلي القضايا التي لم يصل فيها لنتيجة حاسمة أو إلي المرحلة التالية التي ستكون موضع بحث أخر له في المستقبل

٥- ملاحق البحث:

وتأتي بعد ذلك ملاحق البحث، وهي عبارة عن مختارات أو نشرات من الأصول التاريخية التي اعتمد عليها الباحث في بحثه، ونشر بعض هذه الأصول لأمر جوهري لأنه يقدم للقارئ جزءا من المواد الأولية التي استقي الباحث معلوماته. خاصة إذا كانت وثائق لم تنشر، ومن الأفضل أن تنشر بلغاتها وهجائها وأخطائها كما وردت بدون تعديل، ويكون نشرها مصحوبا بشرح ألفاظها الغريبة وتصحيح أخطائها والتعليق عليها، وبيان قيمتها التاريخية[١].

ويكتب كل ملحق في صفحة مستقلة، ولا يكتب أكثر من ملحق واحدة في صفحة واحدة، وأن يوثق مصدر الملحق

٦- الصور والخرائط والجداول:-

الخرائط:

ويزود الباحث بحثه بالعديد من الخرائط التاريخية التي تخدم البحث وتوضح الأماكن أو المواقع المهمة، وتساعد القارئ في فهم الموضوع وتخيل الأحداث واستيعابها بسرعة. فعند دراسة دولة من الدول يجب ترسم خريطة تحدد امتداد تلك الدولة وتحديد جيرانها، وعند دراسة مدينة من المدن يجب رسم خريطة تحدد موقعها بالنسبة لما حولها وكذلك خريطة أخري لتخطيط المدينة يوضح فيها أهم ملامح العمران بها وأهم المنشآت بها سواء أكانت أسوار أو مقر الحاكم المؤسسات الخدمية وموقعها داخل المدينة مثل الأسواق وأماكن العبادة والمؤسسات الصحية والطبية بالمدينة ... الخ. وعند دراسة إحدى الحملات العسكرية يجب رسم خريطة لخط سيرها مثل خط سير الجيش الإسلامي الذي قام بفتح مصر والمعارك التي خاضها حتى تم فتح كافة البلاد المصرية ويفضل البعض أن تكون كل خريطة في مكانها مع الفصل الذي تخدمه، بينما يري البعض أن تكون الخرائط كلها في ملحق البحث خاصة إذا

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص٢٠٠-٢٠١.

كانت الخريطة الواحدة تخدم أكثر من فصل واحد، وأن مضطر للإشارة إليها في الهامش باستمرار. ويجب أن ترقم الخرائط في الدراسة ويوضع لها عنوان ويذكر مصدر الخريطة إذا كان أخذها من كتاب ويكتب البينات في الهامش، ولو قام الباحث نفسه بعمل الخريطة عليه أن يذكر ذلك، وعليه أن يعمل للخرائط فهرس خاص بها حتى يسهل الوصول إليها.

كما يزود الباحث بحثه بالعديد من الأشكال والصور فحكمها حكم الخرائط.

الجداول:

وتحتاج طبيعة بعض الدراسات والبحوث لعمل جداول وخاصة في البحوث المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي لعمل مقارنة بين الأرقام وهي مهمة جداً، إذ أنها تؤدي مهمة كبيرة بمجرد إلقاء نظرة إليها.

كما توضح الجداول قدرة الباحث على إحصاء المعلومات الواردة في المصادر التاريخية وعليه ألا يقتصر على جمع المعلومات في جدول، بل عليه تحليل ما ورد فيها من معلومات وعقد مقارنات، لذا يفضل أن تكون الجداول في جسم الدراسة عقب الفكرة التي يتناولها الباحث حتى تكون الفكرة متصلة، يسهل مقارنة النقاط والأفكار بمجرد نظرة سريعة. ومع ذلك يري البعض وضع الجداول في نهاية الدراسة.

ففي أثناء دراسة الحياة الاقتصادية في الريف المصري عصر سلاطين المماليك[1] احتاجت الدراسة العديد من الجداول منها مقارنة الموازين المستعملة في التجارة في نواحي الريف المصري. فالجدير بالملاحظة أن وزن الرطل قد اختلف في جميع بلاد الريف المصري في العصر المملوكي. فقد كان لكل إقليم وبلد رطل خاص به، بحيث لا نجد بلداً يوافق وزن رطله وزن بلداً آخر. وذلك لأن كل بلد قد اصطلحوا على أرطال تتفاضل في الزيادة والنقصان[2]. والجدول الآتي يوضح لنا اختلاف الموازين في بلاد الريف المصري.

[1] رسالة ماجستير للمؤلف كلية الآداب – جامعة شمس، ٢٠٠١.

[2] ابن الإخوة: معالم القربة، ص١٣٧–١٣٨؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص١٨٥؛ السيوطي: حسن، ج٢، ص٣٢١.

م	أنواع الأرطال	مقدارها بالدرهم	م	أنواع الأرطال	مقدارها بالدرهم
١	الرطل المصري	١٤٤ درهم	١١	رطل اللحم والخبز بأخميم	١٠٠٠ درهم
٢	الرطل الليثي[١]	٢٠٠ درهم	١٢	رطل ذروة السربام	١٤٤ درهم
٣	الرطل الجروي[٢]	٣١٢ درهم	١٣	رطل الفيوم	١٥٠ درهم
٤	رطل اللحم والخبز بقوص	٣١٥ درهم	١٤	رطل المحلة	٣٣٦ درهم
٥	رطل باق السلع بقوص	٢٠٠ درهم	١٥	رطل دمياط	٢٩٧ درهم
٦	رطل اللحم والخبز بأسيوط	١٦٠٠ درهم	١٦	رطل البلبيسي	١٨٠درهم
٧	رطل باق السلع بأسيوط	٢٠٠ درهم	١٧	رطل سمنود	٣١٢ درهم
٨	رطل اللحم والخبز بمنفلوط	٢٠٠درهم	١٨	رطل الإسكندرية	٣١٢ درهم
٩	رطل باق السلع بمنفلوط	١٤٤ درهم	١٩	رطل فوة	٣٦٠ درهم
١٠	رطل منية بني خصيب	١٤٤ درهم			

أنواع الأرطال في بلاد الريف المصري.

٧-قائمة المصادر والمراجع

وتشمل على قائمة تفصيلية بالأصول والمصادر والمراجع والدوريات التي رجع إليها الباحث.ويراعي أن تنقسم إلي أقسام وتنظم محتويات كل قسم فيما بينها، وترتب أبجديا من الألف إلي الياء. فإذا تكرر الاسم الأول يرتب على الاسم الثاني، ويأتي الترتيب على النحو التالي:

١- الوثائق غير المنشورة

٢- الوثائق المنشورة

٣- المخطوطات

---

[١] **الرطل الليثي:** نسبة إلي بلدة الليث وبني هاشم من أعمال الغربية. ابن الجيعان: التحفة، ص٩٨. ويضيف ابن بسام بأن:" أوقيته ستة عشر درهماً ونصف وثمن وحبة وثلثا حبة". ابن بسام: نهاية الرتبة، ص١٨٦.

[٢] **الرطل الجروي:** وهو الرطل المستعمل في الإسكندرية. انظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٩٣؛ ابن الإخوة: معالم القربة، ص١٣٨.

٤- **المصادر العربية**

٥- **المراجع العربية**

٦- **المراجع الأجنبية**

٧- **الدوريات**

٨- **الرسائل العلمية غير المنشورة**

أولاً: الوثائق غير المنشورة:-

تذكر بياناتها التفصيلية مشتملة على: مكان الوثيقة وأرقامها وتاريخها وتنظم فيما بينها إما في مجموعات، أو تاريخيا، أو حسب أماكنها والباحث بفطنته أن يجد النظام الأمثل لترتيبها.

مثال:

وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين، مؤرخة في ربيع الثاني ٦٩٧هـ/ فبراير ١٢٩٨م، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، تحت رقم ٣/١٨.

ثانياً: الوثائق المنشورة:-

وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون، مؤرخة ٨ جمادى الأولى ٧٢٦هـ/١ مايو ١٣٢٦م دار الوثائق القومية رقم ٢٥ محفظة ٤، ورقم ٣١ محفظة ٥، نشر د. محمد محمد أمين، ملاحق كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢.

ثالثا: المخطوطات:-

ابن بهادر (كمال الدين محمد بن محمد المؤمني ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م):

فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط بدار الكتب المصرية- تحت رقم ٢٣٩٩ تاريخ- ميكروفيلم ٣٥٩٦٤.

الرشيدي (أبي عبد الله محمد بن محمد الرشيدي) (د. ت):

تفريج الكروب في تدبير الحروب، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ فنون حربية- ميكروفيلم ٢٤٥٦١.

رابعا: المصادر العربية:

تكتب المصادر مرتبة على حروف المعجم من الألف إلي الياء بحسب أسماء المؤلفين، فإذا تكرر في الاسم الأول أخذ بترتيب الاسم الثاني ولا يستعبد في الترتيب أداة التعريف (ال) و ابن أو أبو، ويكتب بيانات المصدر كاملة، بيانات المؤلف اسم الشهرة ثم اسمه وسنة وفاته أن وجدت،ثم اسم الكتاب، ثم عدد المجلدات أو الأجزاء أن وجدت، ثم اسم المحقق أو المحققين أن وجدوا، ثم رقم الطبعة، ثم اسم دار النشر، ومكان النشر، وتاريخ النشر.

مثال:

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم، المتوفى ٦٣٠هـ/١٢٣٢م: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

أبو شامة: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، المتوفى ٦٦٥هـ/١٢٦٧م: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٢.

خامساً: المراجع العربية:-

تكتب المراجع مثل المصادر مرتبة على حروف المعجم من الألف إلي الياء ،فإذا تكرر في الاسم الأول أخذ بترتيب الاسم الثاني ولا يأخذ في الترتيب بـ ابن أو أبو، فيكتب إبراهيم قبل أحمد ، ومحمود أحمد قبل محمود علي، ويكتب بيانات المرجع كاملة،بيانات المؤلف اسم الشهرة ثم اسمه وسنة وفاته أن وجدت، ثم اسم الكتاب، ثم عدد المجلدات أو الأجزاء أن وجدت، ثم رقم الطبعة، ثم اسم دار النشر، ومكان النشر، وتاريخ النشر.

مثال:

ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥.

وإذا كان الكتاب معرب عن إحدى اللغات الأجنبية يذكر اسم المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم اسم المترجم، ثم رقم الطبعة، ودار النشر، ومكان النشر، وتاريخه.

مثال:

طافور: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة وتقديم حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص٧٠.

سادساً: الرسائل العلمية غير المنشورة:

وعند الاستعانة بالرسائل العلمية غير المنشورة والمحفوظة في مكتبات الكليات والمعاهد، وترتب المؤلف على حروف الهيجاء، فيكتب اسم صاحب الرسالة، وعنوان الرسالة، ودرجة الرسالة ماجستير أو دكتوراه، وغير منشورة، واسم الكلية، واسم الجامعة، وتاريخ منحها.

مثال:

فيصل سيد طه: الحياة الثقافية في خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩-٥٩٠هـ/١٠٣٧-١١٩٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بني سويف،٢٠٠٦.

سابعا: الدوريات العربية:

ويقصد بها المجلات التي تصدرها الجمعيات والهيئات العلمية المتخصصة والجامعات بمختلف اللغات، والتي تنشر فيها أخر الأبحاث وأحدثها.

وعند كتابة المقالات أو البحوث المنشورة في احدي المجلات العلمية أو الندوات أو المؤتمرات: يكتب اسم المؤلف، ثم اسم المقالة أو البحث بين علامتي التنصيص أو

" _____" شولتين، ثم اسم المجلة أو المؤتمر أو الندوة، ثم مكان المجلة، ورقم المجلد، ورقم الجزء منه إذا كان هذا العدد من المجلد قد صدر على مراحل، وتاريخه.

مثال:

نظير حسان سعداوي: " دولة البرين والبحرين"، المجلة التاريخية المصرية، عدد ١٣، القاهرة، ١٩٦٧م.

مثال:

عفاف سيد صبرة :" المدارس في العصر الأيوبي"، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٢.

ثامناً: المراجع الأجنبية:

أما المراجع الأجنبية فيكتب اسم العائلة ثم الاسم الأول، ثم اسم الكتاب، والطبعة والبلد، وتاريخ النشر

مثال:

Lane-Pool (Stanley), A history of Egypt in the middle ages, fourth edition, London, 1925.

Abouseif (D.B.),"Notes sur l'Architecture musulane d' Alexandrie", dans Alexandrie Medievale, 1, (IFAO), 1998.

فهرس البحث:

قد يكون الفهرس في أول البحث بعد الورقة الأولي وقد تأتي في نهاية البحث، يجب أن يكون مفصلاً فيشمل المحتويات التفصيلية لكل فصل ورقم الصفحة لسهوله الوصول إليه

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:-

١- الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٩٧.

٢- الجواليقي: في كتابه المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥.

٣- **ابن خلدون:** مقدمة ابن خلدون، ٣ أجزاء، تحقيق علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.

٤- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، حقيقه وعلق عليه بالإنجليزية فرانز روزنثال، ترجمه إلي العربية صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٥- **السيوطي:** الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت.

٦- **الصولي:** أبو بكر محمد بن يحيي الصولي: أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية،١٣٤١هـ.

٧- الكافيجي: المختصر في علم التاريخ، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٠

ثانياً: المراجع العربية:

١- **إبراهيم شبوح:** " بعض ملاحظات علي خط البرديات العربية المصرية المبكرة ومدي تأثرها بحركات إصلاح الكتابة"، ضمن الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، الجزء الأول، دار الكتب، القاهرة،١٩٧٠.

٢- **أتكن:** دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ترجمة محمود زايد، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٦٣.
٣- **أدولف جروهمان:** محاضرات في أوراق البردي العربية، ترجمة توفيق إسكاروس، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية القاهرة٢٠١٠.
٤- **أحمد أمين سليم وسوزان عباس عبد اللطيف:** ماهية التاريخ القديم ومناهج البحث فيه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠١٢.
٥- **أحمد تيمور:** التصوير عند العرب، علق عليه ووضع هوامشه د/ زكي محمد حسن، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٦.
٦- **أحمد الشامي:** " أوراق البردي العربي مصدر أصيل للتاريخ الإسلامي"، مجلة المؤرخ العربي بغداد، العدد٩.
٧- **أحمد الشامي:** " التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام"، مركز الدراسات البردية جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٣.
٨- **أحمد شلبي:** كيف تكتب بحثاً أو رسالة، دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه، ط٩، القاهرة، ١٩٧٦.
٩- **أحمد عبد الرازق أحمد:** الرنوك الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١.
١٠- أحمد فؤاد سيد: " أوراق جنيزة القاهرة، هل هي امتداد لعلم البرديات العربية ودراساته "، مركز الدراسات البردية – جامعة عين شمس،١٩٨٣.
١١- **أحمد فؤاد سيد:** مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
١٢- **أحمد فؤاد سيد:** " عدالة الحكم الإسلامي لمصر في عصر الولاة (١٨-٢٥٤هـ)، ومظاهر التسامح الديني بها، في ضوء أوراق البردي"، مجلة مركز الدراسات البردية جامعة عين شمس، مجلد٤، ١٩٨٩.
١٣- **أحمد فؤاد سيد:** "البرديات العربية: الديوانية السياسية، والقضائية الفقهية، والشخصية العائلية، والأدبية الثقافية، التي عثر عليها في إقليم الفيوم ومدنه وقراه وضياعه، ودلالتها التاريخية والأثرية، في دراسة تاريخ الفيوم في العصر الإسلامي"، مؤتمر الفيوم الأول–الفيوم بين الماضي والحاضر، كلية الآثار بالفيوم،٢٠٠١.

١٤- **أحمد مختار عمر**: تاريخ اللغة العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.

١٥- **أرنولد توينبي**: الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة لمعي المطيعي، مراجعة محمد صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية،القاهرة،١٩٩٠.

١٦- ـــــــــــ مختصر دراسة التاريخ، ٤ أجزاء، ترجمة فؤاد شبل، القاهرة، ١٩٦١.

١٧- **اسحق عبيد**: معرفة الماضي من هيرودوت إلي توينبي، دار المعارف، القاهرة،١٩٨١.

١٨- **أسد رستم**: مصطلح التاريخ، بيروت، ١٩٣٩.

١٩- **السيد عبد العزيز سالم**: التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

٢٠- **السيد محمد عبد الرحمن**: غاية التاريخ فلسفة للتاريخ من خلال منظور إسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٢١- **آلبان . ج. ويدجري**: التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلي توينبي، جزاءن، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

٢٢- **بيريل سمالي**: المؤرخون في العصور الوسطي، ترجمة قاسم عبده قاسم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٧.

٢٣- **جان سوفاجية & كلود كاهن**: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،١٩٩٨.

٢٤- **جمال الخولي**: مداخلات في علم الدبلوماتيك العربي، ط٢، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية،٢٠٠٠.

٢٥- **جواتيان**: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، الكويت،١٩٨٠.

٢٦- جورجي صبحي: قواعد اللغة المصرية القبطية، القاهرة،١٩٢٥.

٢٧- **جوزيف نسيم يوسف**: المكتبة التاريخية ومناهج البحث، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ٢٠٠٥.

٢٨- **جوزيف نسيم يوسف:** " العصور الوسطي الأوروبية حدودها الزمنية والنظريات التي قامت حول بدايتها"، مجلة المؤرخ العربي بغداد العدد٥، ١٩٧٩.

٢٩- **جُوزف هورس:** قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، ط٣، بيروت – باريس، ١٩٨٦.

٣٠- **حامد زيان غانم:** منهج البحث التاريخي، القاهرة، د.ت.

٣١- **حسان حلاق:** مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨.

٣٢- **حسن عثمان:** منهج البحث التاريخي، ط٨، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠.

٣٣- **حسنين محمد ربيع:** "وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لمؤاني الحجاز واليمن في العصور الوسطي"، كتاب مصادر الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الرياض ١٩٧٩.

٣٤- حسين عبد الرحيم عليوة: " الكتابات الأثرية العربية دراسة في الشكل والمضمون"، المجلة التاريخية المصرية،١٩٨٤.

٣٥- **حسين محمد ربيع:** محاضرات في علم التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.

٣٦- **حسين محمد سليمان:** المدخل إلي دراسة علم التاريخ، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٨٤.

٣٧- **حسين مؤنس:** التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.

٣٨- رأفت محمد النبراوي: النقود الإسلامية منذ القرن السادس وحتى القرن التاسع الهجري، القاهرة، ١٩٩٩.

٣٩- **راوس:** التاريخ أثره وفائدته، القاهرة، ١٩٦٧.

٤٠- **سالم يفوت:** الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلي التواريخ الفعلية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١.

٤١- **سامح عبد الرحمن فهمي:** المكاييل في صدر الإسلام، مكة المكرمة، ١٩٨١.

٤٢- **سامح عبد الرحمن فهمي:** الوحدات النقدية المملوكية، جدة، ١٩٨٣.

٤٣- **سيد احمد الناصري:** الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

٤٤- **سيد احمد الناصري:** فن كتابه التاريخ وطرق البحث فيه، دار النهضة العربية، الطبعة الأولي، القاهرة، ١٩٨١.

٤٥- **شاكر مصطفي:** التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ٤ أجزاء، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٧٨-١٩٩٣م.

٤٦- **شوقي الجمل:** علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الأولي،القاهرة،١٩٨٣.

٤٧- **عائشة عبد الرحمن:** ذخائر البردي في مكتبة فبنا "ألبرتينا"، موسكو، ١٩٦٦.

٤٨- **عادل حسن غنيم وجمال محمود حجر:** في منهج البحث التاريخي، الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠١٢.

٤٩- **عاصم الدسوقي:** البحث في التاريخ قضايا المنهج والإشكالات، مؤسسة ابن خلدون، الطبعة الثالثة،القاهرة،١٩٩٩.

٥٠- **عبد الحليم نور الدين:** اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٩٨.

٥١- **عبد الرحمن بدوي:** النقد التاريخي ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠.

٥٢- **عبد الرحمن فهمي:** النقود العربية ماضيها وحاضرها، المكتبة الثقافية، فبراير، ١٩٦٤.

٥٣- **عبد الرحمن فهمي:** فجر السكة العربية، من مجموعة متحف الفن الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٥.

٥٤- **عبد العزيز الدالي:** البرديات العربية، القاهرة،١٩٨٤.

٥٥- **عبد الله محمد عزباوي:** المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،١٩٩٧.

٥٦- **عبد الواحد ذنون طه:** أصول البحث التاريخي، بيروت،٢٠٠٤.

٥٧- **فتحية عبد الفتاح النبراوي:** علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، الطبعة الثانية، دار الآفاق العربية، القاهرة،١٩٩٦.

٥٨- **علي إبراهيم حسن:** استخدام المصادر وطرق البحث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠.

٥٩- **فرج الله أحمد يوسف:** نقود الخارجين علي الخلافة العباسية في شرق العالم الإسلامي، زهراء الشرق، القاهرة،٢٠٠٦.

٦٠- **فؤاد زكريا:** التفكير العلمي

٦١- **قاسم عبده قاسم:** الرؤية الحضارية للتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

٦٢- **قاسم عبده قاسم:** في تطور الفكر التاريخي، الطبعة الأولي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٤.

٦٣- ــــــــ: فكرة التاريخ عند المسلمين، دار عين للدراسات الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١.

٦٤- **قسطنطين رزيق:** نحن والتاريخ، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٥.

٦٥- **كار أ. أ. :** ما هو التاريخ، ترجمة أحمد حمدي محمود، القاهرة، ١٩٦٢.

٦٦- **كارل بوبر:** عقم المذهب التاريخي، ترجمة عبد الحميد صبره، الإسكندرية، ١٩٥٩.

٦٧- **كولنجود:** فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، راجعة محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٦١.

٦٨- **مايسة محمود داود:** الكتابات العربية علي الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى القرن الثاني عشر للهجرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،١٩٩١.

٦٩- **محمد بيومي مهران:** التاريخ والتأريخ دراسة في ماهية التاريخ وكتابته ومذاهب تفسيره ومناهج البحث فيه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢.

٧٠- **محمد حمزة إسماعيل الحداد:** النقوش الأثرية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢

٧١- **محمد زيان عمر:** مدخل إلي علم التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥

٧٢- **محمد قطب:** حول التفسير الإسلامي للتاريخ، جدة، د. ت.

٧٣- **محمد محمود الحويري:** منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠١.

٧٤-**محمـود سـعيد عمـران:** مـنهج البحـث التـاريخي ومصـادر العصـور الوسـطي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٢.

٧٥-**محمود عرفة محمود:** البحث في التاريخ، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٩.

٧٦-**مصطفي زايد:** التاريخ الكمي مع تطبيقات في التاريخ الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠.

٧٧- ـــــــــ: الإحصاء والبحث التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧.

٧٨-**نعمـان عبـد الـرزاق السـامرائي:** فـي التفسـير الإسـلامي للتـاريخ، مكتبـة المنـار، الأردن،١٩٨٥.

٧٩-**هـاري إلمـر بـارنز:** تـاريخ الكتابـة التاريخيـة، جزاءن، ترجمـة محمد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **١٩٨٧**.

٨٠-**هرنشو:** علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي، القاهرة،١٩٣٧.

المراجع الأجنبية

-A. G. Woodhead, The Study of Greek Inscriptions, Cambridge University PRESS, 1959.

- Balog , The Catalogue of the Mamluk Sultans of Egypt .ANS ,New -٨١ York,1964-٨٢

-**Bois a Epigraphes**, Catalogue General du Musee Arabe du Caire ,vols,2,1931-1936.

-C,H, Becker, Papyri schott-Reinhart I – Heidelberg 1906 .

-Goitein The Documents of Geniza as a Source for Meditrranean Social History" (JAOS) ,N o.2,1960.

-Lavoix, Catalogue des monnlmanes de la Bibliotheque Nationale, Egypte et Syeie

-Mayer,Saracenic Heraldry,Oxford,1933Oman, On the Writing of History, London,1931.

-Roger,Le blason chez les princes musulmans de L' Egypte et de la Syrie.vol.2,B.I.E.31

-Shyder. Detachment and the Writing of History, New York, 1958.

-Wiet ,Objets en Cuivre, Catalogue General du Musee Arabe,Le Caire,1932.

Steles Funeraires,Catalogue General du Musee Arabe du Caire ,Institut Francais d ArcheologieOriental, Vols.22, LeCaire

فهرس الكتاب

الموضوعات	رقم الصفحة
المقدمة	٤_٥
الفصل الأول التعريف بالتاريخ	٧_٣٥
الفصل الثانى صناعة المؤرخ	٣٧_٤٤
الفصل الثالث العلوم المساعدة لدراسة التاريخ	٤٦_١٠٢
الفصل الرابع المدارس التاريخية	١٠٤_١١٥
الفصل الخامس مناهج البحث العلمي	١١٧_١٢١
الفصل السادس مراحل كتابة البحث التاريخي	١٢٣_١٤٣
الفصل السابع قواعد كتابة البحث التاريخي	١٤٥_١٦٥
المصادر والمراجع	١٦٦_١٧٢